كتاب الأخبار

"المدون"

في أخبار الموريتانيين ومن جاورهم
من النواحي المحيطة بهم

تأليف :

هارون بن الشيخ سيدي باب بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الكبير

الجزء الأول

أعده وقدمه للطباعة والنشر : باب ولد هارون

لايسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساهم من قريب أو بعيد في ابراز هذين الجزءين الأولين إلى جمهور القراء .

وأخص بالتحديد:

- العلامة محمد سالم بن عبد الودود، على مطالعته لهذين الجزئين وعلى كلمته بعد ذلك الصغيرة الحجم العميقة الدلالة ، والمفصحة عن مشاعره الطيبة وعاطفته المتعاطفة الصادقة والجياشة،

- جامعة انواكشوط ورئيسها/ محمد ولد خباز،

- المدرسة العليا للأساتذة ومديرها/ محمد ولد سيديا ولد ابن،

على ما قدمت هاتان المؤسستان من الدعم المادي إسهاما في نفقات الطباعة؛

- الأستاذ الفاضل أحمدُ الملقب بدي بن احمد سالم بن امحمد سيديا بن الشيخ أحمد بن محمدٌ بن الفاللّ، على ما قدم لي من نصائح فنية ولاشرافه على تصميم هذين الجزءين على الحاسوب الآلي ومطالعته لهما مما مكن من اقتناص وتصحيح عدة أغلاط مطبعية وخاصة فيما ورد فيهما من الشعر؛

- السيد احمد ولد اباه ولد محمد، على عمله الشاق في اصلاحات هذين الجزءين وفي تصميمهما؛

- الأخ محمد ولد المختار السالم المعروف بابن بونه، على ما قام به معي من مقابلات الطباعة الأولية على النص الأصلي؛

- الأخت أم كلثوم بنت هارون، على مشاركتها في هذه المقابلات والإصلاحات.

بسم الله الرحمن الرحيم

فما فوجئتُ ولكن سُرِرت وانتبطت إذ علمت أن الفتى باب بنَ هرون بنِ باب بن الشيخ سيدي محمد بنِ الشيخ سيدي يسير على درب أبيه يواصل مسيرته يترسم خطاه يتقفى أثره يحيي تراثه ينشر مآثره.

فقد أطلعني على باكورة نشر موسوعة والده التاريخية بمعنى الكلمة وإني والله لمن أهل وُد أبيه فلقد انعقدت بيني وبينه صلة زادت على صلة أبوينا وبيتينا وعشيرتينا ولقد رأيت فيه من سمت رسول الله صلى الله تعلى عليه وعلى آله وسلم وهَدْيِه ودلّه الشيءَ الكثيرَ فلقد كان ما علمتُ كما وُصف به من أنه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه.

فليواصل الابن الكريم ولا يهنْهُ كثرة الكرابيس ولا يُثْنِه عدم التبييض فبعد مرارة الطلب حلاوة الوجدان وبعد العناء يأتي بإذن الله تعلى الهناء.

كتبه محمد سالم بن محمد عال بن عبد الودود كان الله تعلى لهم ولأوليائهم وليا آمين لليلتين خلتا من صفر سنة تسع عشرة وأربعمائة والف.

يشتمل هذا الجزء على محتويات الدفاتر التالية من الأصل :

1 - بعد المقدمة ، الى ص 70

1 و 2 من النسق الأول بالكامل

3 - الى ص 219.

ولم يقع فيه من إدراج أو تقديم أو تأخير إلا ما كان من تقديم القصيدة الواردة في آخر صفحة 159 التي نقلت هنالك ، تمشيا مع إشارة المؤلف بذلك من صفحة 194 من الدفتر الثاني.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين

وبعد فإني اتشرف بتقديم الجزئين الأولين من كتاب «الأخبار»، لوالدي هارون بن الشيخ سيدي باب، إلى جمهور القراء الكرام.

إن هذا الكتاب يعتبر بحق أهم ماخلفه من تراث المرحوم هارون الذي واصل العمل الدؤوب في البحث عن مصادره وتدوينه من سنة 1945 وإلى أن وافاه الأجل في العاشر من مارس سنة 1977 .

هكذا كرس زهاء اثنتين وثلاثين سنة من عمره الذي لايتجاوز ثمانا وخمسين عاما لانجاز هذا العمل الجبار.

وهذا النعت ليس في الحقيقة مبالغة إذا ماحكمت فيه معايير الكم والكيف.

فقد ترك هارون اثنين وستين دفترا، بمعدل مائة صفحة، من كتابه هذا شبه مبيضة، بالاضافة إلى اجزاء عديدة ماتزال مسودة وملفات كثيرة لاجزاء لم يجد الوقت للكتابة عنها.

وقد جمع من الوثائق ودون من الروايات الشفهية والمصادر المختلفة مالم يجمعه ولادونه ولاقارب ذلك أي من معاصريه.

وقد التزم في نقل كل هذه المصادر منتهى الامانة والدقة، حتى أنه ليترك الأخطاء الاملائية والنحوية والصرفية الجلية ، وأحرى التركيبية على حالها بدون إصلاح.

كان هارون يزمع، في البداية، الترجمة لآبائه الثلاثة: الشيخ سيدي الكبير والشيخ سيدي محمد والشيخ سيدي باب.

وبالرغم من أنه لم يتصل بعد إلى ترجمة والده وجده، حيث استحوذت الكتابة عن الشيخ سيدي الكبير على معظم تاليفه، فقد وجد أن الحديث عن هذه الشخصية العملاقة لن يتأتى الابذكرمن ثبتت له صلة مهما كان نوعها بها وبترجمة أهل وقبائل أصحاب هذه الصلات.

ونظرا للعلاقات الواسعة للمترجم ولنفوذه في وقته، فقلما توجد شخصية معتبرة من معاصريه او إمارة أو قبيلة ذات بال الا وردت لها ترجمة في هذا الكتاب، تعززها في الغالب شجرات نسب وءاثار مختلفة في غاية الأهمية.

وبحق فلقد تكاملت على هذا النسق موسوعة شاملة غطت اغلب التراب الوطني وتجاوزته لتتناول عدة بلدان مجاورة.

وعزز هذه الشمولية وأطرفها عامل الاستطراد الذي يكثر في هذا الكتاب.

فقد أورد فيه مؤلفه رحمه الله الكثير من المراسلات والروايات والاشعار المختلفة، بالفصحى والملحون على حد السواء، مما يجعل منه مصدرا أدبيا ثريا.

وكأنما اعتبر هارون نفسه حلقة وصل في استقراء المصادر التي نقل منها وتوصيلها إلى الاجيال اللاحقة، حتى وإن اقتضى الامر منه تشعب المسالك والقصد في الدراسة والنقد والتحليل.

نراه يعتذر عن ذلك في الصفحة 19 من مقدمته بقوله:

"ولم اجد وقتا لتحليل رسائله ولا للكلام عن جوانبه كلها لكثرة ماعرض لي من أموره (يعني الشيخ سيدي) التي اخترت نقلها كما هي ليلا تضيع وأبقى المجال للمطالعين الناقدين ليستنتجوا ماظهر لهم وينتقوا ماراق عندهم".

ولمن رأي حجم المادة الخام المتناثرة في هذا "الكشكول" لابد أنه سيدرك الجهد والعناء اللذين لاقاهما الكاتب في سبيل اصطياد وتنسيق مادته التي سيجد فيها الكثيرون من المهتمين على اختلاف مشاربهم، من أدباء ومؤرخين ونسابين ودارسي علم الاجتماع وغيرهم من المختصين ومن المطالعين العاديين، بغيتهم.

كان الكثيرون ممن حاورهم هارون في شأن كتابه هذا وممن سمعوا به مستعطشين لظهوره ويستحثونه ويستعجلونه على نشره. وكأن البعض منهم يعتقد أنه ماعلى إلا أن اضغط على زر حتى يتم ذلك.

لقد فات على الكثيرين من هؤلاء أن كتاب الأخبار لايقاس بغيره من المؤلفات الوطنية، ذوات الاحجام المحدودة. فاصدار موسوعة من ستة آلاف ومائتي صفحة، اضافة إلى العمل في الاجزاء

المسودة أو غير المكتوبة اصلا ليس بالامر السهل، بل يتطلب طاقة كبيرة من العمل وحجما معتبرا من الوسائل المادية.

وبالرغم من المشاغل وتواضع الوسائل فقد بذلت جهودا متواضعة في هذا الصدد كان من ابرزها تسجيل اثنين وعشرين دفترا على الحاسوب الآلي، باشرت اغلبها، في سنتي 1989 - 1990م.

وكان من سوء الحظ أن وقع هذا التسجيل على برنامج آلي قديم ومتخصص، لم استطع نقله منه إلى البرامج اللاحقة المتطورة التي تختزل عملية الطباعة وتسهلها.

لذلك اضطررت إلى اعادة التسجيل من جديد حيث تم إعداد ومراجعة هذين الجزءين المقدمين لكم.

وحاولت من خلال مقابلات متكررة أن يكون ما فيهما مطابقا للاصل. إلا أنني زدت بعضا من علامات الترقيم وحققت بعض الألفات وضبطت بعض الهمز بما يتماشى مع قواعد الإملاء الحديث وحاولت شيئاما فصل فقراتهما، علما بأن المؤلف لم يبيض بعد نصه بما فيه الكفاية.

ووضعت فهارس تقريبية في آخر كل جزء لتسهيل معرفة محتوياته العامة، إلا أني لم أفصلها بصورة دقيقة، وربما أغفلت، نتيجة لذلك، ذكر جزئيات لاينبغي إغفال ذكرها.

وأبرزت أحيانا أسماء أعلام وقبائل وحوادث معينة للتنبيه على ما يتعلق بها، نظرا لأن المؤلف، كما ذكر ذلك وبرره في مقدمته، لم يبوب كتابه ولم يجعل له فصولا وإنما أرسله متناثرا إرسالا، لكن فيه مع ذلك خيوطا تضمن إلى حد ما وحدة وتماسك الموضوعات المطروقة.

وحيثما دعت الضرورة إلى تقديم فقرة عن المكان الذي كتبت فيه أصلا تمشيا مع تعليق المؤلف المشير بذلك - ولم يقع ذلك الا نزرا في هذين الجزءين - فاني أنص على الصفحة والدفتر اللذين نقلت منهما الفقرة المذكورة.

وما ورد من الهوامش او التعليقات خارجا عما كتبه المؤلف منها أو نقل وهو جد قليل، فإني أذيله باضافته إلى الناشر.

وقد استصوبت ابتداء مايقدم نشره من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعلى بالرجوع إلى التصميم الاول للمؤلف الذي كان بادئ ذي بدء قد جعل ترجمة الشيخ سيدي الكبير وما يتبعها من

أبحاث عامة مفتتح تاليفه قبل أن يعيد هيكلته بوضع بداية جديدة له تتمثل في ترجمة حافلة لقبيلة أولاد ابيير يتصل منها للشيخ سيدي باعتباره شخصية من هذه المجموعة.

وقد استحوذت ترجمة أولاد أبيير هذه على اثنين وعشرين دفترا ، من أصل 62 ، يعرف المؤلف كل واحد منها بعد كتابة رقمه عليه ، بإضافة عبارة : "بعد المقدمة".

وبما أن هارون قد ترك ثغرات عديدة في هذه الترجمة، لم يمهله الاجل لتحريرها ، فقد عدلت عن تصميمه الأخير هذا وأخرت الاجزاء المذكورة حتى يتسنى بعون الله سد هذه الثغرات وتكتمل بذلك الموسوعة وفقا لرغبته .

ولم أكن في الأصل أرغب في إصدار هذا الكتاب إلا دفعة واحدة. ولما لم أجد إلى ذلك من سبيل في الوقت الراهن أقدمت على "تقسيطه" عملا بالحكمة المتداولة "ما لا يدرك جله لايترك كله".

واعتذر أخيرا للقارئ عن جسارتي واقتحامي لهذا الميدان الذي ليس لي من مؤهل لولوجه غير الشعور بالمسؤولية عن بذل الوسع في محاولة ابراز هذا التراث النفيس الذي ضحى هارون رحمه الله تعلى باكثر من نصف حياته في سبيل جمعه وتدوينه.

والله تعلى أسأل أن يحقق لي وله بنشره كل المامول وأن يتقبله ويكتب له القبول.

باب بن هارون

مقدمة كتاب الأخبار الذي جمعه هرون بن الشيخ سيديّ، رحم الله تعالى سلفهم وبارك في خلفهم، آمين.. في أخبار الموريتانيين وبعض من جاورهم من النواحي المحيطة بهم..

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي.

اللهم الهمني رشدي وأعذني من شر نفسي.

آمين

من ألف فقد استهدف: أي جعل نفسه غرضا للرماية.

فإن أحسن فقد استعطف: إي عطف القلوب عليه بالمحبة.

وإن أساء فقد استقذف: أي عرض نفسه للقذف.

أعاذنا الله تبارك وتعالى من الاستهداف والاستقذاف ورزقنا بكرمه ولطفه الاستعطاف. آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير النبيئين والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فيقول هرون بن الشيخ سيديّ باب بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديّ لطف الله تعالى بهم وبمن والاهم آمين: رب وفقني فلا أعدل عن سنن الساعين في خير سنن.

هذا كتاب جمعت فيه ما أمكن جمعه من أخبار القبائل الموريتانية والقبائل المجاورة لها وجعلت أهم الروابط فيه بينها الرابطة الدينية لأنها مصدر الروابط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولم أذكر فيه من الأنساب إلا ما طلب مني أهله إثباته لأن من تعرض للأنساب تعرض للسباب، وقد تقررت عند اهلها، فلا فائدة في ذكرها.

ولم اجعله كتاب تاريخ بالمعنى الاصطلاحي لأن ذلك يحمل على ذكر ما لا داعية إلى ذكره في الحال، وفضلت كونه كتاب أخبار، نظرا لقول عبيد الله بن محمد بن عائشة القرشي إن الأخبار تصلح للدين والدنيا، فقيل له: الدنيا قد عُرفتْ فما للآخرة؟ قال: فيها العبر يعتبرها الرجل.

وقال الله تعالى مخبرا عن قصة يوسف وإخوته: [لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب]، وقال تعالى: [وَمَثَلاً مِنَ الذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ]. وقال عز وجل: [كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ].

وقال بعضهم لولده: "عليك بالأخبار فإنها لا تعدم كلمة تدل على هدى وأخرى تنهى عن ردى". ومن كلام أبي الحسن علي بن الحسين: لولا تقييد العلماء خواطرهم بالأخبار وكتبهم الآثار لبطل أول العلم وضاع آخره. إذ كان كل علم من الأخبار يستخرج، وكل حكمة منها تستنبط، والفِقَرُ منها تُشْتَارُ، والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون، وأهل المقالات بها يحتجون، ومعرفة الناس منها توخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس، وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس، فكل غريبة بها تعرف، وكل عجيبة منها تستطرف، وهو علم يستمتع بسماعه

العالم، ويستعذب موقعه الأحمق، والعاقل يانس مكانه، وينزع اليه الخاصي والعامي، ويميل إلى روايته العربي والعجمي، ويوصل به إلى كلام، ويتزين به في كل مقام ،ويتجمل به في كل مشهد، ويحتاج إليه في كل محفل. ففضيلة علم الأخبار تنبيه على كل علم، وشرف منزلته صحيحة في كل فهم، فلا يصبر على علمه ويتقن ما فيه من إيراده وإصداره إلا إنسان قد تجرد للعلم وفهم معناه وذاق ثمرته واستشعر من عزه ونال من سروره.

وقديما قيل: إن علم النسب والأخبار من علوم الملوك وذوي الأخطار ولا تسموا إليه إلا النفوس الشريفة ولا يابباه إلا العقول السخيفة. ومن كلام خلف الأحمر لأبي زيد الأنصاري، وكان لا يعدو النحو: "عليك بالأخبار والأشعار فلقلما ينبل متفرد بالنحو". ومن كلام ابن المقفع في كتابه في الأدب: "ثم انظر الأخبار الرائعة فتحفظ منها فإن من شأن الانسان الحرص على الأخبار ولاسيما ما يرتاح له الناس وأكثر الناس من يحدث بما يسمع ولا يبالي ممن سمع وذلك مفسدة للصدق ومزراة بالرأي..." إلى آخر كلامه، راجع مقدمة معجم الأدباء لياقوت الحموي، وهو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي الدار الملقب شهاب الدين، ولد سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم وكان مولى لعسكر بن أبي نصر وقد أعتقه سنة 596 ولما اشتهر بالعلم وتميز سمي نفسه يعقوب وتوفي يوم الأحد لعشر بقين من شهر رمضان سنة 626.

وكان مما حدا بي إلى تأليف هذا الكتاب أني نزلت في عام 1945 عند أخي المؤرخ العالم السيد أحمد بن الشيخ سيديّ باب عند البير المعروفة بالمَيْمُونْ التَّلّي أي الشمالي في اصطلاح أهل بلادنا في الجهات، ودار به الحديث معي في السمر إلى أن أمرني بجعل تراجم لآبائنا الثلاثة: الشيخ سيدي الكبير وابنه الشيخ سيدي محمد وابنه الشيخ سيدي باب وأمرني بالرواية عن مشايخ سماهم لي من أولاد انتشايت كانوا من أسن الموجود منهم في ذلك التاريخ. وأوصاني أن أكتب كل ما أملوا علي، كما أملوه وأترك تصحيحه وتنقيحه للزمن. فرسخت فكرة ما أمرني به في قلبي وحالت عوارض في تلك الأزمنة دون كتابة شيء مما أمر به. ومن تلك العوارض ظهور السياسة في موريتانيا ابتداء من عاشر نوفمبر عام 1946، أي في السنة الموالية لأمره لي. ولم أستطع أن أبتدىء في الكتابة قبل سنة 1952، أي بعد أمره لي بسبع سنوات وبعد وفاته رحمه الله تعالى بثلاث سنوات. وفي كل هذه السنوات شواغل وموانع.

ولما أجمعت على امتثال ما أمر به نظرت فإذا ما قال لي لا يصح دون دراسة وافية عن القبيلة التي منها الرجال الذين أمر بالكتابة عنهم لمعرفة ذوي رحمهم وسائر قراباتهم لارتباطهم بها وارتباطها بهم ثم دراسة عن سائر القبائل الموريتانية وغيرها لأصل إلى معرفة من قد تعلق منها بواحد منهم تعلقا دينيا إذ هو أوثق العلائق ثم تعلقا آخر من سائر التعلقات التي كانت ولاتزال سببا للارتباطات التي تصير فيما بعد من أوثق الروابط. وكان كل تلك الانواع ضروريا في الأزمنة المختلفة التي عاشوا فيها وعاش فيها معاصروهم ومجاوروهم. والأدلة على ذلك موجودة كثيرة واعتمدت على أوثقها من الروايات الشفهية من أكابر الثقات الذين أدركت، ثم على الكتابات المعروفة التي لاتزال قائمة ولله الحمد وهي من أوثق الأدلة، وسترى عزو كل خبر إن شاء الله تعالى إلى محدث أو وثيقة.

وبدأت في دراسات القبائل بقبيلة الرجال المترجمين وهي قبيلة أولاد ابيير مرتبا لها على ما في وثيقة نسبهم التاريخية المؤرخة بعام أحد وثلاثين ومائة وألف من التاريخ الهجري، ولا يوجد اليوم بأيدي عامة زوايا الگبْلَ تاريخ في الأنساب ولا في الأخبار أقدم من هذا التاريخ، فأذكر مثلا ابيير وأبناءه وأبناء أبنائه إلى آخر الموجود المعروف وقت كتابتي إن شاء الله تعالى ثم أذكر إخوته حسب ترتيبهم وذريتهم إلى أن أصل إلى الطبقة الصغيرة ثم أذكر الأعمام مترتبين وذرية كل واحد منهم إن شاء الله تعالى إلى أن أنتهي إلى المعاصرين.

وفي الوثيقة المذكورة تقديم الأعمام على الإخوة ولكني قدمت الإخوة لأن منزلتهم أقرب من العمومة ثم ذكرت القبائل المتصلة بأولاد ابيير مباشرة بنوع من انواع الاتصالات المعروفة في تلك الأزمنة والتي كانت لا غنى عنها لمن ألجأتهم الضرورة إليها.

ثم ذكرت القبائل في الجزء الخاص بالشيخ سيدي وابنه وحفيده لمناسبة رأيتها في ذلك وهي أن مبنى الأمر عندي الارتباط الديني وما يتلوه تابع له، فهو الأصل في أخوة المسلمين. قال الله تعالى: [إنما المؤمِنُونَ إخْوَةٌ...) وفي الحديث الصحيح: «المسلم أخو المسلم...». فالمعتبر شرعا الأخوة الدينية بالنسبة للأمور العامة لا بالنسبة للمواريث ولا التعصيب إلا عند الاختلاف في الدين والعياذ بالله تعالى.

وقد كتبت أول شيء من هذه المجموعة من الأخبار عاشر عيد عام 1952، وهو مسوَّدة في أخبار أولاد خاڭيلْ، وكتبت قبلها في الثامن والعشرين من فبراير 1952 شيئا قليلا عن إجْمَانْ بسبب قدوم وفد

منهم علينا عند بتلميت للتاريخ المذكور. وبعد هذا في سابع عشر ميه 1952 كتبت مسودة أولاد انتشايت. وفي حادي عشر فبراير 1953 كتبت عن إدَمَّيجنْ وأولاد سيد مَحَمْ، وكنت كتبت قبل ذلك في ثامن فبراير 1953 عن إدَبْعْمَرْ وأهل محمدٍ ميلود.

وفي الثاني والعشرين من ابريل 1954 كتبت عن أهل أغْنَنَا، وفي خامس عشر ميه 1966 كتبت عن أهل محمد وأهل اعْلَيِّ وعن أهل محنض نللْ وأهل عثمان وأهل المَاحْ. وفي أول يوم من يوليه 1966 كتبت عن أولاد عيسَ من إدَادْهَسنْ. وفي التاسع والعشرين من شتمبر 1966 كتبت عن أهل بُتَارْ. وفي الحادي والثلاثين من ميه عام 1971 كتبت عن أولاد أعْدَجّ بن ابيير، وفي تاريخ متقدم كتبت عن أهل أحمد بن الفالليّ وعن أهل اشفغَنَللْ وعن إدوريشْ وعن إدايْهُم وعن إدَوبَرَمْ وعن إدَقْرَهَاوَ وعن إدَغْبَسْرِينْ وعن قبائل من القبائل الأبييرية.

وكل هذه الكتابات عبارة عن دفتر غير كبير، فيه اسم جد القبيلة وأبنائه وتفاريع ذلك إلى وقت انتهاء الكتابة.

وكان ذلك على نمط أنساب قريش لمصعب الزبيري الذي اقتصر فيه على ما اقتصرت عليه ويذكر مرة عند ذكر أحد مسألة اشتهر بها أو حضرها أو أمرا شهد فيه كما اني أنا أولا كنت أسرد ذلك السرد فلا أبين إلا أمرا شهيرا لا ينبغي إغفاله محافظة على الاختصار.

وكان قصدي بهذا أن أتمكن من ملابسات الكل للرجال الذين أردت ذكر أخبارهم أولا ثم لما وقفت على ما قد كتب الموريتانيون في التاريخ والأنساب والأدب وكتبه غيرهم من مجاوريهم ولم أجد فيه ذكرا مهما لقبيلة أولاد ابيير أردت تبيين أخبارها وذكر نسبها وعلمائها وصلحائها وفضلائها وشعرائها وشجعانها وكرمائها وما لها من الفضل والتميز عن غيرها..

فمن تلك المؤلفات الشهيرة عند الناس والمقبولة عندهم: شيم الزوايا لولي الله تعالى العالم الصالح المفسر للقرآن العظيم محمد اليدالي الديماني المتوفي سنة 1166 هجرية أي بعد خمس وثلاثين سنة من كتابة وثيقة نسب أولاد ابيير، اقتصر فيه على سيرة قبيلة تشمْش وفسر هذه الكلمة وذكر تكون اجدادهم في قبيلة المجلس وذكر ما جرى لهم مع أولاد رزگ وما جرى لأولاد رزگ مع المغافرة ولم يذكر فيه أولاد ابيير وهو معذور في ذلك لأنه وضعه بالذات لأخبار تشمش وحالتهم الأخلاقية بعد غَلَبِ حسان لهم في أمر شريبٌ لكنه ذكر رجلين من إدابهم في أمر ناصر الدين. وفي شرح صلاة ربي في مدح

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب كرامات أولياء تشمش لوالد الديماني وقفت على نسخة منه مصورة عن خط جيد وقد جعل أكثره في أخبار أحمد بَزَيْد جد أهل باركللْ وقد قصره على تشمش. ولوالد هذا كتاب انساب معروف عند الناس وعندنا نسخة منه بخط جيد.

وقد ذكر فيه أولاد ابيير ذكرا قليلا قصيرا لا يكفي مستطردا لذكرهم لخزولة لبعض أولاد ديمان فقط. وقد ضاع أكثر كتاب والد المذكور وقد اعتنى فيه بشجرات أولاد ديمان ومن دخل فيهم من القبائل وذكر غيرهم ذكرا لم يكن كثيرا. وقد قال الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أَحْمَدُّ بن سليمان في كتاب والد هذا انه ليس له ابتداء كابتداء التواليف إلى آخر ما قال...

وقد وقفت على شجرات بني حسان المنسوبة للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار بخط جيد وبعضه رقيق وذكر الشيخ سيدي في رسالته في أخبار إدابهم انه ذكر فيها أولاد ابيير وستقف عليها فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومن المؤلفات التي ذكر فيها أولاد ابيير تأليف العالم الجائل المؤرخ صالح بن عبد الوهاب الناصري المسمى بالحسْوة البيسانية في الانساب الحسانية، وهو تأليف جليل في أخبار ذوي حسان وعندي نسخة منه جيدة. وكان بعض الناس ينقل هذا التأليف ويغفل منه ما يتعلق بأولاد ابيير مدعيا انه ليس في النسخة التي وقف عليها أو أن محله فيه تَخَرُّقٌ ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

وقد قرأت المجموعة المعروفة بتاريخ ولاّته لمؤلفيها وأكثر ما فيها الوفيات والإغارات والشدد وغير ذلك ورأيت أشياء مرتبة تسمى تاريخ أهل الشيخ ماء العينين وهي عبارة عن الماجريات التي طرأت عليهم زمن مجيء الفرنسيين لبلادنا من قدوم مستنجد السلاطين في المغرب بواسطتهم ويسمون كل عام من تلك الأعوام باسم يخصه مثل عام مجيء الأركاب أي الوفود، وعام ركوب الشيخ ماء العينين للبحر، وعام خروجهم من الصْمّاره وغير ذلك ولا يتعرض لأكثر من هذا.

وكل المذكورات عبارة عن أشياء محلية لا تتجاوز قبيلة اوقرية او شخصا عظيما مثل تاريخ لِبْرَابِيشْ -قد قرأته ونسختيه في تُنْبُكْتُ كما سيأتي إن شاء الله- في ذكر إغاراتهم على مجاوريهم وذكر من غدر منهم غيره وذكر وقائعهم فيما بينهم ومثل تاريخ بُوجْبَيْهَ وقد سردته بكليته استطرادا في مسألة ستقف عليها إن شاء الله تعالى، ومثل نظم العالم المؤرخ بَابَكَّرْ بن احجاب الديماني وكانت عندي نسخة منه بخط محمد فال بن البَنَّانِي قد كتبها لي في بتلميت منذ دهر فيها وفيات الكبراء وحوادث

غير ذلك ابتدأه من عام 1195 وانتهاه عام 1314، راجع ما كتبت عنه في ترجمة الناظم.

ووقفت على منظومة المختار بن المحبوبي اليدالي في الحوادث ايضا وذكرت خبرها في ترجمته وهي التي ذيلها بنظم له ايضا في الحوادث التي طرأت بعد ما نظم. ومثل هذين النظمين منظومة العالم الصالح القاضي محمذ بن محمد فال في تاريخ الحوادث منذ الاحتلال الفرنسي. ووقفت على تاريخ تجكّجَ وعندي نسخة منه بخط محمد بن الإمام بن عبد القادر بن سيد بن الحاج العلوي، ولا يعتني إلا ببعض الوفيات وبعض الولادات والإغارات والجدب والخصب وغير ذلك.

ووقفت كذلك على صحيحة النقل في علوية إد وعل وبكرية محمد قُلّ جد الاقلال وهي للعالم الجليل سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي وليس فيها أكثر مما عنونها به وعندي منها نسخة لابأس بها كانت من خزانتنا قديما. ووقفت على نسخة من مؤلف صغير للسيد محمد المختار الملقب خونَ بن حمى الله بن خطر بن طالب المحظرَ أحد رجالات أولاد محمد مسلم ذكر فيه آباءه وترجم لرجال من الشرفاء، ولم يزد فيه على نسب القبيلتين المذكورتين ومبدأ امرهما وبناء قرية تيشيت كان عند رجل من أولاد محمد مسلم المذكور أوقفني عليه. وفي التراجم المذكورة ذكر رجل من المترجمين كان مريدا للشيخ سيدي.

ووقفت على إتحاف المبتغى في أخبار تندغا افتخر فيه مؤلفه الشيخ عبد الله بن والد بن صلاح بقومه تندغ وكان ألفه للشيخ احمدُّ بَنْبَ يريه فيه أن أكثر العلماء والصلحاء في هذه الارض من قبيلة تندغ وفيه نتف قليلة من التاريخ.

ورأيت كتاب أحمد بن أحمد بن سيداسين في أخبار إداشغر وكان ألفه عام 1333 وأعطى نسخته والدنا الشيخ سيدي باب وضم إليها أنظاما تاريخية بين فيها أصل إداشغر واتصالهم بالحسنيين ولم يبين عن أي وجه كان ذلك الاتصال.

ووقفت على منظومتي العلامة المختار بن جَنْگ اليدالي إحداهما في وقائع شرب وأمرائها والأخرى في مدافن تشمش في إكِيدِ خاصة كلتاهما بخط المؤلف وكان أهداهما للوالد الشيخ سيدي باب ولاتزالان عندي.

ووقفت على منظومة الشيخ والد الديماني في تاريخ وفيات بعض أمراء التراوزة والبراكنة وهي عندي.

ورأيت ما ألف من نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ للعالم الجليل محمد المعروف

بَيَدَّ بن سدين العلوي أسسه على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وفي الجميع الفوائد والتاريخ إلا أنه لم يتم. وقد أرسل إلي السيد العالم الاخ الصالح المحب محمد فال الملقب اباه بن عبد الله بن محمد فال الملقب اباه بن باب بن أحمد بَيْبَ نسخة منه جيدة جزاه الله أحسن الجزاء.

وقد ألف لي العالم القاضي محمدٌ بن أحمدُ فال توشيحا جيدا على النزهة المذكورة لما طلبتها منه قبل ان اطلبها من اباه المذكور جلب في التوشيح المذكور اكثر ما في النزهة.

ورأيت كذلك إفادة الغَيَبِ والجُلاَّسِ في مناقب شيخنا ابي العباس للسيد محمد الامين بن بَدَّ في ترجمة والده نسخة منه قدم بها على أخونا محمد فال ابن التجان وكتبت منه أشياء وفيه ذكر للشيخ سيدي لا بأس به، وقد احسن محمد الامين المذكور في ترجمة والده.

ورأيت كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الامين العلوي نزيل القاهرة المتوفي سنة 1331 وهو أول من اعتنى بذكر غير قبيلته فله فضيلة السبق.

ذكر في تأليفه ثمانين ترجمة بالشاب الشاطر منها ثمانية عشر من العلويين واثنان من الاقلال وتسعة من إديقب تاسعهم صلاح بن الشيخ محمد المامي وخمسة من أولاد ديمان من بينهم صلاح من تَمَكَّلَ والمختار بن ألمَّا البدالي وذكر الشيخ سيدي والشيخ سيد محمد ابنه وأورد من شعره أكثر مما ذكر لكل شاعر وجرى لأولاد ابيير فيه ذكر غير مرضي ولكنه يغتفر في جنب ما افاد به وذكر اربعة من تجكانت وخمسة عشر من إداب لمسن وأربعة من تندغ وثمانية من المجلس واثنين من لَحْرَاكَاتْ وذكر عشرة رجال وقال انهم افراد من قبائلهم وختم بالشاب الشاطر فتمت التراجم ثمانين ترجمة.. ولو أن كل قبيلة أخذت ما كتب عنها وزادته بما ينبغي ان تزيد به لتكامل كتاب أدب عن موريتانيا..

وقرأت كتاب والدنا الشيخ سيدي باب في أخبار إدوعيش وأولية أهل بلاد موريتانيا وأنساب بعض قبائلها وما جرى بينهم، وذكر فيه أولاد ابيير وما جرى بينهم مع تندغ ثم إجيجب ذكرا جميلا مختصرا.

وقرأت كذلك ذيله للعلامة محمد فال بن باب ذكر فيه المغافرة وحروبهم ورئاساتهم وجرى فيه ذكر للشيخ سيدي.

وقرأت الرسالة الغلاوية للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار وهي عبارة عن تأليف كبير فيه أنساب كُنْتَ وتاريخ دخول من دخل منهم أزواد وتاريخ أوائلهم وفيه النقد اللاذع لعبد الله بن سيد

محمود بسبب استحلاله لقتال كنت وفيه فقه كثير يحتج به لذلك وفيه تاريخ مهم...

وقرأت كذلك رحلة الطالب أحمد بن اطوير الجنه واختصرت منها أشياء ذكر فيها رحلته إلى الحج، وطريقته التي سلك ومن لقي وما جرى له مع أهل ليبيا وكم لبث فيها وما جرى له مع سلطان المغرب المولى عبد الرحمن وغير ذلك وهي مجلد ضخم.

وقرأت كتاب ذات ألواح ودسر للسيد سيد احمد بن أَسْمُهُ الديماني ذكر فيه أخبار أولاد ديمان ومن مدحهم، ورد فيه ذكر الشيخ سيدي وابنه الشيخ سيد محمد وورد فيه ذكر إدميجن وقصة أَمَّنْ يُوسَفْ والفالليّ بن باب احمد.

وقرأت كذلك فتح القدوس في إبطال أسس المكوس للعلامة أحمد الصغير المِسْلِميّ التيشيتي وكتبت منه تاريخ الأغفار وأهلها وسببها، كان عند بُعَسَرِيّ في بتلميت وأوقفني عليه.

وقرأت كتاب البادية للشيخ محمد المامي وانتسخت منه نسخة جيدة فيه العلم الحقيقي والأصول والعوائد المحلية والاحتجاج لحالة أهل بارك الله فيه مع أتباعهم وطرق فيه كثيرا من أبواب الفقه.

وقرأت كذلك فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي ذكر فيه مؤلفه اثنتي عشرة ومائتي ترجمة فيها بعض من علماء فاس وبعض من علماء موريتانيا والباقي علماء أُرَوَانْ وتُنْبُكْتُ وولاته وبوجبيه.

ورأيت ما يتعلق بالترارزة من كتاب محمد بن أمينُ بن الفَرَا أحد علماء إشُكَّانِنْ ويسمى الكتاب المذكور "الكَرْشَ" وذلك استعارة عن الذي يجمع فيه من الأنساب والأخبار والتاريخ والحكايات والأحكام وغير ذلك؛ وبلغني في الأزمنة الأخيرة أن أهله لايزالون يحتفظون به غاية الاحتفاظ، وقد حصلت لنفسي منه أكثر ما يتعلق بأولاد أحمد بن دمان.

وحصلت كذلك نسخة لا بأس بها من كتاب امحمد بن احمد يوره المعروف بإخبار الاحبار بأخبار الابار وهو كتاب نفيس فيه تفسير أسماء بربرية وتعاليق تاريخية وقد ورد فيه ذكر لبعض أولاد ابيير بما في ذلك إدگشم القبيلة المعروفة منهم.

وحصلت كثيرا من المنظومات المختصة بأنساب بعض القبائل وتواريخ لوفيات أعيان من علماء موريتانيا ورؤساء منهم أيضا.

وقرأت كتاب محمد عبد الله بن البخاري بن الفلالي من أهل مسك بن بارك الله فيه ذكر أولاد باركلل

الشمانية ومشاهيرهم وأرضهم وأولية مواليهم وأتباعهم وهو كتاب نفيس ورد فيه ذكر رجل من أولاد ابيير ومولى من صلحاء مواليهم وورد فيه ذكر الشيخ سيدي في الاحتجاج لما يقال في البخاري ان الشيخ سيدي لم ينكر عليه.

ورأيت شجرة لمجَيْدُرِ بن حَبَّلَلْ في أخبار إديقب والقصيدة التي نظمتها وشرحها وكنت طلبتها من بعض اليعقوبيين في نواكشوط ووعدوني بنسخة منها وإلى هذا الوقت أوائل أغشت 1974 لم يفوا لي.

ورأيت كتاب أخبار السُّماسيد وليس فيه كثير من أنسابهم ولكن مؤلفه ملأه بتاريخ وقائع آدرار وذكر فيه خوارق لبعض رجال أهل شمس الدين.

ورأيت مؤلف ابن عبد الحي في أخبار الركَّيْبَاتْ وانتقيت منه ما جرياتهم مع الجكنيين أهل تيندوف وأسبابها ومصايرها وفيه تحديدات لتواريخ رجال من الركَّيبات في الأحوال الشخصية يظن بعض المؤرخين أنها تقريبية لا تحديدية وهو مليء بذكر الحروب والأحداث الجارية في ذلك الزمن.

وقلت قبيلة إلا وعندها كتابة عن أجدادها وأوليتهم.

وقصدي من ذكر هذه المؤلفات كلها إبانة كونها محلية مقتصرة على المؤلفة فيهم فقط وليس فيها ذكر لغير ذلك.

فلما رأيت الأمر هكذا اخترت أن أكتب عن قبيلة أولاد ابيير وقد أدركت أوان ابتدائي في الكتابة عنهم كثيرا من ذوي الشيبة العارفين بأخبارهم.

والتواريخ التي ذكرت لكل من ابتدأت في الكتابة عنهم لا تقتضي الترتيب إنما وضعتها لتاريخ أخذ الخبر عن الطائفة التي أكتب عنها.

وكنت ألتزم أن لا أنقل كلام بعضهم عن الآخر وإنما أعتمد على عدل من طائفة معينة فآخذ عنه خبرها وتارة اثنين أو أكثر وغالبا أسمي المروي عنه وأؤرخ للرواية.

وقد عرض لي توقف عظيم في أثناء العمل أتركه رأسا لأحداث وماجريات سياسية لئلا أكتب متأثرا بها مما أدي إلى التأخير وبقاء أكثره في مسوداته ومع الموانع فإني أكتبه وأنا عامل في التعليم وتارة في القضاء.

وبعد ما حصلت مسودة كل فخذ على حدة ووصلت إلى ذكر الشيخ سيدي في ذكر إخوته بما في ذلك

أخواه اللذان هنا أقدم منه مولدا والذي تأخر عن ولادته سر مدت الكتابة في تحصيل أخباره لأنها تستحق الاهتمام وتستحق الاعتناء لانحصار كثير من الامور عليه في الزمن الذي عاش فيه لا بالنسبة لقبيلته فقط بل لسائر من يجاوره من أنواع الخلق من جميع الجهات. ولا على من ليس عارفا بذلك إلا أن يراجع أشعار الشعراء في زمنه التي هي بمثابة أمهات الصحف والجرائد السيارة والمجلات كذلك ورسائلهم الموجهة إليه واستفتاءات أنواع الناس له عن سائر أنواع العلوم الشرعية والعقلية والنقلية والعربية ويراجع أجوبته عن مختلف الأسئلة. ولا لوم علي إن أطلت في خبره لأني وجدت مكان القول ذا سعة ولكني لم أجد لسانا قائلا إلا ما يفتح الله تعالى به بسبب بركة الصالحين وفائدة ذكرهم.

ولم أجد وقتا لتحليل رسائله ولا للكلام على جوانبه كلها لكثرة ما عرض لي من أموره التي اخترت نقلها كما هي ليلا تضيع وأبقي المجال للمطالعين الناقدين ليستنتجوا ما ظهر لهم وينتقوا ما راق عندهم.

وقد اطرد عند الناس من قديم الزمان تراجم الأبناء للآباء فمن ذلك ترجمة السبكي الكبير علي بن عبد الكافي التي كتبها عنه ابنه عبد الوهاب وهو السبكي الصغير وهو أيضا ابن السبكي في الجزء السادس من طبقات الشافعية الكبرى جاءت في إحدى وثمانين صفحة ابتدأها من صفحة 146 إلى صفحة 227، ذكر فيها نسبه وعلمه وتاريخ ولادته وبعض أجوبته عن الأسئلة العلمية التي ترد عليه وثناء الأئمة عليه وذكر حفظه للمتون العظام واستحضاره لها وتعظيمه للصوفية ومدافعته عنهم وقوله: "طريق الصوفي إذا صحت هي طريقة الرشاد التي كان السلف عليها". وأعيد أنا هنا مقالة ابن السبكي في أبيه السبكي وهي ما لفظه:

"وأنا أعرف أن الناظرين في هذه الترجمة على قسمين قسم عرف الشيخ كمعرفتي وخالطه كمخالطتي فهو يحسبني قصرت وقسم مقابله فهو يحسبني بالغت فيه والله المستعان". انتهى بلفظه. وذكر ابن السبكي الأشياء التي انتخبها السبكي مذهبا وارتضاها رأيا لنفسه وذكر من هذه الأشياء أن شارب الخمر ينجس باطنه ثم لا يمكن تطهيره أبدا وأن الوفاء بالوعد واجب وأن الخلع ليس بشيء وذكر شيئا من مباحثه ولطائفه التي سمع منه ولم يودعها تصانيفه وربما وجد بعضها بخطه في مجاميعه وذكر شيئا من مقالاته في أصول الديانات وذكر عدد مصنفاته وذكر تاريخ وفاته وما سمع من مراثيه وهي

كثيرة.

وألف الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار كتابه الشائع المتداول بين الناس وهو كتاب الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد رتبه على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة، وفي المقدمة وفي بعض تلك الأبواب فصول. ذكر في المقدمة إثبات الكرامة وحدها وشرطها والفرق بينها وبين المعجزة وسائر الخوارق الظلمانية وما يجوز أن تبلغ إليه الكرامة وبيان عدم الأفضلية لشخص بظهور الكرامة على غيره ممن لم تظهر على يديه والرد على منكريها. وذكر في الباب الأول مولدي الشيخين وعصريهما ونسبهما وابتداء أمرهما وكيفية طلب الشيخ رضي الله تعالى عنه العلم ورحلته فيه وصبره عليه ومن أخذ عنه. وفي الباب الثاني ذكر ورعه وزهده مع كثرة ذات يده وصبره وحلمه ووقاره وعفوه وشجاعته وسياسته وبدائع أخلاقه، وفيه خمسة فصول. وذكر في الباب الثالث علومه وفضله وأساليب تربيته وفيه ثلاثة فصول. وذكر في الباب الرابع معاملاته مع الظلمة والرؤساء وعوام الأمة وحاله مع الطلبة والجيران والأهل والإخوان، وفيه فصلان. وذكر في الباب الخامس غرر كراماته الاتفاقية ودرر خوارقه الخالدة الباقية. وذكر في الباب السادس إجماع أعيان الأمة بهذه الأعصار من سكان البوادي والأمصار على جلالته وإمامته في العلم بالكتاب والسنة ونفوذه في علم التصوف والباطن نفوذ الأسنة والاقتداء به والاستجازة منه والتسليم له والرحلة للأخذ عنه واتباعه السنن القائمة وإماتته البدع المحدثة. وذكر في الباب السابع وصاياه ورسائله التي لا تستقل تأليفا وجملة من فائق نظمه الرائق وشعره المفيد الفائق وما ظهر واشتهر وشاع في الآفاق وانتشر من بركاته وزوائده ونفحاته وعوائده على أهله وأحبابه ومريديه وأصحابه، وذكر وفاته واحتضاره واختيار الله تعالى له من دار المحنة إلى دار القرار في جواره. وذكرفي الخاتمة شرح كرامات الشيخة الوالدة وذكر سيرها وأحوالها وآدابها وحبها لربها وابتهالها وعفتها وصيانتها وحياءها وكرمها وحلمها واحتمالها وسخاءها وشفقتها على الخلق وتواضعهاولين جانبها وخفض جناحها للضعفاء والمساكين وشدة خوفها من ربها وقلقها بالبكاء والحنين في كل وقت وحين مع شرف نفسها وعلو همتها إلى الحد الفائت، وفيها فصول.. وفي هذا الكتاب علوم جمة وأخبار كثيرة غير ما ذكر في التراجم وردت استطرادا. وقد ألفه الشيخ سيدي محمد في أخبار شاهدها أو شاهد أكثرها واتصلت رواية من حدثه عنها بما حدثوا عنه وتراه يذكر رسائل لوالدته لم يجدها ويعتذر عن أشياء لم تصله وهو مع كل ذلك عالم محرر

متتبع للأخبار عن كثب، فكيف يحاكي من كتب في مثل ما كتب عنه من لم يشاهد مثل ما شاهد ولم يلق مثل من لقي في قرب السند؟ ولكن الله لطيف بعباده.

وهذا النمط الذي بوب به كتابه لم أقتفيه فيه بنصوص الأبواب ولا الفصول لأنه قصر كتابه أولا على شخص واحد معين فأمكنه تبويبه على ما يريد وأنا قصدت أكثر من ذلك وهو ذكر كل من قد كانت بينه مع الشيخ سيدي وابنه وابن ابنه صلة أو وسيلة فتشعب لذلك ما أكتب مع المحافظة على الاقتصار ما أمكن والاكتفاء ببعض الأخبار عن كلها.

وقد ألف العالم محمد محمود بن سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي كتابه المسمى بالدر الخالد في ترجمة الوالد يعني والده سيد عبد اللّٰ ولم يطل فيه كثيرا. وقد قرأت تأليفه واستفدت منه أشياء. وكان ما كتب محمد الأمين بن بَدّ عن والده أبسط منه في نظري.

وقد ترجم محمدٌ بن يحيى بن أحمدٌ قال لوالده ترجمة حافلة ذكرها في أول شرحه لنظم والده لمختصر خليل المشهور عند الناس، ذكر فيها ابتداءه في الطلب وما حصل منه وعند من حصله إلى غير ذلك وقد اختصر لي منها مختصرة لابأس بها كتبتها في محلها من أخبار تندغ.

وقد ألف أديب المغرب وحافظه الشيخ أحمد بن محمد المغربي التلمساني المتوفي سنة 1041 كتابه المعروف بنفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب في عشر مجلدات كبار لم يصل إلى ذكر المترجم إلا في آخر الجزء السادس. ولم يزد ابن الخطيب على كونه كان وزيرا للغني بالله ابن الأحمر وقد قدم معه على السلطان أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني وهما مخلوعان سادس المحرم فاتح سنة إحدى وستين وسبعمائة وأنشد ابن الخطيب قصيدته الرائقة يستعطف بها السلطان أبا سالم وأولها:

سلا هل لديها عن مخبّرة ذكـــــر ... وهل أعشب الوادي ونم به الزهر

وهي من غرر الشعر ومنها في وصفه لنفسه:

وإن عركت مني الخطوب مجربًـا ... نقابا تساوى عنده الحلو والمـر

فقد عجمتْ عوداً صليبًا على الردَى ... وعزما كما تمضي المهندة البُتر

إلى آخرها. والنقاب بالكسر الرجل العلامة، كما في القاموس. وقد قتل ابن الأحمر وزيرَه ابن الخطيب

ويكثر في نفح الطيب الاستطراد والخروج عن الموضوع الذي عقد الكلام أول الأمر له لأدنى مناسبة ويكثر فيه التكرار أيضا وذكر الشيئ الواحد في مواضع متعددة. جعل مقدمته إحدى وعشرين ومائة صفحة وذكر في القسم الأول ثمانية أبواب: في الأول منها وصف جزيرة الأندلس في 89 صفحة وفي الباب الثاني فتح الأندلس في 91 صفحة وفي الباب الثالث سلطان المسلمين في الأندلس في 122 صفحة وبه كمل الجزء الأول. وفي الباب الرابع ذكر قرطبة ومشاهدها في 212 صفحة وفي الباب الخامس ذكر من رحل من الأندلسيين للمشرق وانتهى فيه النصف الثاني من الجزء الثاني والجزء الثالث بكماله. وفي الباب السادس ذكر الوافدين على الأندلس من المشرق في 145 صفحة وفي الباب السابع ذكر فضائل أهل الأندلس، استغرق نصف الجزء الرابع والجزء الخامس بكامله و81 صفحة من الجزء السادس. وفي الباب الثامن خروج الأندلس من يد المسلمين في 226 صفحة. ووصل إلى القسم الثاني في التعريف بابن الخطيب في ثمانية أبواب في بقية الجزء السادس والأجزاء التي تليه وهي السابع والثامن والتاسع والعاشر. ففي الباب الأول من هذا القسم أولية ابن الخطيب وذكر أسلافه واستطرد ترجمة أبي يحي بن عاصم لأبيه أبي بكر بن عاصم. ومن مستحسن هذه الترجمة ما نصه: "إن بسطت القول أو عددت الطول وأحكمت الأوصاف وتوخيت الإنصاف وأنفدت الطروس وكنت كما يقول الناس في المثل من يمدح العروس وإن أضربت عن ذلك صفحا فلبئس ما صنعت ولشر ما أمسكت المعروف ومنعت ولكم من حقوق الأبوة أضعت ومن ثدي للمعقة رضعت ومن شيطان لغيصة الحق أطعت ولم أرد إلا الإصلاح ما استطعت وإن توسطت واقتصرت وأوجزت واختصرت فلا الحق نصرت ولا أفنان البلاغة هصرت ولا سبيل الرشد أبصرت ولا عن هوى الحسدة أقصرت". إلى آخر ما أورد منها صاحب نفح الطيب.

وأنا أقول بصراحة ما قال ابن ابن عاصم في ابن عاصم لاستحقاق المؤلف في أخبارهم لكل ذكر جميل لاتفاق معاصريهم على اتصافهم بكل ما يرفع الذكر ويجزل الذخر ويبقي الأجر.

وقد انتهى الباب الأول مع انتهاء الجزء السادس، وفي الباب الثاني نشأة ابن الخطيب وترقيه ووزارته في 115 صفحة وفي الباب الثالث ذكر مشايخه الجلة، وفي هذين البابين انتهى السابع وابتدأ الثامن إلى 116 صفحة. وفي الباب الرابع مخاطبات الملوك والأكابر الموجهة إلى لسان الدين في 151

صفحة، وفي الباب الخامس جملة من نثره ونظمه وأزجاله وموشحاته وهذا الباب هو أهم أبواب هذا الكتاب وهو المقصود بتأليفه أصلا وغيره كالتبع له انتهى فيه الجزء الثامن، وابتدأ في التاسع إلى 302 صفحة، وفي الباب السادس ذكر مؤلفاته انتهى فيه الجزء التاسع. وفي الباب السابع الذي هو أول الجزء العاشر ذكر بعض تلامذة ابن الخطيب في 148 صفحة، وفي الباب الثامن ذكر أولاد لسان الدين. وفي هذا الباب ترجمته لابنه عبد الله في 215 صفحة وبه انتهى جميع الكتاب.

وقد وقفت على هذا التأليف بعد اشتغالي بكتابة هذه المجموعة بزمن وأجدني تقريبا صنعت مثل صنيعه إلا أني لم أجعل لما أكتب أبوابا ولا فصولا، إنما هو شيء يترتب لمناسبات وما كنت أظنه يعلم به أحد ولا يهتم به وكنت أخفي أمره برهة من الزمن وأتوقف عن الكتابة أحيانا كذلك.

وقد رأيت الكتاب المسمى بالكشكول لخاتمة الأدباء الشيخ بهاء الدين، محمد بن حسين العاملي المولود بقزوين سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة والمتوفي بأصفهان سنة ثلاث وألف، قال في أوله: "ولما لم يتسع المجال لترتيبه ولا وجدت من الأيام فرصة لتبويبه بعثته كسفط مختلط رخيصه بغاليه أو عقد انفصم سلكه فتناثرت لآليه". ملأه بالتفسير وكلام الصالحين وحكم الملوك والأشعار النادرة على غير نظام.

وفي كل ما ذكر أسوة. وكان من حقي أن أجعل ما أكتب عن الشيخ سيدي مثل ما كتب الشيخ سيد محمد عن والده ولكني عدلت عن طريقه وتبويبه وتفصيله بالحرف وتبعته بالعمل حكما إلا أن كل شيء يكتب عن الشيخ سيدي يجب أن يعم وأن يوسع وأن يذكر فيه كل من قد خالطه بأي نوع من أنواع المخالطة بتلمذة أو كتابة إليه أو وفادة عليه أو خدمة، أو نسخ له كتابا أو سكن في حضرته أو أتاه مستفيضا أو مستعينا به على نوائب دهره الكثيرة المختلفة المختلطة أو مستفتيا له عن أي نوع من أنواع العلوم أو غير ذلك من الأنواع المذكورة في الأشعار التي مدح أو رثى بها.

وقد عرف أهل القطر الذين كانوا معه وشاهدوا أخباره واطلعوا على أحواله أنه لم يظهر في القرن الثالث عشر مثله وأن ترجمته تستحق أن تعظم وتطول وأن تكون أكبر وأكثر من نفح الطيب ومن الطرائف والتلائد وذلك لاتفاق حضرة أهل الشيخ سيدي المختار على أنها لم يخرج منها مثله بل قد قال بعض حفدة الشيخ سيد المختار إنهم لم ينتفع منهم أحد بعد ذهاب الشيخ سيدي عنهم، وليس

ذلك ببعيد. وسترى أسماء رجال منهم أخذوا الطريقة عنه وصرحوا بأنهم من تلاميذه.

وما كنت قدمت ذكره اني كتبته عن أحياء أولاد ابيير على الوجه الذي ذكرت يحتاج للمراجعة لأنه طرأ على الكتابة نوع آخر من التراجم وظهر رجال ممن ذكر وهو لا يستحق غير ذلك الذكر وصار بعد ذلك في أحوال يجب ذكرها للعارض المذكور وتطورت الأحوال ولزمت إعادة النظر في أكثر ما تقدم. وقد قال العماد الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر". انتهى كلامه. ولكن لا بأس إن شاء الله تعالى، فقد تكامل أكثر المسودات وحصل أكثر ما يستخرج، منه مالم يسود بعد والله تعالى المرجو للإعانة على التبييض بعد التسويد وعلى الجمع بعد التفريق وعلى الإتمام بعد النقص وأن يشمل كل ذلك باللطف والستر وأن يلحقه بالقبول ويجعله مرضيا آمين.

وقد نظر بعض القبائل ما كتب عنه وارتضاه واستحسنه ومنهم من قرظه وسيقف القارىء له على كل ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعه.

وقد جمع من الجزء الخاص بالشيخ سيدي يعض الآمريكيين وهو شارل استوارت رسالته التي هيأ لشهادة الدكتورا وقبح بها في ميه 1970 ونشرها باللغة الانكليزية وبعث لي منها نسخة، وستقف على خبره فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وكنت بدأت في الكتابة عن الشيخ سيدي يوم الاثنين الرابع والعشرين من المحرم فاتح سنة 1386في تاريخ الهجرة، 16 ميه 1966 وذلك بعد وفاته بعامين ومائة سنة.

وقد كان أخونا أحمدُ ابن احْبَيِّبْ اليدْمُسِّيُّ سألني عن عشر مسائل تتعلق بالشيخ سيدي ليضمنها إلى باب العشرة من كتابه في الأعداد فأجبته عنها على ترتيب أسئلته وجعلت ذلك مبدأ الامر وتابعت الكتابة عنه وعن كل ما يتصل به من ذلك التاريخ إلى أوائل يوليه 1974. فكتبت من خبره وخبر القبائل معه تسعة وثلاثين دفترا كل دفتر في مائة صفحة وأكثرها صالح للبقاء بكيفيته إن شاء الله تعالى.

وفي هذه المدة المذكورة اتصل خبر هذا الذي أجمع بالحكومة الموقرة وقدم على بتلمسيت وزير الشؤون الثقافية وهو في ذلك التاريخ السيد حمدي بن المكناس فاستدعاني وأمرني بالكتابة إليه في شأن هذا

الكتاب وكان إذ ذاك المتولي للشؤون الثقافية تحت إشراف الوزير المذكور السيد محمد بن محمدٌ ابن داداه فكتب لي بأمر الوزير وكان هذا أول اتصال بالحكومة في خبره. وامتد ذلك إلى أن تولى السيد محمد عالي الشريف الشؤون الثقافية وصارت تابعة لرئاسة الجمهورية وكاتبته وكاتبني وشرع في تيسير كل ما أمكنه من العون. وفي ذلك الأوان لقيت السيد رئيس الجمهورية السيد الأستاذ المختار ولد داداه ولم يتوان في المساعدة والتشجيع، أعاننا الله تعالى وإياه آمين. وكان نائب السيد محمد عالي شريف مرة السيد عبد الله بن مولود ابن داداه ونفذ كل ما تركه السيد محمد عالي لم ينفذ بعد، فجزى الله تعالى الجميع أعظم الجزاء وأحسنه.

ثم انتقل أمر الشؤون الثقافية إلى السيد يحظيه بن سيد احمد ولقيته وكتبت له وكتبت بواسطته وكان من المتفهمين للأمر المعينين فيه. وصارت بعد ذلك إلى نظر السيد أحمد بن محمد صالح وكان من خيار المهتمين بأمري والمتهيئين للمساعدة عليه.

ثم صار الأمر بيد معالي السيد الوزير أحمد بن سيد باب وكان محبا للثقافة مائلا إليها ولم يدخر وسعا في الإعانة والتشجيع.

وفي هذا الأثناء أمر رئيس الجمهورية السيد الأستاذ المختار بن داداه باستراحتي من عمل التعليم وتفريغي للأبحاث التي أجمع منها هذا التأليف وواصل عونه المادي والأدبي وتشجيعه المتكاثر أعانه الله تعالى وتقبل منه آمين.

ووقعت المراسلات مع المنظمة العالمية الثقافية بواسطة الحكومة منذ أعوام وذلك بعد ما قدم علي ممثلها في موريتانيا عند بتلميت ورأى ما استكثر من الوثائق والمخطوطات والأشياء المهمة ولكن أمرها لم يتم إلى حد الآن. كل ما ذكر للعون على التنقلات في الخارج لزيادة المعلومات التي تعين على مصادر هذه الأشياء التي تجمع.

وقد سافرت إلى مالي ودخلت بلاد أزواد ولقيت كثيرا من رجالات أهل الشيخ سيدي المختار لأن أولية الشيخ سيدي في الطريق الصوفية القادرية البكائية تستلزم الكثير من ذكر أخبارهم. وسافرت إلى نجيمر ودخلت مدينة انيامي ورأيت فيها بعضا مما كنت أتطلب ولم تنته الحاجة بعد من بعض النواحي الخارجية وعسى أن تتيسر زيارة الأماكن التي لا أشك أن بها آثارا كثيرة مما أرغب في الحصول عليه. وقد سافرت في الداخل أيضا وزرت أحياء بعضها في الولاية الخامسة وبعضها في الولاية السادسة

ووجدت في تلك الزيارات ما تحققت به أن الذي أطلب موجود في مظانه إن تيسر الوصول إليها. وبقيت نواحي في داخل موريتانيا لم أجد حالة للوصول إليها بعد وفيها في غالب الظن الشيء الكثير مما ينبغي البحث عنه، وفي المستودعات الحكومية وغيرها.

وفي المملكة المغربية وقد جرى ذكرها فيما قد كتبت ولكنه ذكر قليل دعت له ضرورة اتصال الروايات بعضها ببعض وكان ذلك قبل اتفاقها مع الحكومة فلذلك جرى ما جرى على التحفظ ومازلت أرجو أن تتسنى لي زيارتها لكثرة رجاءي في الاستفادة من ذلك إن شاء الله تعالى.

كما كان عندي من المقرر الذي لا غنى عنه زيارة فرنسا للاطلاع على ما أمكن الاطلاع عليه مما عسى أن يكون انتقل إليها من الأخبار الخاصة والعامة مما لم يبق منه ما يستدل به عليه في أرضنا. ولم أكن قد كتبت ترجمة ولا مقدمة ولا شيئا عما أجمع، إنما أشرع في نفس الغرض المطلوب. ولما زرت نواكشوط في أواخر يونيه وأوائل يوليه من هذا العام الذي هو عام 1394هـ 1974م ولقيت معالي السيد الوزير أحمد بن سيد باب وهوالذي أعمل تحت إشرافه في الحال قال لي انه لابد من إظهار شيء من هذا الذي أجمع للناس وطبعه في شهر شتمبر من السنة المذكورة فاعتذرت له بالواقع من عدم الترتيب وعدم التنقيح وعدم استكمال الأبحاث وتفرق موضوعاتها، فصمم على الأمر.

ولما لم أجد بدا من الموافقة على ما أراد شرعت في كتابة هذه المقدمة مبينا أن الذي يمكن أن يعرض لما قال هو الأجزاء المختصة بالشيخ سيدي في الحال وهي التي فيها القبائل الموريتانية وجعله مقصدي الذي هو تقديم الرابطة والنظر إلى تلك الصلات الوثيقة بمحورها الذي تدور عليه وتتفرع منه بلا خلاف فأتوصل لذكر القبيلة الكبيرة بسبب فرد أو أفراد منها يقدمون عليه ويصحبونه في الدين ولم يمكني نشر خبره إلا بهذه الطريقة لأحقق كل فتوى وكل مؤلف وكل شعر وكل رسالة صدر منه لمن صدر وفي أي موضوع.

وتنوع موضوع المؤلفات أمر شائع ذائع ومنه ما ذكره صاحب القاموس في مادة زغل ولفظه: "ومحمدُ بن الحسين بن محمد بن الحسين البنجديهي الزاغولي مصنف كتاب قيد الأوابد في أربعمائة مجلد يشتمل على التفسير والحديث والفقه واللغة". انتهى المراد منه.

فكتبت ما كتبت في أجوبة ابن اخْبَيِّبْ وبنيت عليه وذكرت رحلته العلمية ومشائخه وأخبارهم وأخبار أهل الشيخ سيدي المختار بصفة خاصة وما جرى له مع الشيخ سيدي المختار وابنه الخليفة الشيخ

سيدي محمد وابنه الشيخ سيدي المختار الصغير الملقب باد وما جرى له مع سيدي اعمر وسيدي حبيب الله ابني الشيخ سيدي المختار وما قال في الكل من الشعر مدحا ورثاء وطرفا من رسالته التي كتب للشيخ سيدي محمد يطلب منه الاذن في الرجوع إلى أهله وجواب الشيخ سيدي محمد له وحالته التي تميز بها في تلك الحضرة وعرف بها وما حصل من الكتب هنالك وما قدم به من مؤلفات أهل الشيخ سيدي المختار ومن ذكره من علماء تلك البلاد في مؤلفاته. ووصلت من ذلك إلى التواريخ المحققة في رحلته بكاملها ومدة زمنه هنالك وتفاصيلها ثم رجوعه إلى بلاد الگبْلَ ومن تلقاه أولا فأولا وكيفية تكون حضرته وأين تكونت وكان ذلك من أول أخبار القبائل معه، وما كتب في أخبار أولاد ابيير فيما بينهم وفيما بينهم مع الغير وما عالج من كبريات مسائلهم مع القبائل المجاورة لهم وما جر إلى ذلك من أخبار إمارات المغافرة المحيطة به وإمارة غيرهم وسائر أهل الشوكة ومن اتصل به من غير البياضين من سائر طوائف السودان الموريتانيين بالأصالة والتوطن وغيرهم من أهل سينگال وگمبيا وگينى ومالي وصراليون وغير هذه الأصقاع النائية. فإن أهل مكة قدموا عليه وأهل الطائف فضلا عن أهل المغرب.

ولا أطيل القول هنا بل أترك الناظر يقرأ الرسائل والأشعار والأخبار التي سيراها منشورة أمامه إن شاء الله تعالى وشهادة العيان مغنية عن الخبر.

ويمكن لقائل أن يقول انه حدد الترات الوطني فعلا من جوانبه وذلك برسائله الإصلاحية إلى النواحي فنراه كتب لأهل تيندوف فيما جرى بينهم مع الركيبات رسالته الرائقة ونراه ركتب إلى وَادْ نُونْ بنفسه ليبره منهوبات أهل الشيخ سيدي المختار من أزواد التي نهبها قبائل تكْنَ ويكتب لرؤسائهم بالزجر والوعظ ويحكم عليهم بعد ذلك ببطلان مبيعاتهم فيما نهبوا ويكتب فتواه بذلك وينشره أمام من ينتسب للمعرفة.

ويكتب لأهل فوتَ قرب كيهيدي رسالته لأولاد السيد وأولاد اعل من عبد اللّٰ ليحترموهم بحرمة الإسلام والمجاورة والأخوة في الدين وهي رسالة قيمة تظهر ما كان بين الطائفتين المذكورتين في ذلك الوقت وتبين مدافعته عن المستضعف والمظلوم.

ويكتب لأمراء الترارزة على شاطئ البحر من الجنوب الغربي الرسائل الطوال في الحسبة وفي شأن الإمارة وفيما للأمير على رعيته وفيما لها عليه وفي غير ذلك.

ويكتب لأولاد يحي من عثمان في آدرار يأمرهم وينهاهم ويعظهم ويحضهم على العدل بين الناس فيما ولاهم الله.

ويكتب لإدوعيش رؤساء وسوقة في كل المسائل الجارية في تلك الأزمنة التي لا يعلمها إلا من حضر أمرها أو نقله متواترا.

ثم الكيفية التي عمل بها ليستقر وتستقر حضرته من الموافقات مع كبراء العرب ودخولهم رغبة في جملة من تلمذله والحالة الاقتصادية التي بني عليها اقتصاده واقتصاد المتعلق به من سائر الأصناف وحالته السياسية مع سائر الزوايا ثم يتصل الكلام بعد هذا في أمر القبائل. وأقول هنا أن منهم من راسلته فأجاب واستجاب وفهم المقصود وأعان عليه، وأخص ممن هذه صفتهم قبيلة العلويين وقبيلة تندغ الشرقيين، فقد أعان كل من هاتين القبيلتين بأكثر ما أمكنه، ومنهم من لا تجيب ولا تستجيب ويظهر ذلك في الأخبار عنها.

وممن أعان من القبائل قبيلة إداب لحسن وسيقف القارئ على كل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وربما رأيت خبرا أولا عن قبيلة ويكون غير كاف وأكتبه في الحال لئلا يتجاوز محله ثم أجد خبرا متكاملا فيما بعد ذلك فأكتبه فيقع تكرار ولكن الأمر خفيف لوعورة هذا الجمع وصعوبة مسالكه {ولو كَانَ من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً}.

ولا أدعي أني جمعت ولا استوعبت أمر قبيلة ولا قاربت ذلك والذي أقول هو أني جمعت أكثر ما أمكنني جمعه في الحال من الأخبار التي لم يجمعها قبلي أحد ولم يعتن بها في أزمنة غير مساعدة للشدد الطوال المتتابعة وللأشغال الخاصة المانعة من غيرها ولجهل أكثر الناس لما يراد من هذا وجهله بحقائق قومه فإذا ما لقيه أحد بعد عناء في ذلك لايجد عنده ما يكفي، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله تعالى أولا وآخرا وسلم على نبيه محمد الرؤوف بنا الرحيم..

ولما وقف أخونا العالم الثقة البصير بأنواع النقد إسماعيل بن الشيخ سيدي علي الدفاتر الأولى من هذه المجموعة استحسنها وكتب إلي معها رسالة بخطه وجعل عنوانها ما لفظه: تنبيهات بمنقول ومسموع واجتهاد محض، ذكر فيها تسعة أشياء مما يشمله العنوان وكتب في آخرها ما لفظه وهو المقصود في الحال: "وعلى كل حال فهو كتاب حافل بالفوائد من كل فن كانت هذه الأرض وأهلها في

أمس الحاجة إليه لاسيما نحن، فجزى الله مؤلفه خيرا آمين، فقد قام بأمر لم ينتدب له أحد قبله أعاننا الله وإياه على كل أمر يحمد وتقبل منا ومنه آمين". انتهى بلفظه..

وكان الشيخ المرحوم العالم الحاج الثقة عبد الله بن سيد محمد بن الداه بن داداه ملازما لنظر كل جزء كتب من هذه المجموعة وكان معجبا بها ويرى فيها الكثير من الفوائد وكان يكتب لي مع كل ما طالع منها بما سنح له من تصويره لما وقع في صدره منها ومما كتب به إلي من أول الرسائل في هذا الشأن بعد فراغه من أشياء كان ينبه عليها وأشياء يوافق عليها ويستحسن تعديلها ما لفظه: "ولاشك في أنك رأيت عونا من الله وتأييدا على هذا العمل الصالح الذي تعرضت له لأني لا أعلم أني رأيت تأليفا أصعب من تأليفه إذ لا كتاب عندك تنقل منه ولا عمل يملي عليك ولا يرى نحوي كلمة فيه تخالف ما عنده ولا يرى أخباري كلمة ينتقدها فتبارك الله أحسن الخالقين أسأل الله تعالى أن يسددنا ويسددك ويؤيدنا ويؤيدك وكتب الأخ المحب الناصر الصادق في ذلك كله عبد الله بن داداه". انتهى بلفظه.

وجاء في آخر رسالة من رسائله عندما طالع أسفار أخرى غير التي تقدمت وكان أرسل بها إلى خامس عشر جمادى الأخيرة عام أحد وتسعين وثلاثمائة وألف بعد أكثرها ما لفظه: "أسأل الله تعالى أن ييسر لنا ولكم كل عسير وأن يبارك فينا وفيكم وأن يجازيكم عنا أحسن مجازاة عن عامتنا وعن خاصتنا". انتهى بلفظه. وجاء في رسالة له أخرى بعد قراءته لأجزاء فيها أشياء تاريخية بعد أولها ما لفظه: "أما بعد فإن كتابكم الكريم الذي أرسلتم لي أتاني ومما فيه أنكم تطلبون مني أن أكتب لكم ما أراني الله فيما كتبتم في تنقيح المنازعات التي بين قبائل الزوايا الذين تعرضتم لذكرهم في شأن ملك الأرض هل ما كتبتم في ذلك صادر عن تحقيق وإنصاف أم لا وأن لا أكتم عنكم وأقول لكم ولا أكذبكم إن شاء الله إني ما رأيتكم كتبتم فيما رأيت من كتابكم الذي تؤلفون شيئا بظن ولا تخمين ولا هوى لا في قضية بين طائفتين ولا غير ذلك وما أراني الله إلا ذلكم وقد رأيتكم تحريتم فيه الصدق والأمانة والمحافظة على النقل والرواية ومعلوم أن مثلكم لا يهدف بما لا يعرف وأنا لا أعتقد فيكم إلا ما كتبت:

وما علي إذا مَا قلتُ معتقـــــدي ... دع الحسود يقول السوءَ بهتانـــا

وقد رأيت ما كتبتم في أرض آل أحمد بن الفالّ ونعم ما فعلتم في شأنها وقد كانوا محتاجين لما كتبتم فيها وقد كنت إذا سمعت خبرها أستبعد صحته في نفسي وأعتقده من الخرافات فلما رأيت ما

كتبتم فيها صارت روايتها عندي من أثبت وأصح الروايات". انتهى المراد من الرسالة المذكورة في الحال بلفظه. وجاء في رسالة له أخرى في هذا الصدد ما لفظه: "وبحق أقول لكم إني لم أر فيه -يعني الكتاب- إلا ما يعجبني ويحسن عندي وأنا أشجعكم واستصوب فعلكم وأراه أخيا كثيرا كان ميتا من علم الظاهر والباطن والتاريخ وما رآه أحد في هذه الناحية يصغي إلى استحسانه إلا استحسنه. وأعلمكم اني باذل لكم ما في طاقتي مما يعينكم على هذا الكتاب المبارك مع الاغتباط والسرور والمنة لكم في إرساله لي جزاكم الله عنا جميعا أحسن جزاء". وجاء بعد هذا قريبا منه ما لفظه: "وكتب الأخ المحب المخلص في ذلكم كلا عبد الله ابن داداه 11 ذي الحجة عام 1391". انتهى بلفظه. واستبطأ مرة الأجزاء التي كانت تأتيه عندما تكتب، فكتب إلي رسالة منها فيما يخص الكتاب: "أنا في غاية الوحشة لكتابنا المبارك فإن كان حصل منه شيء فأرسله لي مع أول قادم. أخوك عبد الله بن داداه 17 ذي الحجة عام 1392".

وجاء في بعض رسائله إليّ عند قراءته للأجزاء التي تأتيه دائما عندما يرجع من عنده ما كان يطالع ما لفظه: "فأنا أرجو من الله أن يكون هذا الكتاب عنده مرضيا وعند كل أحد بعين الرضا مرئيا وأن يتم على الحالة التي نحب ويطبع وتكثر نسخه وكل من نظر فيه يسر به". إلى أن يقول: "وقد حسن عندي إلى الغاية ما كتبتم في شأن إجيجب فإنكم لم تذكروهم إلا بأحسن الذكر فذكرتم مشاهيرهم وذكرتم آبارهم إظهارا للاعتناء بهم وتخلصتم أحسن تخلص مما وقع بينهم وبين أولاد ابيير ابتداء حتى أن من نظر هذا الكتاب المبارك لا يرى بينهما إلا المصادقة القديمة والمحبة الصادقة وما رأيتكم ذكرتم من ذكرتم إلا بخير جزاكم الله خيرا مثل ما فعلتم لتشمش وأهل المبارك".

ويأتي بعيد هذا قريبا منه ما لفظه: "فسيكون هذا الكتاب المبارك إن شاء الله حاكما وقاضيا وشهودا مبرزين أتمه الله تعالى وفق ما نحب ونرجو. انا مطلع على كثير من نتائجه، بارك الله فيه وفي مؤلفه وكتب عبد الله بن داداه" انتهى بلفظه. وجاء في آخر رسالة أخرى وذكر فيها أنه أصلح شيئا في الكتاب ما لفظه: "أجرة الاصلاح الدعاء الصالح وتعجيل بقية الكتاب المبارك إلي فلي فيه اشد الهَلَّ فقد انتفعت به كثيرا يعلم الله ذلكم"، انتهى بلفظه. وقد جاء في أول هذه الرسالة التي هذا من آخرها ما لفظ المراد منه:

"وأتتني الأسفار الثلاثة ولا شيء أحب إلي من إتيانها لاستحساني وارتضائي لها وانتفاعي بها ظاهرا وباطنا جزاكم الله عني أحسن مجازاة وكافاكم أفضل مكافاة". انتهى المراد منها بلفظه.

وقد تابع نظره والكتابة مع كل ما قرأ منه بالإستحسان والإعجاب إلى آخر الدفتر السابع والثلاثين وكتب معه رسالة جيدة ولكني أقتصر في الحال على هذه المقتطفات وقد كتبتها هنا لأن جميع المؤلفين يكتبون تقاريظ كتبهم وأنا إنما كتبتها لذلك الغرض فقط مع الاستشهاد بكلام هذا الرجل العالم الشيخ الماهر بأنواع النقد الصالح العارف بما يكتب وما يدع..

ومن المقتطفات من رسائله المذكورة ما ورد في بعضها في شأن ما قرأ عن إداب لحسن ولفظ المراد منه في الحال: "وأقول لكم باختصار إنكم جزاكم الله عنا خيرا وأعانكم وسددكم ونصركم فقد أحييتم لنا مجدنا وفخرنا وأخبركم أني لاشيء أسر لي من هذه الكتب التي تأتيني من عندكم فلا تنسوا النية في إدخال السرور علي بها أخوك حقا ومحبك عبد الله بن داداه 15 محرم 1394."

وجاء أيضا في رسالة له أخرى في الكلام على إداب لحسن ما لفظه: "أما بعد فإني قد نظرت ما كتبتم في شأن قبيلة إداب لحسن وقد استحسنته غاية الإستحسان إذ ليس فيه تفريط ولا إفراط فقد ذكرتم ما وقفتم عليه من مشاهيرهم وعلمائهم وخصالهم الحميدة والرابطة الدينية التي بيننا وبينهم وأتحقق أنهم لو نظروا هذا الكتاب لرجعوا لنا كما كانوا ولم تذكروا كلمة واحدة تؤذيهم إذا رأوها وهكذا فليكن المؤرخ. ومن كلام الحكماء لا يأتي من أهل الخير إلا الخير". وختمها بما لفظه: "لاشلت يداك ولا فرحت بما لا يسرك عداك. وكتب عبد الله بن داداه". ولما وقف على ما كتبت عن إدوكدشل كتب إلي رسالة جاء فيها ما لفظه: "أما بعد فإني قد نظرت هذا الدفتر الذي فيه تاريخ إدوكدشل وقد رأيتكم فعلتم ما فعلتم لمن تقدمهم من قبيلتهم من ذكر من وجدتم من علمائهم ومشاهيرهم والثناء عليهم ولم تذكروا عنهم شيئا لا يسرهم إذا وقفوا عليه جزاكم الله خيرا ويحسن عندي منكم أنكم لا تطعنون في نسب أحد ولا تقولون إذا قال أنه شريف إن ذلك ليس حقا ولا أنكم ما سمعتم ذلك الخبر قط ولا غير ذلك من ألفاظ الإنكار، يسر الله لنا ولكم كل عسير وجبر الكسير وفك الأسير وقوى الحسير وكتب الأخ المخلص الصادق في إخائه عبد الله بن داداه 7 ربيع الثاني عام 1394هـ". وكنت قد بعثت إليه رسالة خاصة مع السفرين الثالث والعشرين والرابع والعشرين من هذه المجموعة المباركة إن شاء الله تعالى فكتب إلي بعد أن نظرهما رسالة جاء فيها بعد المقدمة العادية ما نثبت هنا ولفظه:

"أما بعد فإعلامكم أن الكتاب الذي أرسلتم لي أعني الذي يخصني أتاني وسررت به أتم السرور وحبرت به أكمل حبور وزاد ذلك ما أعلم من صدقك وعدم مذقك جازاك الله عني أحسن مجازاة وكافأك أفضل مكافاة ثم إخباركم لا أقلت أقماركم، إني نظرت ذينك السفرين الثالث والعشرين والرابع والعشرين وقد رأيتكم كتبتم لي فيه ما يشبه الاعتذار عن ذكركم في السفرين مما هو خارج عن مقصود الكتاب وأقول لكم ان المؤرخ لا يعتذر عن الإكثار من الأخبار ولكن يعتذر من الاقتصار بل من الاختصار لأن مقصوده إعلام جميع اللاحقين بأخبار أسلافهم السابقين والحديث ذو شجون وقلم الأديب غير مسجون والعالم لا يضن بنفسه عن طرسه ولا بالزيادة من الإفادة ولا بعلمه خشية ما جاء في كتمه وعلم التاريخ لا يعيبه إلا جاهل مريخ والكتب مؤلفة لكل أحد ولا يراد بها أهل بلد عن أهل بلد وإذا لم يستحسن قوم كلام المؤرخ على قوم فقد يستحسنه قوم على أولئك القوم فترجم من شئت واكتب ما شئت لا شلت يداك ولا سرت بما لا يسرك عداك وجزاء الله عنا أحسن مجزى وأعانك على ما تريد من أي مغزى. وكتب عبد الله بن داداه عاشر صفر عام 1393هـ". وكتب بهامش الرسالة المذكورة مقابل مريخ ما لفظه: "المزيخ الأحمق". وفي السفرين المذكورين ترجمة حافلة للشيخ محمد المامي كنت حاولت فيها إحصاء المذاهب التي ذكر انه ألف فيها وتراجم العلماء أهل المذاهب المتبوعة ما أمكن فقف عليها أيها القارىء الكريم.

وكتب إلي لما وقف على السفر السابع والعشرين رسالة جاء فيها بعد الصدر التقليدي ما لفظه: "ثم إعلامكم أني نظرت هذا السفر المبارك وهذا السفر هو أحب الأسفار إلي وأنفعها لي لما فيه من العلم الصحيح والفوائد العجيبة ولأنه ليس فيه إلا خبر شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا، أسأل الله أن يجازيك أحسن مجازاة على ما تصديت له من أخبار هذا الولي العالم ولما جمعت لنا من علومه ومعارفه أيدك الله ونصرك وأعانك فلك علينا جميعا منة عظيمة وذلك حق وما قلت لك إلا ما في قلبي وكتب أخوك ومحبك يعلم الله عبد الله بن داداه".

ولما وقف على تاريخ قبيلة أولاد طالب احمد وقبائل المجلس كتب إلي رسالة مع الاسفار التي فيها ذكر هذه القبائل المذكورة جاء في آخرها ما لفظه: "قد احسنتم كل الاحسان في تاريخ هذه القبائل فتبارك الله أحسن الخالقين وقد ذكرتم أفاضلهم بأحسن الذكر جزاكم الله أحسن مجازاة وأعانكم وسددكم".

وكنت كتبت في بعض هذه الدفاتر الكلام على نسبة التباين عند المناطقة لموجب اقتضاء الحال فكتب في الرسالة التي تقدم منها ما لفظه: "وقد حسن عندي ما كتبتم في شأن التباين، فقد قل من يعرفه أسأل الله تعالى أن يعافينا ويعافيك من كل داء ظاهر وباطن. أخوك عبد الله بن داداه".

هذا ومن المؤلفات الموريتانية التي قد وقفت عليها وحصلتها لنفسي الرسالة الشهيرة المسماة بتأليف اللُّفْعَ للشيخ ولي الله تعالى محمد اليدالي يخاطب بها الأمين بن الشيخ مِيَنَّحْنَ وهي رسالة قيمة في غاية حسن الأسلوب والأدب يعتذر له عن شيء بلغه عنه ويرد عليه ردا أديبا لمقالة بلغته عنه ملأها بالحكم شعرا ونثرا واستطرد فيها من الطرائف والنوادر الادبية والأخلاقية والفكاهية ما لا مزيد عليه. وقد تكلمت عليها في ترجمة مؤلفها في الكلام على اليداليين وذكرت هنالك ما في الرسالة المذكورة من عوائد قضاة تشمش الأولين مع أصناف الناس..

وكذلك قرأت كتاب قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين لمؤلفه الشيخ امْرَبِّيهْ رَبُّ وهو الذي أوقفني عليه في الطَّرْفَايَ في شهر رمضان عام ستين وثلاثمائة وألف وهو كتاب جيد غير كبير الحجم ذكر فيه مؤلفه كثيرا من كرامات والده وأخباره وأسفاره وذكر فيه أسماء بنيه وأسماء بناته وذكر أسماء أمهات الجميع وعددهن. وقد كتبت منه أشياء زمن مطالعتي له وفيه تاريخ بدء الشيخ ماء العينين في بناء الصْمَارَه عام 1316 وانه دخلها عام 1321 وفيه تاريخ مولده وانه كان عام 1246 وانه حج عام 1274.

وقرأت كذلك تأليف الشيخ التراد في أنساب آل الشيخ محمد فاضل بل سائر أهل الطالب مختار وهو كتاب نفيس ذكر فيه من عاصر أجداده من العلماء ومن اعترف بفضلهم وشرفهم ومن ذكره في مؤلفاته وأورد فيه بعضا من مدائحهم. وسياتي الكلام على هذين الكتابين ومن ألفا فيهم عندما نتعرض لذكر أخبار أهل الطالب مختار إن شاء الله تعالى.

وقرأت كتاب جذوة الأنوار في الذب عن مناصب أولياء الله الأخيار للشيخ سيدي المختار رضي الله تعالى عنه كما يحب ويختار تكلم فيه على قول ابن بونه في الوسيلة:

وقَطعنَا بِمَا بِهِ الوَلِيُّ أخيرٌ كفرٌ عكسُهُ النبيُّ

وهاجمه مهاجمة كثيرة في أكثر هذا الكتاب المذكور وتكلم فيه أيضا على قول المجيدر ابن حبلل في

الأئمة المعتبرين أهل المذاهب وكان يعبر عنهما بقوله: "قال الرجلان المتقولان" جاء في أول هذا الكتاب بعد مقدمته ما نصه: "هذا وانه عن لي أن أذب عن حرمات أولياء الله الصالحين بما معي من نصوص كتاب الله ومن نصوص سنة خير المرسلين وما أجمع عليه السواد الأعظم من العلماء الراسخين من وجوب تصديقهم وتخليد تحقيقهم في مقامات التمكين"، إلى أن يقول: والسبب في ذلك ما بلغني مستفيضا من خروج رجلين متقولين من تلقاء انفسهما لا بنص صريح ولا تبيين، أحدهما يقال له ابن بونه أعلن بتكفير من يقطع بقول الأولياء الصالحين بغير نص معه ولا حجة من رب العالمين لتكذيبه ما جاء صريحا في نص الكتاب المبين وهو قوله تعالى: {ألاَ إن أولياءَ اللّه لا خَوفٌ عليْهم ولا هم يحزَنون} . وتكلم الشيخ سيدي المختار هنا على من يستحق اسم الولاية وجلب في ذلك ما لا مزيد عليه من أنواع العلم وبين أنواع الكرامة وجعل ما ذكر مقدمة لنقض بيت ابن بونه الذي هو من أسباب التأليف وجلب كثيرا من الأدلة العلمية لما قال، إلى أن يقول بعد كلام طويل: "وقد بلغني أن ابن حبلل طعن في مالك بن أنس إمام الأئمة وعالم دار الهجرة وحامل لواء السنة زعم انه إنما يأخذ بالأقوال الظنية كسائر المجتهدين من جميع الأمة". وأثنى الشيخ سيدي المختار في هذا المحل كثيرا من الثناء على الإمام مالك ابن أنس رحمه الله، وذكر أن الأئمة الأربعة على بصيرة من ربهم ولو اختلفت مذاهبهم وان اختلافهم إنما هو فيما أدى إليه اجتهادهم من الفروع مما لم يرد فيه نص من الشارع أو ما اختلفوا في فهمه من نصوص الشارع ومثل لذلك بأمثلة منه وذكر أنه نحو أربعين مسألة واعتذر عن سردها بقصده للاختصار ولولا ذلك لسردها واحدة واحدة وذكر ما يريد الرجلان بقولهما وما يلزم عليه وسرد أسماء كثير من الأجلاء من الأئمة المشهورين أخذوا عن مالك وصدقوه في الأحاديث والمسائل واستطرد في تعظيم شأن الأولياء المراد بالوصول إلى الله تعالى وأنه العلم الحقيقي بالله تعالى واستطرد قضية أصحاب الكهف وقضية عبد الله بن التامر وأصحاب الأخدود وذكر بعد هذا أنه لا ينبغي لعالم ولا لغيره أن يقول بشيء أو يفتي به أو يصنف فيه إلا بعد ثلاثة مقاصد: أن يكون قوله ذلك عن علم لا عن جهل وعن نصح لا عن غش وأن يريد به وجه الله تعالى بعد تحصيل هذين المهيعين وتصحيح النية فيهما وذكر أقسام الفساد في الاعتقاد الثلاثة وقال انها لا رابع لها وبين أوجهها كلها وذكر أولياء الصحابة وأولياء التابعين وسمى كل طائفة من الفريقين واحدا بعد واحد وذكر صفة من يؤخذ عنه الدين وتكلم على عالم الباطن وعلى عالم الظاهر وعلى من

جمع بينهما وأشبع القول في الفرق بين الثلاثة وجعله خاتمة كتابه. وهو كتاب علم نفيس غاية كثير الفوائد وقد جعل معظمه في إبطال قول ابن بونه. وقد ذكرت هذا الكتاب في أخبار أهل بارك الله فيه وذكرت صفته وقدر أوراقه ومن أين لنا ملكه، وينبغي الوقوف عليه.

ووقفت كذلك على تأليف العالم الحاج سيد عبد اللّٰ بن الفاظل في رد أقاويل المجيدر المذكور واختصرتها منه مع أجوبتها من الكتاب المذكور في ست عشرة صفحة يوم الأربعاء ثاني عشر شهر ربيع النبوي عام 1392هـ ووافق ذلك 26 من ابريل عام 1972 عند بتلميت. وكانت النسخة التي وقفت عليها من الكتاب المذكور قديمة وفيها بلى وهي عند الأخ السيد الحاج الأستاذ محمد بن أحمد مسكَ وقد ترجم مع قبيلته أهل بارك الله فيه. وقد جرى لكتاب سيد عبد الله ذكر في ترجمته في محله مع قومه..

وقد احتجت لمطالعة كثير من الكتب القديمة غير الكتب الموريتانية منها طبقات أبي عبد الله محمد بن سعد ابن منيع الزهري كاتب الواقدي أحد الفضلاء الأجلاء، كان كثير العلم غزير الرواية وهو من موالي الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب توفي يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الأخيرة عام 230 ببغداد وهو ابن اثنتين وستين سنة في أجزائها التسعة. ولهذه الطبقات ترتيب لابأس بالتعريف به وذلك أن مؤلفها ذكر في الجزء الأول في القسم الأول منه السيرة الشريفة النبوية وذكر من انتمى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر في القسم الثاني المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وما يتصل بذلك. وذكر في القسم الأول من الجزء الثاني المغازي والبعوث وفي القسم الثاني منه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتصل بها. وذكر في القسم الأول من الجزء الثالث البدريين من المهاجرين وفي القسم الثاني منه البدريين من الأنصار. وفي الجزء الرابع ذكر في القسم الأول منه من لم يشهد بدرا من الطائفتين وذكر في القسم الثاني منه الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة. وذكر في الجزء الخامس في القسم الأول منه التابعين من أهل المدينة ومن كان منهم ومن الصحابة بمكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين. وذكر في الجزء السادس الصحابة الذين نزلوا الكوفة وتابعيهم. وذكر في الجزء السابع في قسميه الأول والثاني تابعي البصريين والبغداديين والشاميين والمصريين وآخرين. وذكر في الجزء الثامن النساء. وخُصِّصَ الجزء التاسع في هذه الطبعة

الجديدة الجيدة للفهارس فقط حسب الاصطلاح العلمي الجديد.

ومنها تاريخ الكامل لابن الأثير وكتاب وفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان وذيله للصلاح الكتبي المعروف بفوات الوفيات.

وتاريخ ابن خلدون ومقدمته وكتاب ابن أبي زرع وتاريخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي المعروف بالاستقصا.

وكتاب الحُلَلِ الموشية وهو كتاب قلم من كتبنا كتبه محمد فال بن سليمان للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي.

ونظم ابن الخطيب رقم الحلل وشرحه له.

وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وهو علي بن الحسين بن محمد من ذرية مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بالشام وقد نشأ أبو الفرج ببغداد وكان من أعيان أدبائها عالما بأيام الناس والأنساب ولد سنة 284 وتوفي يوم الأربعاء 14 ذي الحجة سنة 356 ببغداد وكان غاية في التشيع.

وجمهرة الأنساب لابن حزم وهو أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم ولد بقرطبة يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس آخر شهر رمضان عام 384 وتوفي آخر شعبان عام 456 وكان حافظا عالما.

وكتاب أنساب قريش لمصعب الزبيري وهو أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير بن العوام ولد بالمدينة سنة 156 وتوفي بها سنة 236 وعمره 80 سنة.

واللسان والقاموس وتاج العروس شرح القاموس وجامع ابن بونه وشرح عبد الله العتيق بن ذي الخلال لشعر الشعراء الستة ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومؤلفات أحمد أمين: فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام وشرح الموطأ لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني وفتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر وشرح القسطلاني على البخاري أيضا والإستيعاب لأبي عمر بن عبد البر في أسماء الصحابة وأخبارهم، ذكر فيه ثلاثة آلاف وخمسمائة صحابي، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير، ذكر فيه سبعة آلاف صحابي وخمسمائة وأربعة وخمسين صحابيا، وتجريد الحافظ الذهبي أبي عبد الله لأسماء الصحابة ذكر فيه ثمانية آلاف صحابي وثمانمائة وثمانية من الصحابة وكتب على ظهره بيده: لعل الجميع ثمانية آلاف إن لم يزيدوا لم ينقصوا.

والإصابة في معرفة الصحابة للحافظ ابن حجر ذكر في الجزء الأول منها في الأقسام الأربعة واحدا

وثلاثين وثلاثة آلاف ترجمة وذكر في الجزء الثاني في الأقسام المعروفة في اصطلاحه أيضا تسعة وأربعين وثمانمائة وألفي ترجمة بالتثنية وذكر في الجزء الثالث في أقسامه الأربعة ثلاثة وتسعين وخمسمائة وثلاثة آلاف ترجمة وذكر في الجزء الرابع في جميع الأقسام من الرجال في باب الكنى ثمانية وستين ومائتين وألف رجل وذكر من النساء في الأقسام المذكورة أيضا بين الأسماء والكنى اثنتين وخمسين وخمسمائة وألف امرأة فبلغ الجميع ثلاثة وتسعين ومائتين واثني عشر ألفا. وقد جرد الحافظ ابن حجر كتاب الإصابة من تجريد الحافظ الذهبي وزاد عليه وجعل علامة ما زاده حرف الزاي وجرد الذهبي تجريده من أسد الغابة وأصل أسد الغابة الاستيعاب. وقد ابتدأ الحافظ ابن حجر في تأليف الإصابة سنة تسع وثمانمائة وفرغ من تأليفها ثالث ذي الحجة عام سبعة وأربعين وثمانمائة.

وهو أبو الفضل شهاب الدين قاضي القضاة أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسْقلاني ثم المصري الشافعي المعروف بابن حجر المولود سنة 773 والمتوفي سنة 852 رحمه الله وهو مؤلف فتح الباري.

ومن الكتب التي احتجت لمراجعتها ميزان الاعتدال للذهبي وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي.

ومن الكتب المتأخرة كتاب الصوارم الهندية في حسم الدعاوي المهدية للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار ذكر فيه كثيرا من تاريخ النواحي القريبة منه وذكر فيه السلطان المولى سليمان ووصفه بالعدل والصلاح وحب العلم وأهله وجرى في ديوان الشيخ سيدي محمد المذكور مدح للسلطان المولى سليمان هذا وذكر أنه خطب باسمه على منابر تنبكت ووفدت إليه الوفود منها وذكر في بعض رسائله في شأن الدولة الفودية التي كونها الشيخ العالم عثمان فُودْيَ وأخوه العالم عبد الله مؤلف تفسير القرآن العظيم المسمى بضياء التأويل وأحمد بلُّ بن الشيخ عثمان أن السلطان المولى سليمان كتب ظهيرا بتولية الشيخ عثمان هذا في الأرض التي استولى عليها وجعل الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار هذا حجة على ملوك مَاسِنَ الذين كانوا أولا تحت طاعة الشيخ عثمان ثم خرجوا عنها مبينا أن تولية الشيخ عثمان صحيحة لصحة أصلها. وقد ذكرت طرفا من هذا في الدفاتر الأولى مما تقدم ذكره ومعه قصيدة الشيخ سيدي التي يقول للشيخ عثمان وابنه وأخيه مؤيدا لهم وناصرا وداعيا..

وقرأت أكثر ما كتب لرؤساء مَاسِنَ ورسائله لأولاد اصبارك وأولاد علوش وسائر القبائل المجاورة لأزواد

من قريب أو بعيد..

ومن الكتب القديمة التي طالعت لهذا الكتاب نهاية ابن الأثير في غريب الحديث ومؤلفها هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم الملقب مجد الدين ولد بجزيرة ابن عمر في أحد الربيعين سنة 544 وتوفي بالموصل سلخ ذي الحجة سنة 606.

وأمالي أبي علي القالي وهو الإمام في اللغة وعلوم الأدب إسماعيل بن القاسم ينتهي نسبه إلى سليمان مولى عبد الملك بن مروان ولد بمَنَازْجِرْدَ من ديار بكر سنة 288 وتوفي بقرطبة سنة 356.

وكتاب مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد ابن ابراهيم النيسابوري ثم الميداني المتوفي سنة 518 وكان من أئمة اللغة وتعرف محلة ميدان بميدان زياد.

وطالعت من الكتب المتأخرة كتاب معجم البلدان الليبية. وطالعت البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب مع دراسات الدكتور عبد المجيد في تاريخ العروبة في وادي النيل.

ومن الكتب الموريتانية التي طالعت لأشياء تتعلق بهذه المجموعة الدرة البيضاء والروضة الغناء كلاهما للعالم أعمر بن الفاضل بن بُدّ الابييري ثم من أهل أحمد بن الفالل وتأليفاه المذكوران نظم وشرحه في علم فوائد مذهب الإمام مالك بن أنس وينبئان عن علم مؤلفهما واطلاعه وكذلك كتاب ابن عمه العالم المؤلف محمد محمود بن عبد الفتاح في علوم البلاغة الثلاثة وهو شرح لنظمه في العلوم المذكورة.

وطالعت كذلك طرة العالم الجليل محنض باب بن اعبيد الديماني لألفية الإمام السيوطي في علوم البلاغة أيضا وطالعت شرحها للسيوطي نفسه. وطالعت ثمان الدرر في شرح المختصر للعالم الورع المؤلف عبد القادر بن محمد بن محمد سالم وكذلك طالعت كتاب الحاج العالم ذي التئاليف الكثيرة النفيسة في مختلف العلوم سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم: مراقي السعود وشرحه نشر البنود في علم أصول مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

ومن الكتب التي راجعت لما أكتب نور البصر في شرح المختصر لابن عبد العزيز الهلالي وشرح مختصر السنوسي في المنطق وشرحه المسمى بالصارم المهند المنتضب لقمع أهل الشكوك والريب في شرح المختصر الذي لا يوجد مثله ولا ينتظر، نسخة منه قلمية منقولة للشيخ سيدي في أزواد سنة

1237 صحيحة مقابلة. وكانت وفاة السنوسي في جمادى الأخيرة عام 895هـ. ومقدمة شرح محمد الخضر المسمى بالمفاد لنظم الشيخ محمد المامي لمختصر الشيخ خليل وكتابه الذي سماه مفحم السليطة في شأن الشَّرْويطة وأجوبة العلامة ولي الله تعالى محمد فال بن مُتَّالي وتأليف صديقي الظريف الصالح المؤرخ النسابة أحمدُّ ابن احْبَيَّبْ، المسمى بكتاب الاعداد. وقد أوقفني على نظمه في مدينة انْدَرْ عام 1945 وهي إذاك عاصمة موريتانيا مع أنها قاعدة سينگال ايضا وأوقفني على شرحه له في ستة أجزاء ظريفة استطرد في كتابه المذكور علوما جمة مختلفة وترجم فيه لكثير من رجال تشمش فقط وقد تقدم ذكر هذا الكتاب في هذه المقدمة وقد كنت ذكرته في ترجمة مؤلفه في الكلام على بني يِدْمُسَّ من قبائل تشمش.

ومن الكتب التي طالعت لبعض ما يتعلق بهذه المجموعة أيضا الديباج المذهب لابن فرحون وهو ابراهيم بن علي بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن فرحون اليعمري برهان الدين المدني المولد تولى القضاء بالمدينة في ربيع الآخر سنة 793 وقد جمع كتابه من نحو عشرين كتابا وذكر فيه نيفا و630 ترجمة وفرغ منه في شعبان عام 761، وتوفي عاشر ذي الحجة سنة 799، وذيله للعلامة الشهير أحمدُ بابا التُّنْبُكْتِيُّ وهو الشيخ أحمدُ بابا بن أحمدُ بن أحمدُ بن عمر بن محمد آرْقيتَ الصنهاجي التكروري المَاسِنِيُّ واسم ذيله المذكور نيل الابتهاج بتطريز الديباج الذي ألفه سابع جمادى عام 1005 في مدينة مراكش وقال انه زاد على أصله بنحو مائتي ترجمة ثم لخصه في كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج اقتصر فيه على مشاهير الأئمة المصنفين وهو نحو الثلثين من الذيل وفي آخره نسبه وقد توارثت أسرته رئاسة العلم بتنبكت ما يقارب مائتي سنة. ولد ليلة الأحد 21 من ذي الحجة عام 963 وتوفي يوم الخميس 6 شعبان عام 1036، رحمه الله تعالى.

وكتاب جامع بيان العلم وفضله وما جاء في روايته وحمله لأبي عمر بن عبد البر باقتصار المحصاني وهو كتاب نادر من نوعه، والكامل لأبي العباس المبرد.

ومن الكتب الموريتانية التي قرأت تأليف العالم الجليل الناظم الناثر الشيخ محمد النابغة الغلاوي الذي ألفه في كرامات ولي الله الشيخ محمد اليدالي الديماني استطرد فيه كثيرا من الفوائد، أوقفني عليه صديقي السيد الأستاذ الراجل بن أحمد سالم أحد أفاضل اليداليين 15 يناير عام 1972 أول يوم من المحرم عام 1391في مدينة انواكشوط، وقد مضت ترجمته في الكلام على اليداليين.

ومن الكتب المتقدمة التي طالعت لهذه المجموعة أيضا كتاب المدخل للعالم ابن الحاج وليت الناس أكثرت من مطالعته الآن.. واسم الكتاب المذكور كتاب المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها وسماه مؤلفه بمقتضى وضعه هذا الإسم وهو الإمام العالم العامل أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج كان فاضلا عارفا يقتدى به صحب أرباب القلوب منهم أبو محمد عبد الله ابن أبي جمرة وله التآليف النافعة من أجلها هذا الكتاب المسمى بمدخل الشرع الشريف على المذاهب، قال العلامة ابن حجر هو كثير الفوائد كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها وأكثرها مما ينكر وبعضها مما يستعمل وذكر فيه أن شيخه أبا محمد عبد الله بن أبي جمرة أشار إلى تعليم الناس مقاصدهم في أعمالهم فكتبه وسماه المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات فرغ من تأليفه في سابع محرم سنة إثنين وثلاثين وسبعمائة 732 عاش بضعا وثمانين سنة توفي بالقاهرة سنة 737 (سبع وثلاثين وسبعمائة). نفعنا الله به وبعلومه آمين.. وقد ذكر في آخر الجزء الثاني من كتابه في الكلام على الخلوة أن من اتبع لسان العلم في هذا الزمان في خلوته وجلوته فهو ولي وقته.

ولا بأس بالتعريف ببعض الكتب التي قد تقدم ذكرها والتعريف بمؤلفيها ولو بشيء قليل من التعريف.

فمن ذلك كتاب التاريخ المعروف بالكامل ومؤلفه هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب عز الدين وكتابه الكامل المذكور من خيار التواريخ ابتدأ فيه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة (628) وهو مؤلف أسد الغابة أيضا، ولد في رابع جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر وتوفي في شعبان سنة ثلاثين وستمائة بالموصل 630.

ومنها كتاب القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن أبي بكر بن خلكان بن بابك البرمكي وكتابه هو المعروف بوفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ذكر فيه ستا وأربعين وثمانمائة ترجمة. وقد ولد المؤلف بمدينة إربل وتوفي بدمشق سنة إحدى وثمانين وستمائة 681. وهذا الكتاب هو الذي ذيله العلامة محمد بن شاكر ابن أحمد الكتبي المتوفى سنة أربع وستين وسبعمائة 764 بكتابه المعروف

بفوات الوفيات ذكر فيه اثنتين وسبعين وخمسمائة 572 ترجمة منها نحو ست تراجم أو سبع مذكورة في الوفيات، فليست من الفوات.. وقد ذيل على وفيات الأعيان عبد الباقي المخزومي المالكي المتوفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بنحو ثلاثين ترجمة وذيله حسن بن أيبك المتوفي بالتاريخ المتقدم. وذيل علي عبد الباقي الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفي سنة ست وثمانمائة.. وقد تبع العلامة ابن شاكر صلاح الدين الصفدي، ألف كتابه الوافي بالوفيات، انتهى فيه إلى آخر سنة ستين وسبعمائة قبل وفاته بأربع سنين، وهو كتاب حافل جمع فيه تراجم الأعيان ونجباء الزمان ممن وقع عليه اختياره، ذكر فيه عشرين نوعا من طبقات الناس.

وكان قد سبق إلى وضع التراجم ابن زَبْر وهو أبو سليمان محمد بن ابي محمد عبد الله الرَّبَعيُّ محدث دمشق المتوفي سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. وكتابه في الوفيات مرتب على السنين وقد ذيله الحافظ عبد العزيز بن أحمد الكتاني الدمشقي وذيل علي الكتاني تلميذه أبو محمد الأكفاني بذيل صغير يسمى جامع الوفيات وذيل على الأكفاني الحافظ أبو الحسن ابن المفضل، وذيل على ابن المفضل الزكي المنذري وذيله يسمى التكملة لوفيات النقلة، وذيل على المنذري تلميذه الشريف عز الدين أحمد بن محمد الحسيني الحلبي، وذيل على الحسيني المحدث أحمد بن أيبك الدمياطي، وذيل على ابن أيبك الحافظ أبو الفضل الزين العراقي، وذيل على الزين العراقي ولده ولي الدين.

وللحافظ التقي ابن رافع كتاب في الوفيات ذيل به تاريخ العلم البرزالي وجعله ذيلا على تاريخ أبي شامة.

ويصلح تاريخ ابن حجر المسمى انباء الغمر أن يكون ذيلا على كتاب ابن رافع كما ذكره السخاوي .

ولابن قانع كتاب الوفيات أيضا.

وقد ذكرت هذه الكتب لمناسبة ذكر كتاب ابن خلكان وكتاب ابن شاكر فقط لأنهما اللذان نقلت منهما دون غيرهما مما ذكر..

وابن خلدون هو الإمام الماهر بقراءات القرآن العظيم والماهر بالفقه المالكي وغيره وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، وهو الجد العاشر للمؤلف وكانت ولادته بتونس غرة شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة. وأصل أهله من إشبيلية وانتقلوا إلى تونس أواسط القرن السابع للهجرة وقد تولى

التوقيع وكتابة السر للمستعين بالله أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني وكان هذا السلطان قد بويع بالإمارة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة بفاس الجديد. وقد حضر ابن خلدون دخول السلطان أبي الحسن بجيوشه مدينة تونس وقال إن ذلك اليوم لم ير مثله فيما عقل وهو يوم الأربعاء الثامن من جمادى الأخيرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وسن ابن خلدون يومئذ ست عشرة سنة. وحضر وفادة السودان من أهل مالي على السلطان أبي سالم وإغرابهم في هديتهم بالزرافة، الحيوان المعروف في دولة مَنْسَازاطَةَ في صفر سنة اثنين وستين وسبعمائة. وقال إن يوم وفادتهم ووصولهم إلى حضرة فاس كان يوما مشهودا. وقد ذكر ابن خلدون السلطان أبا فارس عبد العزيز بن أبي الحسن بن أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المريني في أول تاريخه الشهير الكبير وألفه برسمه وحلى ديباجته باسمه. واسم الكتاب المذكور كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ويقع في سبع مجلدات بالمقدمة وهي الجزء الأول منه وفرغ منها في مدة خمسة أشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة وهي التي ظهرت فيها عبقريته وعلمه الواسع. وتكلم فيها على فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ومغالط المؤرخين وذكر فيها أنواعا من العلوم العقلية وبين حقائقها. ومنذ ظهور المقدمة المذكورة جعلها الناس مرجعا من أهم المراجع لمختلف العلوم.

أما تاريخه فكسائر التواريخ فيه الحكايات الصحيحة والروايات المتواترة عند المؤرخين وفيه غير ذلك.

وفرغ منه عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة وترجم نفسه في الجزء الأخير منه وهو الجزء السابع.

وكان يريد الاقتصار على الدول التي تعاقبت على المغرب من العرب والبربر فقط ولما رحل إلى المشرق في عام أربعة وثمانين وسبعمائة وشاهد أحواله وعرف دوله وحضر كثيرا من مسائله السياسية الهامة ألحق بالطائفتين المتقدمتين أخبار ملوك العجم ودول الترك. وقد تولى ابن خلدون قضاء المالكية في مصر ومنصب قاضي القضاة فيها عدة مرات كان أولها في يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الثانية سنة ست وثمانين وسبعمائة ولقب ولي الدين بمناسبة هذه التولية. وقد حج في خامس عشر رمضان سنة 789 ورجع سنة تسعين وسبعمائة وجرى عليه ما يجري على أمثاله من أهل العلم والشهرة والنفاسة من أنظارهم الذين يحسدونهم ويسعون في إلحاق الضرر بهم. وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان

وثمانمائة بالقاهرة.

وابن أبي زرع هو الشيخ العلامة الماهر البارع عمدة أهل المغرب في التاريخ، أبو عبد الله وأبو العباس وأبو الحسن محمد بن عبد الحليم عرف بابن أبي زرع كان ثقة عدلا ذا علم وبراعة أحدَ الأفراد المرجوعَ إليهم في السيَر والأخبار وغرائب الآثار ثبتا صادق القول زكي الفعل واسم كتابه كما في مقدمته الأنيس المطرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس، ذكر فيه دولة الأدارسة من سنة اثنين وسبعين ومائة (172) وفي أيامهم دولة ابن أبي العافية وانتهت دولة الأدارسة سنة 375 (خمس وسبعين وثلاثمائة) ودولة زِنَاتَةَ المغاربيين واليَفْرَنِيِّينَ من سنة اثنين وستين وثلاثمائة إلى سنة اثنين وستين وأربعمائة، ودولة المرابطين اللمتونيين من سنة اثنتين وستين وأربعمائة إلى سنة ست وأربعين وخمسمائة وفيهم عبد الله بن ياسين إمامهم. ودولة الموحدين: محمد بن تُومَرْتَ مهديهم وعبد المؤمن بن علي وبنيه من سنة خمس عشرة وخمسمائة 515 إلى سنة سبع وستين وستمائة 667. ودولة المرينيين وابتداؤها في الحقيقة كان عام عشرة وستمائة ولم يتمها لأنه أنهى تأليفه عام ستة وعشرين وسبعمائة في دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. وقد توفي ابن أبي زرع بعيد فراغه من تأليفه هذا. ومؤلف الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا هو الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي ابتدأه أواسط رجب عام ستة وثلاثمائة وألف في دولة السلطان المولى الحسن، وفرغ منه ثالث ذي الحجة الحرام عام احد عشر وثلاثمائة وألف في سلطنة ابنه المولى عبد العزيز، ذكر فيه الدول الكبار الثمانية التي تعاقبت على المغرب من لدن الفتح الإسلامي إلى أن انتهى كتابه في التاريخ المتقدم .بدأه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الخلفاء الراشدين الأربعة وذكر الصحابة الذين دخلوا المغرب واحدا واحدا والولاة الذين تعاقبوا عليه.

والدول المذكورة هي دولة الأدارسة الأولى والثانية إلا أن الثانية صارت تابعة للعبيديين وذلك ليتمكنوا من الانتقام من آل أبي العافية ودولة زناتة وبني يَفْرَنْ بفاس والمغرب وقد ابتدأت بعد انقراض الأداوسة وبني أبي العافية وكانت هذه الدولة تحت نظر بني أمية بالأندلس والدولة اللمتونية المرابطية وهي التي انقرضت دولة زناتة على أيديها عام 462 ودولة الموحدين وهي من المصامدة وهي التي افحت دولة المرابطين على أيديها قتلوا آخر خليفة منهم في السابع والعشرين من شهر رمضان عام 539. وعن دولة الموحدين نشأت وتأثلت الدولة الحفصية الهنتاتية بتونس وطال زمانها إلى سنة

981. وقد انقرضت دولة الموحدين قبل هذا التاريخ وكان ذلك بمقتل آخر أمير منهم وهو أبو دبوس أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن أول محرم سنة 668. ودولة المرينيين في فاس والمغرب وقد انتهت هذه الدولة في يوم الجمعة 27 من شهر رمضان عام 869 بمقتل آخر أمرائها عبد الحق بن أبي سعيد. ودولة الوطّاسيين وأهلها فرقة من بني مرين إلا أنهم ليسوا من بني عبد الحق واشتدت دولتهم إلى قرب سنة 960. ودولة السعديين وكانت ظهرت أولا في بلاد السوس ودرعة ثم وصلت إلى مراكش وسائر مدن المغرب العظام واستمرت إلى سنة 1069 وهذه الدولة هي التي استولت على دولة مالي آل سَكْيَة. والدولة الشريفية العلوية وختم بها وفيها كتابه وكانت ابتدأت عام 1050 ببيعة أهل سجلماسة وغيرهم للمولى محمد بن الشريف وهي ولله الحمد باقية في أعقابه إلى هذا التاريخ وهو فاتح المحرم سنة 1395 يناير 1975، أدامها الله تبارك وتعالى رحمة للبلاد ونفسا للعباد ونشرا للعلم في ظل ملكها السعيد المؤيد الحسن الثاني ابن السلطان المغفور له المرحوم محمد الخامس بن السلطان المولى يوسف بن السلطان الشهير رفيع الذكر المولى الحسن ابن السلطان رفيع الشان المولى سيدي محمد بن السلطان الحاج العالم المولى عبد الرحمن بن المولى هشام بن السلطان المبارك المولى سيدنا محمد بن السلطان العالم المولى سيد عبد الله بن الملك المظفر السايح المنصور المولى إسماعيل بن المولى الشريف

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُوراً وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُـــودَا

ومؤلف لسان العرب هو جمال الدين محمد بن مكرم بن أبي الحسن علي وقيل رضوان بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة بن منظور الأنصاري الخزرجي الإفريقي المعروف بابن مكرم وبابن منظور ولد ثاني المحرم سنة تسعين وستمائة وتوفي في شعبان سنة إحدى وسبعين وسبعمائة.

ومؤلف القاموس هو أبو طاهر مجد الدين قاضي القضاة بمدينة زبيد محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الصريقي الفيروزابادي الشيرازي ولد بكازرين سنة تسع وعشرين وسبعمائة وتوفي سنة ست عشرة أو سبع عشرة وثمانمائة ليلة الثلاثاء لعشر بقين من شوال.

ومؤلف تاج العروس شرح القاموس هو أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ولد سنة خمس وأربعين ومائة وألف بالهند وتوفي يوم الأحد في شعبان سنة خمس ومائتين وألف.

وشارح الموطإ هو محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن شهاب الدين أحمد بن محمد الزرقاني ابتدأ قراءة الموطإ بالقاهرة عاشر جمادى الأولى عام تسعة ومائة وألف وفرغ من شرحه له وقت أذان العصر يوم الاثنين حادى عشر ذي الحجة عام اثني عشر ومائة وألف.

والقسطلاني شارح صحيح البخاري هو العلامة أحمد بن محمد بن أبي بكر القاهري الشافعي ولد في الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر وتوفي يوم الخميس مستهل المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ودفن بقرب الجامع الأزهر مع الشيخ العيني شارح البخاري.

ومؤلف الاستيعاب هو حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمَري القرطبي ولد يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من شهر ربيع الأخير سنة ثمان وستين وثلاثمائة وكان إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما وولي القضاء للمظفر بن الأفطس من ملوك الطوائف الأندلسيين وتوفي بشاطبة يوم الجمعة آخر يوم من ربيع الأخير سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة.

والمبرِّد مؤلف الكامل هو أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الأزدي البصري المعروف بالمبرد النحوي له المؤلفات النافعة في الأدب منها الكامل المذكور، ولد يوم الاثنين يوم عيد الأضحى سنة عشر ومائتين وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائتين ببغداد.

ومن الكتب المتقدمة التي راجعت لبعض هذه المجموعة كتاب الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ويسمى أيضا الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية للإمام المحقق أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية المولود عام أحد وتسعين وستمائة والمتوفي عام إحدى وخمسين وسبعمائة رحمه الله. وفي هذا الكتاب كثير من الفوائد والعلم ولاسيما فيما يتعلق بالشهادات.

وكتاب تفسير غريب القرآن تأليف أبي بكر محمد بن عُزَيْر السجستاني وهو مرتب على الحروف الهجائية ونسخته قلمية استكتبها الشيخ سيدي لنفسه قديما.

وقد طالعت تواريخ السودان الثلاثة أحدها يسمى تاريخ السودان وهو تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي ذكر فيه ملوك سُنْغَيْ وذكر أن أول من تملك منهم زا الأيمن ومعنى هذه اللفظة جاء من اليمن وذكر استيلاء كَنْكَامُوسَى على مملكة سنغي وهذا السلطان كَنْكَا أو مَنْسَا

وربما قرئت السين صادا فقيل منصا ومعنى الكل السلطان موسى بن أبي بكر كان من أعظم ملوك السودان في عصره وهو ملك مالي وكان في أيام السلطان المنصور بالله أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني أحد ملوك المرينيين الزناتيين بفاس والمغرب الأقصا. وقد تولى هذا السلطان بعد موت أبيه سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ولما استولى على المغرب الأوسط وغلب بني زيان على ملكهم سمت نفس منصاموسى إلى مخاطبته فوجه إليه وفدا من وجوه قومه معه مترجم من الملثمين ولما وصلوا إليه أكرم وفادتهم وأحسن مثواهم واختار هدية من طرف بلاده فوجهها إليه مع رسله ومع وفد من دولته فتوفي منصا موسى قبل أن تصله الهدية المذكورة فقدمها الوفدان إلى أخيه وخليفته منصا سليمان وكانت هذه المراسلة والهدية وقعتا عام ستة وأربعين وسبعمائة. وكنكاموسى هو الذي اصطحب معه أبا إسحاق إبراهيم الساحلي أحد شعراء الأندلس لقيه في موسم الحج بعرفة فسار به وبنى له القبة الرائعة وبنى له صومعة مسجد گاوَ ومسجد تنبكت وتوفي الساحلي المذكور يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأخيرة عام سبعة وأربعين وسبعمائة. وهدية السلطان أبي الحسن هي التي كافأها السلطان منصازاطا في دولة السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن. وذكر صاحب تاريخ السودان المذكور مملكة ماللّي وهي مالي الآن وذكر مدينة جِنّي ونبذة من أخبارها وذكر التوارگ وعرف بهم وذكر الطاغية الظالم سُنّي علي وذكر أمير المؤمنين الحاج أسَكْيَا محمد بن أبي بكر وجميع ملوك آل سكية وما صار إليه أمرهم وذكر بلاد مَاسْنَ. واشتمل هذا التاريخ على ثمانية وثلاثين بابا وفيه تاريخ تنبكت ومن كان فيها من الباشوات من الرماة جيش المنصور السعدي أحمد الذهبي الذي وجهه للاستيلاء على آل سَكْيَةَ وبلادهم وذكر الصالحين والعلماء والقضاة الذين كانوا في جني وفي تنبكت وفرغ منه يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة الحرام منتم عام ثلاثة وستين وألف. وقد أهدي هذه النسخة من هذا التاريخ والى أعالي سينگال فجَيْرْ ومقره إذ ذاك بَمَكُ في الحادي والعشرين من ربيع الأول لوالدنا الشيخ سيدي باب ولاتزال كلمات الإهداء مكتوبة في أعلى ورقة من آخر الكتاب المذكور. ولم يعين الكاتب السنة. ومنصا سليمان ابن أو أخو منصا موسى هو الذي قدم عليه الحاج الرحالة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابرهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة وحضر خطيبه يدعو للسلطان أبي الحسن قبل منصا سليمان. وقد خرج ابن بطوطة المذكور من طنجة سائحا يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة ورجع إلى مدينة

فاس بعيد عيد الأضحى عام ستة وخمسين وسبعمائة واستوطنها. وقد لبث في رحلته خمسا وعشرين سنة تتخللها إقامة في بعض البلاد وفي بعض الأزمنة. وتعرف هذه الرحلة بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ويطلق عليها أيضا رحلة ابن بطوطة وهو الأكثر على الألسنة وهي جزء كبير فيه كثير من الأخبار يبلغ عدد صفحاتها 686 صفحة في مطبعة دار التراث، بيروت سنة 1388هـ 1968م. واللواتي نسبة إلى لَوَاتَة قبيلة من البربر من ذرية مادغيس الملقب بالأبتر.

وثاني تواريخ السودان هو تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ذكر فيه مؤلفه الباشوات القادمين من مراكش إلى سنغي وابتدأه من أوائل القرن الحادي عشر الهجري وفرغ من تأليفه يوم الأحد لخمس بقين من شعبان عام أربعة وستين ومائة وألف. استطرد فيه ذكر الأساكي الستة عشر وذيله بتاريخ سُكُتَ محمد بَلُّ بن الشيخ عثمان فودي وشقيقه عتيق وعلي بن محمد بَلُّ وفيه كثير من التاريخ وليس فيه اسم مؤلفه وعلى أول ورقة منه كتابة والدنا الشيخ سيدي باب انه ملك له.

وثالث التواريخ المذكورة تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار تأليف القاضي أشفغ محمود بن الحاج المتوكل كعت وذيله لبعض من حفدته، ذكر فيه كعت الحاج اسْكَيْ محمد وتاريخ حجته وأنها كانت سنة اثنين وتسعمائة وفسر كلمة كَيْمَغَ وقال إن معناها طال الإرث وهي كلمة كانوا يدعون بها للرؤساء وذكر ابتداء أمر كنكاموسى وحجته وما كان فيها من الحكايات الغريبة وأول من لقب اسْكي وهي كلمة تعجب بلغة بعض السوادين وصارت من الدخيل في كلام البياضين لكثرة استعمالها عند استغراب أمر طارئ، وذكر تاريخ موت الظالم الجبار سُنِّي علي بالاعجام وبالإهمال وانها كانت سنة 898 وذكر ما جرى للحاج اسكي محمد من عزل أولاده له يوم عيد الأضحى عام 935 وقتلهم له يوم عزله والعياذ بالله تعالى وذكر المؤرخ ان اسكي داوود ولي عشرة من أولاده ولم يقع مثل هذا لملك ولا لسلطان ولا لأمير وذكر آخرهم إسحاق بن داوود وكان تولى الملك سنة 996 وهو الذي قتله جيش المنصور السعدي عام 999 وبقتله انقضى ملك آل سكْيَة والبقاء لله وحده. وكتب المؤلف إلي عام 1007 وهو تاريخ عزل القائد جُوْذَرْ بالباشا عمر.

ومن الكتب التي أخذت منها أيضا تاريخ التشريع الإسلامي تأليف المرحوم الشيخ محمد الخضري بك المفتش بوزارة المعارف ومدرس التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية طبعة 1373هـ 1954م وكنت

اشتريته لنفسي يوم الخميس رابع ذي الحجة الحرام عام ثمانين وثلاثمائة وألف في مكتبة النجاح بتونس.

ومنها كتاب سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس للعلامة محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني وقد سمى الكتب التي أخذ كتابه هذا منها وبلغ عددها مائة وأربعين كتابا وقد حضر المؤلف طبع كتابه وتصحيحه أواسط شعبان عام ستة عشر وثلاثمائة وألف في أيام السلطان المولى عبد العزيز..

ومنها روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر للعلامة أبي الوليد محمد بن الشحنة وقد ولاه الملك الأشرف قضاء القاهرة عام ثمانية وسبعين وسبعمائة وقد تم تاريخ ابن الشحنة عام ستة وثمانمائة.

ومنها أخبار الدول وآثار الأول للعلامة الفاضل أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وقد أتم تاريخه في صبيحة نهار السبت مستهل محرم الحرام سنة ثمان وألف.

ومنها تاريخ الخلفاء للسيوطي وهو كتاب نفيس ملأه بالفوائد التاريخية والاستطرادات السنية والتحقيقات المرضية. وقد أكمله سنة ثلاث وتسعمائة لما بويع بالخلافة ليعقوب المستمسك بالله بن أبي العز عبد العزيز ابن يعقوب بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي علي الحسن القبي بن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد ابن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد أبي العباس بن الموفق طلحة ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد.

وقد ولي الخلافة من أولاد المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن المعتضد بالله خمسة ولا نظير لذلك وهم: العباس المستعين وداوود المعتضد وسليمان المستكفي وحمزة القائم ويوسف المستنجد. قال السيوطي: "والموجود الآن من العباسيين كلهم من ذرية المتوكل هذا".

ومنها خزانة الأدب وغاية الأرب للشيخ تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي وكان إماما عارفا بفنون الأدب متقدما فيها وتوفي سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ودفن بحماة رحمه الله تعالى. وقد فرغ من كتابه هذا في ذي الحجة سنة ست وعشرين وثمانمائة وقد ملأه بأنواع البديع.

هذا إلى كثير من الروايات الشفهية عن الثقات ولله الحمد والأقاصيص الشعبية غير أني لم أثبت منها الا ما وقفت له على ما يدعمه من الأخبار. ومع كثير من الوجادات بخط العدول المعروفين في الوثائق وفي الرسائل وفي الشهادات وفي مختام الكتب وتارة يؤرخ الكاتبون وتارة لا يؤرخون وذلك لعدم اعتناء أهل بلادنا أصلا بالتاريخ إلا ما تدعوا الحاجة إلى تاريخه.

وأكثر الوجادات المذكورة كتابة الشيخ سيدي فقد حصل عندي منها ولله الحمد أكثر ما يمكن حصوله من مؤلفاته وفتاويه ورسائله وتوثيقاته لأمور الناس وكتاباته في مختلف الامور والكتب التي ينقل لنفسه.

وقد استلزمت نقل كل رسائله وتوثيقاته ومؤلفاته الصغيرة الحجم وأكتب أهم موضوعات مؤلفاته الكبار من أولها ووسطها وآخرها.

ومن غرائب أمره أن الله تعالى كتب البقاء لما كتب بيده من الرسائل والمؤلفات والوثائق غالبا وكان يحمل إلى أبعد الجهات ويرجع غالبا سالما محفوظا وربما يكتب الموجه إليه بعض ما ذكر في أسفل الورقة أو في مقلوبها وإن تخرقت ورقة فيها كتاباته لا تصعب قراءتها في أكثر أوقاتها. وقد بقي ولله الحمد من خطه بيده إلى هذا الوقت الذي هو عاشر ربيع النبوي عام 1395 ما لم يبق من خط أحد ممن عاصره من علماء ومشايخ عصره وقد مضى على وفاته في هذا الوقت الذي أكتب فيه هذه المقدمة إحدى عشرة ومائة سنة.

والوجادة بكسر الواو نوع من أقسام طرق تحمل الحديث. قال الشيخ القطب ولي الله تعالى محي الدين أبو زكرياء يحي بن شرف الدين النواوي الدمشقي المولود بنوى سنة ثلاث عشرة وستمائة والمتوفي في الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة في كتابه في علوم الحديث واسمه التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في بيان أقسام طرق تحمل الحديث ما لفظه بعد أن ذكر أنها ثمانية أقسام: "القسم الثامن الوجادة وهي مصدر لوجد مولد غير مسموع عن العرب"، إلى أن قال: "وأما العمل بالوجادة فنقل عن معظم المحدثين والفقهاء المالكيين وغيرهم أنه لا يجوز وعن الشافعي ونظار أصحابه جوازه وقطع بعض المحققين الشافعيين بوجب العمل بها عند حصول الثقة وهذا هو الصحيح الذي لايتجه هذه الأزمان غيره". انتهى بلفظه. وفي هدى الأبرار على طلعة الأنوار للشيخ سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي في الكلام على سن التحمل للحديث وأنواعه عند

قوله السابع والثامن الوجادة ما لفظه: "الوِجادة بكسر الواو مصدر لوجد مولد غير مسموع من العرب يستعمله المؤلفون فيما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة مأخوذ من تفريق العرب بين مصادر وجد للتمييز بين معانيها المختلفة يقولون وجد ضالته كوعد وجدانا ومطلوبه وجودا وفي الغضب موجدة وجدة وفي الغني وُجدا بضم فسكون وإجدانا بكسر الهمزة وجدة وفي الحب وَجدا بفتح فسكون إلى غير ذلك." انتهى المراد منه بلفظه.

وقد ذكر العراقي والسيوطي حكم الوِجادة في ألفيتيهما في مصطلح الحديث وهو أمر متفق عليه عند أهل مصطلح الحديث إلا أن سيدي عبد الله ساوى بين الحديث والفقه والنحو وغيرهما.

ومن مستحسنات عبارات الشيخ عبد الله بن داداه في رسائله التي كان يوجه إلي بعد قراءته وتأمله لما كان يأتيه من هذه المجموعة المباركة إن شاء الله تعالى ما جاء في آخر رسالة كتبها إلي في الخامس والعشرين من صفر سنة 1392، لما قرأ ما كتب عن البوصاديين والأغلال والعلويين ولفظه: "وبحق واختصارا قول إن هذا الكتاب الذي تؤلفون نعم الكتاب لما اشتمل عليه من أخبار العلماء والصلحاء والتاريخ الذي هو أساس العلم والعلم الصحيح الذي كان مبعثرا في خبايا الصناديق بل في حكم المعدوم يعلم ذلك من له أدنى نظر، فجزى الله تعالى مؤلفه أحسن مجازاة وأعانه وأيده وكتب عبد الله بن داداً".

وكتب تحت كتابته في أعلى مقلوب الرسالة لما انتهت سؤالين أحدهما يتعلق بكيفية كتابة القرآن العظيم هل هي كلفظه في لزوم المحافظة أم لا، والآخر يتعلق بضبط كلمة غيلان في بيته من قصيدته الرائية التي مطلعها:

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُـــــــزْوَى عَفَتْهُ الرِّيحُ وامْتُنِحَ القِطَـــــارَا

يهجوا بها هشا ما من بني امرىء القيس والكلمة هي قوله في البيت الذي ليس بعده إلا بيت واحد: عَقَدْنَ بِرَأْسِهِ إِبَةً ويتعلق بالمراد بها وكتبت له جواب المسألتين على ما في كتب رسم القرآن وكتب اللغة.

ولما وقف عليه كتب إلي في رسالة من هذه الرسائل بما لفظه: "وقد أحسنتم الجواب عن سؤاليَّ غاية فتبارك الله أحسن الخالقين جزاكم الله عنا أحسن مجازاة وأطال محياكم في عافية ونعم عافية وأعانكم على ما تطلبون وسددكم فيه آمين، أخوكم عبد الله بن داداه".

ومن مستحسنات عباراته أيضا ما جاء في رسالته المؤرخة في رابع جمادى الأولى عام 1394، لما قرأ الدفاتر 32-33-34، وفيها الكلام على تَاگُنيتْ وتندغ بعد المقدمة العادية ما لفظه: "وأقول لكم إنكم أحسنتم وأجملتم في تاريخ هاتين القبيلتين، فما تركتم أحدا منهم يذكر بخير إلا ذكرتموه ولم تذكروا ما يسوء أحدا منهم وربما أراد القلم أن يجمح إلى ذكر حادثة قد مضت كما هو عادة أقلام المؤرخين ولا تقبلون ذلكم جزاكم الله خيرا وستركم في الدنيا والآخرة إذ لا فائدة في تخليد ما يثير الأحقاد والضغائن بين المسلمين وجزاكم الله عنا وعن أسلافنا أحسن جزاء، فهذه التئاليف التي نشرتم لولا ما أكرمكم الله به من الاعتناء والتعب في الحصول عليها وتحصيلها لانعدمت انعدامًا كليا وأعني بالتئاليف ما أجاب به شيخنا الشيخ سيدي أحمد بن البخاري فإني لم أر أحسن منها ولا أصح وإذا أردت أن ترى العلم الحق فانظر أجوبة الشيخ سيدي لأجلة العلماء فإن العالم لا يسأل إلا بعد عجزه عما سأل عنه. أنا أعد هذا الكتاب المبارك من دواوين العلم الصحيح لا أنه كتاب تاريخ فقط، أعانكم الله على إقامه وسددكم وأيدكم. أخوكم ومحبكم يعلم الله عبد الله بن داداه".

وبعد هذا ما لفظه: "لقد سرني وأطربني وحبب إلي العلم وأهله ما كتبتم ليراه السيد محمدٌ بن أحمدٌ قال في شأن مقال سيدنَ بن أحمد محمود في والده حتى ادعى أن قوله قلت غلط لأنكم كتبتم له من علم البيان ما يعجز عنه الجرجاني والسَّكَّاكِي ودافعتم عنا أحسن دفاع ومن كلام البلغاء من ليس فيهم بليغ فأعراضهم نهبة لا عدمناكم هكذا هكذا وإلا فلا لا". انتهى بلفظه.

هذا وقد كنت كتبت فيما كتبت قبل هذه المقدمة شيئا من خبر أهل داداه في مناسبة وذكرت حالتهم مع الشيخ سيدي إلى أن وصلت إلى ذكر الشيخ عبد الله بن داداه وأخذه عن الشيخ التراد ولما وقف على ذلك كتب إلي بما لفظ المراد منه في الحال: "ولم أنتقد منها يعني الأسفار التي كان يقرأ إلا ما كتبتم في شأني في الورقة الثانية من السفر السابع عشر من قولكم: إلا ما كان من أخذ الطريقة إلي فقط، وقد هممت أن أضرب عليه فأطلب منكم أن تضربوا عليه حتى لا يبقى منه حرف واحد فالله يعلم أني ما حدت عما كان عليه الوالد لكم لا قلبا ولا خاطرا ولا شخصا إن شاء الله ولا أرضى منكم أن تكتبوا في شأني أداة استثناء لأن الاستثناء إخراج ولا خروج قطعا ما دمت حيا وفي المثل من يسمع يخل فاضرب على هذه الجمل أي ضرب جزاك الله عني أحسن مجازاة ولا تترك لي هذه الأداة مخلدة في هذا الكتاب المبارك وأسأل الله تعالى أن يجازيك عنا أحسن مجازاة في جمعك لنا هذا الكتاب

فإني مطلع على كثير من فوائده على القبيل كلا وعلى الخاصة، فالله تعالى يعينك ويسددك وكتب أخوك ومحبك يعلم الله ، عبد الله بن داداه".

وكل رسائله في هذا الشأن عندي بخطه.

وقد آن الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.

وكنت قبل عزمي على جعله كتابا عاما أريد أن أسميه كتاب الصلة والبر والخير في أخبار وأنساب أولاد ابيير ومن تعلق بهم وصار منهم أو معهم بنوع من أنواع المعية ولما رفضت ذلك العزم وعسمته اخترت له العنوان السابق والله يعين عليه بفضله وكرمه ومنته بجاه سيدنا ورسولنا وشفيعنا محمد صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين.

ملخص عن ترجمة الشيخ سيدي

رحمه الله تعالى

ورضي عنه

آمين

هو الشيخ سيديّ بن المختار بن الهيبَ بن احمد دَوْلَ بن أبَابَكْ واسمه أبوبَكْرِ بن محَمْ الملقب انْتَشَايِتْ.

أمه الصالحة الشهيرة الْمُحَدَّحَةْ عائشة أمُّ المومنين بنت الْفَقَ عُبَيْدْ ابن الْفَالِلّ وهو الفاضل بن أبابك المتقدم الذكر، وأمها مريم مَمَّادْ بنت محم بن الفالِلّ بن أوبكْ واسمه ابوبكر بن اعْمَرْ بن ابْيَيْرِ وأمها عَيْشَاتَ بنت حَبِيبْ بَن سيد مَحَمْ.

وأم المختار وأخيه عبد الله دفين "أغْمَوْدَنْتْ" ولاعقب له تِنْوَازِلْ واسمها لِمْبَارَكَ بنت عبد الله بن ابابك وأمها بنت بابُ بن أبُوبَكْ بن احْمَيْد بن خَاجِيلْ بن امْرَابَطْ مَكْ شقيقة سيد ومحمد ابنا بابُ وامها من لِمْرَادِينْ وهم الذين وُجد من عندهم قوة سواعد سيد وذريته في حكاية في ذلك.

ولد عند اكثر المؤرخين عام الْمَرْفَكْ وهو عام تسعين بتقديم التاء المثناة من فوقُ ومائة والف (1190)

قال بعضهم:

ووقعة المرفق عام بتفق ولد فيها العالم المحقق

الشيخ سيديّ إمام المغرب جميعه من عجم وعرب .

وكتب مؤرخ فرنسي أنه ولد عام 1780 ميلادية في نواحي بتلميت.

قرأ القرءان أولا على خاله الشهير بالعلم والسودد سيدنيا بن الفَقَ عُبَيْدْ وثانيا على الطالب الأمِينْ ابن الطالب المختارْ من قبيلة تِيمْرِگِيوُنْ.

وهذا المرابط يحكى أنه ربما تم القرءان في الواح تلامذته في يوم واحد وهو دفين "انْيِكْرَارْ" قرب زارْ وبعده قرأ علم النحو والصرف وعلوم البلاغة البيان والمعاني والبديع والمنطق وعلوم العقائد واللغة على العالم الجليل الشهير حُرْمَ بن عبد الجليل العلوي وقرأ الفقه والقواعد على حَبِيبْ اللّ بن القاضي وابنه محمد محمود الإجَيْجْبِيِّينْ.

وهذا هو المعروف عندنا من مشائخه في ناحية العلوم الشرعية ومتعلقاتها .

ومن عند اهل حبيب اللّ انتقل إلى اهل الشيخ سيدي المختار في أزَوَادْ لأخذ الطريق القادرية مباراً بتِيشِيتْ، وقد لبث فيها زمنا طويلا ألف اكثر مولفاته فيها ولقي بها كبير شرفاء أهل عبد الْمُومِنِ إذ ذاك؛ ومنها لولاتة وزاربها روضة الشيخ سيدي احمد الْبَكَّايْ؛ ومنها توجه إلى أزواد عن طريق القوافل المارة بِتُنْبُكْتُ.

وكانت رحلته العلمية أولا إلى معلم القرءان بين الْفِرْغَيْلِيِّ وبُوطُوَيْزُوٌ ولبث معه فيما قيل اربع سنين اتقن فيها القرآن وجوده برواية نافع من روايتيه المعروفتين ورش وقالون عنه، ثم إلى حرم ولبث معه ثلاث عشرة سنة في عُقْلِ إِدَوَعْلِ تِنْبَيْعْلِ وَالْجَرَارِيِّ وغيرهما.

وقد برزه حرم المذكور عند سيره عنه وعند رجوعه من عند أهل الشيخ سيدي المختار.

وقد قال قصيدته المشهورة التي أوصى بها رفقاءه الذين كانوا معه في التلاميذ ويقال أنه لم يقل غزلا غيرمافيها وانها أول شعر قاله ومطلعها:

أيا معشر الاخوان دعوة نادب إلى الحق والمعروف ليس بكاذب

أعيروني الاسماعَ أُهْدِي إليكمُ وصية صافي النُّصْحِ غير مخالب

إلى ءاخرها وهي في غاية الحسن والرقة والجودة جمعت كثيرا من الحث على مكارم الاخلاق وما ينبغي للانسان أن يتخلق به.

ومن عند حرم انتقل إلى حبيب اللّٰ ولبث معه أربع سنين فيما قيل اتقن فيها مختصر الشيخ خليل إتقانا لاكفاء له وكان الشيخ حبيب اللّٰ يخصه بعناية عظيمة حالة تعلمه عنده لايفعلها لغيره وكان يعتذر للتلاميذ عن ذلك بذكائه وفهمه إلى غير ذلك.

وكانت إقامته معه عند "بُوطْلَيْحِيٌّ" و"أغَدَكَلْ". ومن هناك سار إلى الشيخ سيدي المختار عند أزواد وابنه الخليفة من بعده الشيخ سيدي محمد ولبث معهما ست عشرة سنةً تامة خمسة شهور منها في حياة الشيخ سيد المختار والباقي مع ابنه الشيخ سيدي محمد خليفته وابنه الشيخ سيدي المختار الصغير المعروف بِبَادِ بتفخيم الباء. وكانت هذه المدة فيما بين أواخر سنة خمس وعشرين ومائتين وألف إلى اواخر سنة اثنين واربعين ومائتين والف وكان من آخر زمنه عند حرم سنتي -1220 1219 لوجود كتابين نقلهما وارخهما مترتبين هكذا فيكون مجموع رحلته العلمية على هذا يقرب من 47 سنة وانظر ما سياتي بعد في تحديد الرحلة إن شاء الله تعالى.

وبعدها رجع إلى أهله ووطنه أواخر سنة 1242 أو أوائل سنة 1243 لوجود كتابة له مؤرخة بأواسط الربيع الثاني عام 1243. وكتب مؤرخ فرنسي أنه رجع عام 1827 ميلادية.

وقد اجازه الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في جميع ما أجازه فيه والده الشيخ سيدي المختار وأجازه كذلك ابنه الشيخ سيدي المختار الصغير فيما أجازه فيه والده وأرخها في سابع جمادى الأخيرة عام 1242 وأجازه الشيخ سيدي اعْمَرْ والشيخ حبيب الله ابنا الشيخ سيد المختار كذلك في جميع ما أجازهما فيه والدهما الشيخ سيدي المختار.

وهذه الرحلة ولاسيما الأخيرة ذكرها الشيخ محمد بن حَنْبَلْ تلميذ الشيخ سيدي المذكور في مُذْهَّبَتِه التي يمدحه بها والتي مطلعها:

عـــج بي على دِمَنِ النُّقَا وَمَغَـــانِ ... نِهْيِ الْغَضَاةِ فَمَرْقَبِ الصِّـــــرَانِ.

إلى أن وصل إلى قوله

لَمَّـــا رَءَا أَنَّ الْمَعَـــالِيَ صَعْبَـــةٌ ... لَاتَسْتَقِيدُ إِلَى الضَّعِيـــــفِ الْـــوَانِ

يَسْـلُ عَلَى مَن لايُجَشِّـمُ نَفْسَـــهُ ... جَمْرَالْغَضَـــا وَعَـــوَالِيَ الْمُـــرَّانِ

نَصَبَ الرِّحَالَ عَلَى رَوَاحِلِ هِمَّـــةٍ ... مَاشِيَـــــةً دَائِبٌ سَيْرُهَا بِتَـــوَانِ

عِيسٍ أَحَنَّ إِلَى الْهَوَاجِرِ وَالسُّـــرَى ... مِنْهَا إِلَى الاعطَـــانِ والأوطَـــــانِ

حَتَّى أَنَاخَ إِلَى خِضَـــمٍّ خِضَـــرَمٍ ... رَحْبِ الشَّرَائِعِ وَاسِـــعِ الأعطَـــــانِ

طَاهِي الْقَوَارِبِ قَاذِفٍ أَرْجَـــاءَهُ ... بِالدُّرِّ وَالْيَـــــاقُـــوتِ وَالْمَرْجَـــــانِ

إلى آخرها، وهي في غاية الحسن.

واشار لها كذلك الشاعر الخنديذ تلميذه أيضا سيد عبد الله بن احمد دَّامْ ببناء الميم الأخيرة على السكون شاعر إداب لَحْسَنْ وخاصة أولاد بانَعْمَرْ في بائيته المعروفة بِالْعَتْرُوسِيَةِ التي مطلعها:

مالِلمشيب وفعل الفَنِيَةِ الشَّبَبَـــةْ ... وَلِلَّبِيبِ يواصي في الصِّبَا خَبَبَـــــةْ.

إلى أن يقول:

لما تفلفل في علم الرواية من مُّـــا ... فيه أعمل في نيل العُلَى نُجُبَـــــةْ

شد الرحالَ على عُتُقِ الرِّكَابِ إِلَـــى ... تَاجِ الأجِلَّةِ مِن سَادَاتِنَا النُّخَبَـــــةْ

فَنَالَ مَانَالَ إِذْ حَطَّ الرِّحَالَ وَمَسَّا ... أَدْرَاكَ مَانَالَ يَاوَاهًا لَهَا رُتَبَـــــةْ.

إلى اخرها وهي من احسن واجود نوعها من المدائح.

وقد **الف كثيرا من المؤلفات العلمية** النافعة في مختلف العلوم: في تجويد القرآن وحكمه وفي التوحيد وفي التصريف وفي النحو وفي التصوف المؤلفات الرائقة النافعة الكثيرة وفي الفقه. وله فتاوي كثيرة وهي في جملتها تقارب المائة وهي موجودة ولله الحمد كلها أو جلها عندنا فيها خطه وخط ابنه الشيخ سيد محمد وخط اجلاء تلاميذه.

قال ابن حنبل في القصيدة التي تقدم ذكرها:

جَالتْ مَنَا قِبُهُ وَسُحْبُ نوالِـــــهِ وَبَنَاتُ خَاطِرِهِ بِكُلِّ مَكَـــــــــــانِ

وكان رحمه الله تعلى **كثير الشعر** وكان في غاية السهولة عليه وفي غاية الجودة وشعره ينقسم إلى ثلاث مقاصد: مقصد في الاستسقاء وسؤال الله تبراك وتعلى والاستعاذة به من مكاره الدنيا والآخرة ومقصد في مدائح اشياخه آل الشيخ سيد المختار ومراثيهم ومقصد في اجوبة التلاميذ وهو في كامله في غاية الجودة والجزالة ومتانة الالفاظ وصحة المعاني.

وقد **تصدر على يديه خلق كثير** نفع الله به وبهم عباده فصاروا اقمارا في اقطار الأرض شرقا وغربا وقفت على إجازات بعضهم وثبت عندنا بالتواتر البعض الآخر. فمما وقفت عليه بعد من الإجازات المكتوبة المؤرخة: إجازته للشيخ هلال بن محمذ إدَ الْقَفِيِّ أجَازه لِلَيْلَتَيْنِ خلتا من ذي القعدة عام 1253والشيخ سيدي محمذ امبارك بن احمد بن حبيب الله اللمتوني أجازه لتاريخ أواسط المحرم مفتتح سنة 1265والشيخ سيدي عبد القادر بن سيد الامين بن الطالب اعْمر بن خَيِّر في نفس هذا التاريخ والشيخ سيد الامين بن محمود بن اطْوَيْرْ الجُنَّهْ أجازه أواخر شوال عام 1268والشيخ محمذْ بن مَحْمُودْ بن الرباني التَّنْدَغِي أجازه يوم الجمعة لخمس ليال خلون من ذي القعدة عام 1271 والشيخ احمد بن المختار بن ازْوَيْنْ أجازه لبقاء ليلة أو ليلتين من جمادى الأولى عام 1282والشيخ سيد محمد بن سيد احمد بن حَبَتْ الْغَلاَّوِي أجازه لعشر بقين من شوال عام 1253والشيخ محمد المبارك الكُنْتي وقفت على إجازته غير مؤرخة كما وقفت على إجازة الشيخ محمذُ بن بابُ ومولاي إبراهيم بن سيد محمد من ذرية القطب الكبير عبد السلام بن مُشَيْش وعُثمان كَبَا غير مؤرخات والشيخ احمذُ بن الفغ محمذ والشيخ محمذُ بن الفغ محمذ وكلاهما من تَاكُنِيتْ من أولاد طالب احمد والشيخ محمد سديدَ بن احمد محمود بن مَحَمْ بن بَابُ وقد وقفت على رسالته إليه يستدعيه ليد خله الخلوة والشيخ احمذُ

بن اسْلَيْمَانْ بن احمد سالمْ وله معه حكاية وهو إذ ذاك في الخلوة والشيخ احمد بن الفالل والشيخ محمد بن ابْنْ عُمَرْ بن محمَّدْ والشيخ سيد الامين بن حبيب الله وهذان من إدَوْدَيْقُبْ ، وفي بعض وثائق الشيخ سيدي الكبير المذكور المحدث عنه يطلق عليهما النسبة فيقول الدِّيْمَانِيُّونْ. والشيخ سيد القالل من أولاد بُلْمُخْتَارْ والشيخ الحَسَنْ من أولاد الخَطِيْرَ والشيخ محمَّدُ بن حَنْبَلْ ثلاثتهم من إدلب لَحْسَنْ والشيخ احمد بن محمَّدٍ والشيخ سالم بن عَابُودَ وهما وهلال بن محمذ ثلاثتهم من إداشْفَغْ والشيخ احمد بن مُحَمَّذٍ مَيْلُودْ من إدَّبَّمْرَ والشيخ حَمْدِ مَوْلُودْ بن احمد محمود بن محمْ بن بَابُ أخي الشيخ محمد سيدين وهو الذي أتَى به أولا للشَّيخ سيدي الكبير وكذلك اجاز أبنه الشيخ سيدي محمد.

ولكل واحد من هؤلاء الأجلة الاعلام ومصابيح الظلام مع شيخه المذكور حكايات عظيمة معروفة مشهورة وبقي منهم كثير لم أجد خبره في الحال.

أما الذين دخلوا في زُمرته وأخذوا طريقته فلا يحصيهم الاخالقهم فتبارك الله احسن الخالقين.

وقد توفي الشيخ سيدي المذكور رحمه الله تعلى يوم الخميس آخر يوم من ذي الحجة الحرام عام 1284 بلاخلاف ووافق ذلك سنة 1869 ميلادية.

قال بعضهم مؤرخا ذلك:

الشيـــخ سيـــدي عـــن الأنـــام سار بِدَفْ[1] عند انْقِضَاء العـــــــام

وزاح للمضجـع عام شَـرَفِـــه[2] لِرَبِّه وذا دليـل شـرفـــــــــه

في اشْيَاء كثيرة من هذا النوع. وكانت وفاته عند تندوح بير له حفرها من آخرماصفر ودُفِنَ حيث توفي رحمه الله تعالى.

كان هذا الشيخ المذكور آية من آيات الله في وقته حليما لايزعزعه شيء كالطَّوْدِ الراسي وكان وقورا

---

1 - أي 84

2 - أي 1285

ثَبْتًا مُتَأنيًا في جميع أموره وكان غاية قصوى في العلم وفي الاتباع وفي العمل بما علم حتى قيل أنه لم يفعل مكروها ولاخلاف الأولى منذ عقل إلى أن توفى رحمه الله تعلى برحمته الواسعة وحتى قيل إنه في صغره وطفوليته لم يقع منه مايقع من الصبيان ولم يُنتَقَدْ عليه شيء كأنما فطره الله يوم فطره على الخير وعمله وجلبه المصالح ودفع المضار عن عامة خلق الله تعلى وكان في درجة لم يعلم من وصلها في وقته في علوم التصوف وانواع مراحل السلوك ومعرفة امراض القلوب ومعرفة علاجها فسلك على يديه من خلق الله تعلى من لايحصيه الاخالقه والف في ذلك التئاليف النافعة وقد سردتها جملة لما تعرضت إلى إحصاء مولفاته حسبما قدرت عليه منها. وكان جواداً إلى الغاية نطق بذلك عامة خلق الله الذين في زمنه في الشعر العربي والحساني. وقد علم الناس وبعث فيهم الكرم ومكارم الاخلاق وكان منفقا رحيما بالضعيف والفقير والمسكين والغريب وكان مهيبا يجمع المتقاتلين والمتشاجرين على مائدة واحدة وفي مكان واحد فكان منتهى الغايات في جميع ماذكر. وقد نطق عامة الشعراء بهذا كما سترى امثلة منه إن شاء الله تعلى. وكان محبا للعلم والعلماء معظّما لهم وموقرا يلتمس منهم الأجوبة في بعض المسائل والموافقة على بعض، محبا للصالحين متقربا إليهم ملتمسا منهم الدعاء الصالح في الأوقات المرجوة، محبا معظما موقرا لكل من ينتسب إلى شجرة النبي صلى الله تعلى عليه وسلم بأي وجه، يواسيهم بنفسه وينشر المناشير بذلك فقف عليه في رسائله التي حاولت جمعها ويمكن أن اصلها بهذا إن شاء الله تعلى. وكان يبالغ في العطف على الأيتام غاية ويقوم على مصالحهم بنفسه وكان يجل حملة القرءان العظيم ويامر بتعظيمهم ويكتب في ذلك الرسائل المهمة. وكانت اخلاقه كلها في غاية الحسن والمحبة إلى خلق الله فلذلك أحبوه وعظموه واجلوه فكان لايفتقر أحد ولايحتاج لشيء ولايخاف إلا أتاه ووجد عنده مناه. هذا في العموم فكيف بقبيلته الخاصة به أولاد أَبْيَيْرِ فكان لهم كالأب الشفيق والأخ الشقيق والصاحب الصديق علم الجاهل وأرشد الضالم وأعان السديد وكف السفيه وواسى الفقير والبائس واصلح القلوب ورتق الفتوق وشعب الشقوق ولمّ المتفرق وجمع الشتيت وءاخى بين المتعادين والمتصارمين. كتب في الكبير من أمورهم والمتوسط والصغير والحقير والجليل وسار فيها بنفسه لم يمنعه بُعْدُ مسافة ولاضعف بدن ولا صعوبة زمن ولاقوة عدو ولاسُوء أخلاقه. وكل ما اكتب في هذا فأدلته من الشعر العربي والحساني والرسائل النثرية موجودة

قائمة عندي وعند غيري. وكان مصلحا لخلق الله وبينه فكان لايبلغه عن قبيلتين حرب إلا ركب إليهما حتى يصلح بينهما ومن لم يمكنه الوصول إليهما كتب إليهما وكانت كتبه تؤثر مثل تأثيره هو بنفسه فانظر رحمك الله رسائله الاصلاحية في هذا الشأن بين تَجَكَانَتْ وَالرگيْبَاتْ فِي تِينْدُوفْ وبين تجكانت وكُنْتَ واشْرَاتِيتْ من إدَوْعِيشْ في الرگيْبَ وبين محمد لحْبِيبْ بن اَعْمَرْ بن المختار وابناء عمه خَنْدُوسَ وبينه وبين ابن عَيْدْ أمير ءادْرَارْ وبين ابناء السَّيِّدْ فيما بينهم وبين التوارزه وبينهم وبين أولاد احمد إلى مالا أحصي كثرة، فقف عليه في رسائله المجموعة عندي وحدها ، ورسائله الاجتماعية يُوصي الأمراء في الاطراف المتغلبين في وقته بالعدل في الرعية وكف الظالم عن ظلمه وأخذ الحق للضعيف والمظلوم منه وأخذه لرعيته بالانصاف وترك الاعتساف؛ هذا لجميعهم -أمراء التوارزة - أمراء لبراكن- أمراء إدوعيش- رؤساء تكن- رؤساء إفُلاَنْ- كل من بسط الله يده في جزء من الأرض- كبراء قبائل حسان الذين ليسوا أمراء، يكتب للجميع في كل ماجرى في أرضه نصرا للحق وإعانة للمظلوم وردعا وزجرا للظالم، كل هذا لوجه الله تبارك وتعلى. وإذا أردت أيها المتطلع لترجمة هذا الشيخ أن تعرف حقيقة عطفه وشفقته على خلق الله ومكانته عند الخلق عامة وعدم غفلته عن قتيل أو قطمير من جميع أمور الناس فما عليك إلا أن تقرأ رسائله في مختلف انواعها ومقاصدها والاشعار التي يمدحه بها الشعراء سواء كانت عربية أو حسانية **ويزيد الشعر الحساني فائدة على غيره** وهي أن قائله لايعرف التقليد فلا يقول إلامايرى أمامه مشاهدا ويسمع متواترا خلاف الشعر العربي فربما قلد قائله في بعض الاحيان في بعض المعاني. وبالجملة فقد جعل الله هذا الشيخ المحدث عنه رحمة كبرى لجميع الخلق ولاسيما من يقربه ومن يجواره من سائر الناس ولايتصور معرفة معنى حالته وكونه رحمة من الله للخلق إلا من عرف الارض التي كان يسكن فيها وعرف **الحالة السياسية** فيها وفيما جاورها من البلاد وعرف حالة أمراء العرب الذين جعل الله لهم النفوذ في الاراضي المجاورة له. فمن جهة الجنوب الغربي أمراء التوارزة من عهد اعمر بن المختار 1800-1827 وابنه محمد لحبيب 1827-1860 وابنه سيد 1860-1871.

ومن جهة الجنوب الشرقي أمراء أولاد السيد: سيد اعل 1810-1818 وابنه احمدُّ 1818-1841 وامحمد بن سيد بن المختار بن ءاغْرَيْشِ 1858.

ومن جهة الشمال أمراء أولاد يحيى مِنْ عثمانْ: أحمد بن عَيْدْ الكبير وهو ابن سيد احمد بن عثمان بن لفظيل بن شنان وعثمان بن لفظيل قبله.

ومن جهة تَكَانَتْ أمراء إِدَوْعِيشْ بَكَّارْ بن اسْوَيْدْ احْمَدْ وذووه.

هذا فضلا عن أمراء القبائل العربية القريبة منه والبعيدة. وكان جميع من ذكر بين التلميذ له والمسالم والمهادي المهاداة الكثيرة ولاسيما أولاد احمد وكبراءهم اهل دَادِيفْ وكان يحبهم ويقربهم ويعتقدهم خاصية دون غيرهم. ومثل أولاد دَامَانْ سائرهم ولاسيما كبراؤهم وساداتهم أهل محمد بن سيد أحمد وكبراء أهل عَتَّامْ مثل أهل الجَبِيرْ واهل محمدْ اجْمَارْ. وهاتان القبيلتان المذكورتان كذلك تعتقدان فيه اعتقادا زائدا وبينهما من المصادقة مع عشيرته وقبيلته أولاد ابيير شيء زائد على مابين الجميع وغيرهم .

وقد كان تعاهد مع اعمر بن المختار بالقرب من رجوعه من عند أزواد على امور معروفة وقام بذلك بعده ابنه محمدْ لَحْبِيبْ احسن قيام وبعدهما سيدِ وقد توفي الشيخ سيديّ المذكور وهو حي فكان حفظه لذلك العهد بعد وفاته اشدّ مما كان والشيخ حي وبقي هذا العهد صلة متوارثة في اعقاب الجميع والحمد لله وكانت تتمثل في الزمن الأول في الهدايا الكثيرة وفعل كل مايحب الشيخ وقبول شفاعته لمن شفع له وترك كل من استجار به ولاذ وتوقير واحترام سائر قبيلته وتلاميذه وأهل محبته.

هذا من الجانب العربي. ومن جهة الشيخ في الحجاب والنصرة والعون عند كل حاجة إليه بالدعاء ورعاية كل من نزل معه منهم وفارق العرب ببذل مايحتاج إليه من الحالة المادية إلى غير ذلك.

وقد كان مثل هذا بينه مع أمراء أولاد السَّيِّدْ أواكشر فكان كل من عليه سلطانهم يعطيه الهدايا الكثيرة الدائمة السنوية وكذلك مع بَكَّارْ بن اسْوَيْدْ احْمَدْ أمير إِدَوْعِيشْ في وقته ولاسيما أهل أَبَكَّاكْ وكذلك احمد بن عَيْدْ.

أما أولاد أحمد فشأنهم أقرب من ذلك كله وكذلك أولاد دامان.

فكانت غارات المذكورين الدائمة إذا وقع منها على أحد شيء ونُهب ماله يكفيه أن ياتي الشيخ سيديّ المذكور فيذهب معه أو يكتب له لمن فعل ماذكر فما هو إلا أن ياتيه أوياتيه رسوله فيفعل كل ما

أمربه. وصار هذا أمرا معروفا معهودا؛ وكان يأتيه من جعل عليه العرب المذكورون المغارم المجحفة فيخلصه منهم تارة بأن يتركوه له مجانا عند ما يحتمي به وتارة بمال يبذله لهم.

وفي تلك الحال التي كان يقع فيها ماذكرلاغنى عن هذا. فاجتمع عليه بهذا السبب خلق كثير من اللُّعْمَةِ والصُّنَّاعِ والزَّوَايَا المستضعفين والسوادين بل ومن سائر اصناف الناس مايقارب نصف قبيلته إذ ذاك.

ومع هذا السبب الذي هو الاحتماء به اسباب أخرى منها الاقتصاد وكان صعبا في ذلك الزمن لاوسيلة الا الحمل على الابل على الدوام والسعي في المعاشات الكبرى المنحصرة في الملح والزرع والتمر مع تباعد المسافات التي توجد فيها هذه الأشياء المذكورة. أضف إلى ذلك أيضا شغف الزوايا بالعلم والطريق المسلوكة من ناحية التصوف، فأتاه من كل فج عميق وجذب وصوب خلائق لايعلمها إلا الله من طالب علم وسالك وطالب دنيا وخائف وراهب وراغب مالا يعلم عددهم إلا خالقهم فتبارك الله احسن الخالقين.

وهذه الخلائق هي المعروفة الآن على تباين انواعها بتلاصيف أهل الشيخ سيدي فكانت المؤثرات المذكورات كلها سببا رئيسيا في جمع القلوب عليه وانحياش الخلق إليه وانجماعهم عليه فتبارك الله أحسن الخالقين .

ولنذكر مقتطفات مما ذكر عنه السيد احمد بن الامين العلوي الشنقيطي في تاليفه المسمى بالوسيط على سبيل الحكاية فقط. قال في أول ترجمته: "ثم إن الله أعلا به أولاد ابيير وغيرهم هو العلم الذي رفع على أهل قطره واستظل به اهل دهره وماذا اقول في رجل اتفق على أنه لم يظهر مثله في تلك البلاد" إلى أن قال بعد حكايته لرحلته العلمية وزمنه مع حرم بن عبد الجليل العلوي وماكان يقوم به من الخدمة له حرصا على تعلم العلم وشده الرحل إلى الشيخ سيد المختار الكنتي في أزواد وأقامته معه ومع ابنه الشيخ سيدي محمد وما حصل عندهما من المعارف مالفظه:

"ثم رجع إلى بلاده فنزل في قبيلته أولاد ابيير فتلقوه بماهو اهله واكرموه واعترفوا بفضله فلم تزل فضائله تبدوا حتى اذعنت له الزوايا وحسان وصارمثل الملك بينهم فلا يعقب أمره وكان اهلا لذلك كرما

وحلما وعلما ولم تزل الدنيا تنشال عليه ويفرقها في الناس- وكانت العرب في أرض شنقيط تجعله حرما وامنا فيجتمع عنده أحدهم بمن قتل أباه أو أخاه فيجلسهما على مائدة واحدة وإذا بلغ الجاني نواحي البلد الذي يقيم به أمن على نفسه ولم يمض عليه يوم إلا وعنده آلاف من الناس يطعمهم ويكسوهم ويقضي جميع مئاربهم حتى لقي الله ولا يسأله أحد حاجة إلا أعطاه إياها بالغة مابلغت وكان تلامذته يريدون أن يقللوا من ذلك فما أمكنهم وسأله يوما شخص حمارا فقال اعطوه الحمار الفلاني فقالوا إنه غائب فقال أعطوه الجمل الفلاني فقالوا إن الحمار قد حضر فقال اعطوه إياهما معا"

وإلى هذه الحكاية يشير الشاعر البليغ الخنديذ عبد المالك بن امام الشاعر الابيري ثم من إدَّفَرهَاوَ في شعره الحساني الشهير الرائق من قصيدة منه طويلة في مدح هذا الشيخ المحدث عنه بالفظه:

أَمِنْ رِكَّتْ الدِّنْيَ عَنْدُ انهَارْ ... نَوْتْ اجْهِيرْتْ البَعْلاَتِي

رِسْلْتْلْ امْرَيَّ الدَّوْرْ احْتَارْ ... اهُوَ الْفَايَ عَنْدْ لَمْرَيَّ

ارْسِلَهْ اسْدَاسْ ءاوْنَاغْ في الصَّفَارْ ... إلى ادْفَعْ مَاتگُومْ الگشْرِيَّ

ولاَ ارْفِدْ يِرفِدْ لاكْلاَبْ امْنْ الدَّارْ ... أَيگبطْ النَّعَامْ مَاطْلَگْ لِيَّ

ولاَ اتْنِمْشَتْ فِيه شَاكِرْ الدَّارْ ... اعْلِيهْ ذَرْوَ غْبَرْ صُونِيَّ

إلى آخرها وهي من جيد نوعها.

"وشكى إليه إنسان سوء معاملة إمرأته إياه فقال له وما مالكم فأخبره بأن عندهم شيئا من الغنم وحمارا وأمةً وقال إن هذا لامرأته فدعا بأحد تلامذته وأمره أن يعطيه غنما وحمارا وأمة وقال له إنها سيسهل أمرها، وشكا إليه تلامذته المكلفون بالأضياف كثرتهم فقال انحروا من الابل مايكفي فقالوا إنها مهازيل وليس فيها من السمان إلا ناقة روى من لبنها إثنان لكثرته فقال انحروها فإنها ستشبع مائة[1]".

وإلى هذا النوع أشار الشعراء في مدائحهم الكثيرة الطويلة الرائقة فمن ذلك قول مُحَمَّدُّ بن مُحَمَّدْ العلوي في مديحيته له:

1- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط/ ص240، الناشر.

لَمْ يَكْفِهِ الْمَيْرُ الْكَثِيـرُ لَدَى الْقِـرَا كَلاَّ وَرِسْلُ الْكُومِ نَحْرَ الْكُـــــــــومِ

وقال اخوه الْهَادِي في مرثيته الشهيرة:

قُطْبُ الرَّحَا مَأْوَى الْوَرَى مَن جَـاءَهُ يَجِدِ الرَّحَا أَبَدًا تَحُـــــكُّ ثِقَالَهَـــــا

وَيَجِدْ كَرِيمَـةَ شَوْلِـهِ مَمْقُـولَـةً بِالْبَابِ قَدْ خَضَبَ النَّجِيـــعُ عِقَالَهَـــا

تَخْشَى الْمَسَاءَ أَوِالصَّبَاحَ سَوَامُـهُ فَكِلاَهُمَا انْتَظَرَتْ بِـــهِ إِجَالَـــهَـــا

إلى آخرها وهي في غاية الحسن، وصدق قائلها فيما ذكر.

وقال محمد بن السالم الحسني في لاميته المعروفة بالْجَيْتَلِيَّة في مدح هذا الشيخ المذكور:

يُغْشَى ذَرَاهُ فَمَـا تَهِـرُّ كِلاَبُـــهُ مِنْ طُولِ مَا اعْتَادَتْ وُقُوعَ النُّـــــــزَّلِ

يُدْنِي الْجَزُورَ إِلَى حَفِيـرٍ مُتْسَـرِعٍ صُمَّ الْجُدُولِ مَعَ الْهَشِيمِ الْعُدْمُـــــــلِي.

في كثير من ذكر هذا المجال ومنه قول ابن احمد دامْ:

رَءَا مُصَـرَّعَةَ الأَنْعَـامِ قَدْ قُسِمَـتْ بَيْنَ الضَّفِيفِ وَبَيْنَ الْجَوْنَةِ الرَّحَبَـــــهْ

وكان يبلغه أن الطريق منقطع في الجهة الفلانية لعدم عمارتها فيحفر فيها الآبار ويبعث المؤن الطائلة لقرى المارين وإلى هذا أشار الهادي بن مُحَمَّدْ في المرثية التي ذكر منها شيء قبل هذا بقوله:

لَمَّا رَءَا سُبُـلَ الرِّفَاقِ مَضَلَّـــةً عَمَرَ الْبِلاَدَ وَهَادَهَا وَرِمَالَهَـــــــــا

فَلَرُبَّ طَامِسَـــةِ الْمَنَارِ مَتِيهَـــةٍ وَرَثَالُهَـا أَبَدًا تُمَـــــــزَّقُ آلَهَـــا

أَلْقَـى بِهَـا لِلسَّـائِرِينَ مَحَلَّـــةً يَهْدِي هَدِيرُ بِعَـالِهَـــــا ضُلاَّلَهَـــا

وفضائله اكثر من أن تذكر رحمه الله إلى أن قال "وسيمر بك في هذا الكتاب (يعني كتابه الوسيط) من أمداحه مايشهد لما قلت" انتهى المراد من كلام الوسيط في الحال، فانظر كلام احمد بن الأمين هذا العلوي المولود بعد وفاة الشيخ سيدي المترجم بخمس سنين لأنه ولد عام 1289 على الأرجح ما اجزله وابلغه على قلته وهو ليس من قبيلته وليس قريبا منه كل القرب ولم يشتغل بكتابة كتابه الابعد الأربعين من السنين بعد وفاة المترجم تقريبا وماذاك الا لما بقي عنده من ذكره ولاتصاله تقريبا بمن لاقوه من قومه ومن سائر الناس ولشيوع خبره إذ ذاك.

أما كاتب هذا الذي هو عبد الله الفقير إلى جدواه هارون بن الشيخ سيديّ باب بن الشيخ سيدي

محمد بن الشيخ سيديّ المذكور فلم اشتغل بهذا الا بعد مائة سنة من وفاة صاحب الترجمة وقد انقضى جميع اهل عصره والطبقة التي تلي ذلك لاكن اعتمد على الله تبارك وتعلى واسأله أن يوفقني ويسددني ويصلحني ويصلح بي ءامين وعلى بركة المترجم ليسر الله تبارك وتعلى لي جمع اخباره على وجه مرضي سالم من الاغلاط والحشو وعلى رسائله القائمة عندي ولله الحمد فيها خطه النير وخط ابنه الشيخ سيدي محمد الذي ستتصل ترجمته به إن شاء الله تعلى وخطوط أجلاء مريديه وهي اصح مصدر لتاريخ صاحبها لتبيينها لجميع أطواره بل لاتمكن ترجمته لمن لم يقف عليها لأن بالوقوف عليها يعرف عمله العام والخاص ومكانته عند خلق الله وما يكن صدره الفسيح والوثائق التي يكتب بين الناس والاصلاحات التي يوقع.

وتحمل وثائقه وإصلاحاته غالبا التاريخ ونستخرج من ذلك أشياء مهمة كما ستقف على ذلك إن شاء الله.

فكل هذه المذكورات جزء عظيم من تاريخه صحيح لصدوره عنه مباشرة ومع هذا سماعات وبلاغات عن الثقات من الاخوة الكبار وسائر العشيرة ممن عنده طرف من الأخبارالمتصلة السند متحريا الصدق وصحة الخبر باحثا عن الوثائق القديمة والمؤرخة سائلا كل من يظن به معرفة كل خبر باعثا رُسلي إلى من لم ألق طالبا منه عونه باعنده ناظرا مايكتب في مخاتم الكتب القلمية القديمة من الانساب وناظرا في ترتيب الآباء حتى كدت أحقق صحة ماجمعت قاصدا بكل هذا وجه الله تعلى وصلة الارحام وتعريف هذه الخلائق بما بينها منها عملا بقول عمر رضي الله عنه "تعلموا من انسابكم ماتصلون به ارحامكم".

وكنت اكتب عن أولاد انتشايت ككتابتي عن سائر بطون القبيلة حتى انتهيت إلى **المختار بن الهيب** والد الشيخ المترجم فأقول: إن المختار هذا كان من الصالحين غير الظاهرين وقد فكر بعض تلامذة الشيخ سيدي في نفسه بعد ظهوره ماذا من الفضل منّ الله به على المختار حين جعل الشيخ هذا ابنه فأجابه على الخاطر قائلا له كل ماترى من البركات والخيرات فهو من قطرة من النور قطرت على قلب المختار.

وكان جيرانه يحدثون عنه أن غنمه لاتحتك بخيامهم في السحاب وأن بقره لاينطح وأن عبيده

لايصخبون على أحد لاعند المنهل ولا عند الخيام وهذا غاية في الوصف بحسن الجوار. وكان معاصرا لالفغ الْحُمَّدْ الصالح المشهور دفين زَارْ. وكان الفغ الحمد من عابري المراعي المعروفين بذلك قرءا المختار المذكور أن ذكره كبر كبرا خارجا عن المعتاد فأرسل إلى الفغ الحمد من يسأله تعبير هذه الرؤيا فعبرها له بولد طائر الصيت مشتهر جعلها من الذكر فكان ذلك الولد هو الشيخ سيدي المحدث عنه. وكان للمختار تلاميذ من الزوايا مثل أولاد بُصَمْبَ من تَاگُنِيتْ وكانت حالتهم معه حسنة وتلاميذ من لحمة أولاد عَبْدَ اللَّ مثل إرَالَّنْ وَيَاسِّينْ وَالطَّوَابِيرْ وَأَوْلَادْ عَايِدْ وقد اقتسم هديتهم بنوه من بعده، وكان معروفا بسرعة الانتقام له ممن غاظه وهو المسمى "تَازُبْ" وقد عرف من ذلك كثير منه مسئلته مع الرحالي صاحب البقرة المسماة "بُرْبَاطْ" عند بُغَابَ البير التي هو مدفون عندها، ومنها مسئلته مع أولاد منصور في خبر احْمَيْدَاتْ وغير ذلك.

وقد طلب ابن لِگُلَيْبْ احد مغني أولاد دامان لما شرع في الموت منهم ومن بنيه أن يدفنوه معه ولما وقف الشيخ سيديّ بعد ذلك بزمن طويل عند والده يزوره وعرف مكان ابن لگليب قال لقد استجرت بمن يجيرك يابن القليب وقد استجار بقبره ايضا محمد بن سيد احمد المالكي لما هم قومه بقتله فأتاه وانشد عنده:

أيَا قَبْرَ تند وگلّ هذا مُطَـــــرَّدْ طريد جنايات أسلمته القبائـــــــل

في حديث معروف.

و الهيب والد المختار من الكبراء المعروفين ومن اهل العلم وهو أحد الوفد الذين قدموا على تندغ قبل غدرة اهل اگلال يطلبون الخير ولما سمع ابن ابْرَاهْ اللّ رئيس تَنَاكْ اسمه انهزم منه وقال لتندغ ياقوم هؤلاء الناس اسماؤهم اكبر من اسمائكم لاطاقة لكم بهم فلم يلقوا بالا لما قال إلى أن وقع مثل ما قال دريد بن الصمة لما قتل أخاه عبد الله بنو عبس في غارة مشهورة:

أَمَرْتُهُم أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّـــوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلاَّضُحَى الغَـــــــدِ

من قصيدته الطويلة.

ووالد الهيب احمد دَّوْلَ من الأكابر أمه مريم بنت احمد بن الفَالّ وسمته على والدها ولقبته بلقبه. والْهَيْبَ والمختار ذكرهما عبد المالك في شعره الحساني بقوله في مدح ابنهما المترجم:

وَلاَ اتْمَعْلِـمْ مَافْـذِيكْ تَفْكَـارْ فِيهِمْ اتْمَعْلِيـمْ اغْرِيـــــزِيْ
جَـدُّ الْهَيْـبَ أَوَالِـدُ الْمُخْتَـارْ مَنْكَعَتْ لَمْـرُوْ الزَّمْنِـــــيْ
وَاتْمَعْلِيـمْ الَّ مَـارِكْ النَّـارْ وَالطَّيِّبْ وَالْفَـايْدَ الأَصْلِـــــيْ

إلى آخره.

وأم الهيب: اخْوَيْدِيجْ وَتلقب أَمْ حَيْنْ بنت بِتَّفْ واسمه الْمُصْطَفْ بن الفغ احمد دفين ابْيَرْ لِمْـةَ قرب انْجَيْدِ وكان عليه بناء وهو من إدَا شغْرَ أهل الفغ عثمان المعروفين بأهل مكرْ.

وترك المختار ابناء: احمد محمود الملقب داداه وهو اكبرهم ومحمَّدٌ والشيخ سيديَ سمته أمه على خاله سيديا بن الفغ عبيد وكان مشتهرا بالعلم والسوود فقال الناس لأمه قد ثقلت على ابنك فقالت لهم "خالقهما واحد ولم يعجز" فحقق الله تعلى رجاءها، والطالب وهو اصغرهم وكان الشيخ سيديَّ يحبه ويخصه عن إخوته، ودبَّاهْ ولاعقب له ولم اعرف اسمه على الحقيقة واختهم ميمون والدة محمد المختار بن محمد بن أوَّاهْ. وقد تكلمنا عن كلهم في محله وكتبنا ماوجدنا من خبره وذريته ومدافن الجميع الا هذا الشيخ وحده فنحن في الكلام عليه في الحال ونحاول تنسيقه من صغره إلى وفاته رحمه الله.

فنقول كانت والدته وخاله يخصانه بمزيد عناية خاصة دون سائر إخوته من ذلك ان خاله سار به إلى صالحي اهل الْوَرْوَارِيِّ الفغ مُخْتَارِ وَاعْدَجَّانَ ابن احمد بن الفَالِلُّ وأَمِيرْ الصْغَيرْ يزيره إياهم يرجو له بركتهم وهو يمسك بيده فبينما هما راجعان إذ ابصرهما الصالح المشهور **صَلاَحِ بن ءابَّنْ**، الآتي خبره إن شاء الله تعلى.

فقال للشيخ فزت ياغلام وكررها. وقد مر الشيخ بعد ذلك بزمن وهو سائر إلى حرم **بن عبد الجليل** ليقرأ عليه **بمحمْ بن احمد** فأخذ جملا وجعل عليه رحلا وحقيبة وراءها وأشار على الشيخ سيدي بركوب الراحلة وركب هو خلفه ولم يكلمه وكان يقرأ الفاتحة على الدوام ويشير بجناحيه إلى الجهة المقصودة ويصفهما الشيخ بعد ذلك بالطول ويقول إنه لاينساهما حتى وصلا إلى محل حُرْمْ فأشار عليه بإناخة الجمل حتى يبرك فنزل الشيخ ورجع مَحَمْ بن احمد إلى أهله ولم يجر بينهما كلام في الطريق.

وكان قبل خروجه لطلب العلم قائما على أهله ناظرا في مصالح اموالهم والقائم عليها فكان الناس يعرفون ذلك ومما يصدقه أنه كان يرد على البير لسقي الحيوان فلقيه **محمدْ مُخْتَارْ بن محمدْ** الملقب الْحَبَشْ تغييرا للفظة الحبس التي كانت والدته تقول له تفاؤلا ببقائه معها بن محمدٍ مباركْ الملقب غالِ بن أبابك وهو ابو بكر بن محم الملقب انتشايت، ذات يوم عند تلك البير، وكان مع الشيخ سيدي إذذاك عبد يسقي لأهله ماعندهم من البقر وكانت البير غير ذات ماء كثير فأشار محمدْ مُخْتَارْ على الشيخ سيدي وخلصا نجيين عن اهل البير ولم يعرف أحد منهم مادار بينهما من الكلام فرجع الشيخ سيدي إلى اهله واضطجع اضطجاعا يظهر منه عدم رضاه وكان يسمع تنفسه في ذلك الاضطجاع فلما نام الناس استاق بقرات إلى حيث يتعلم العلم فلما اصبح الصبح ولم يصبح مع أهله خرجت والدته وكانت من عظيمات النساء مذكورة في الامداح وهي المعنية في قول عبد المالك بن إمام في شعره الحساني الذي تقدم منه شيء:

وَالْوَالْدَ النَّيْنْ مَعْلُومْتْ اجْوَارْ إلى آخره، وسنورده بكامله إن شاء الله عندما نتعرض لأمداح المترجم، تسأل عنه واين سار وما سبب سيره وهل جرى بينه شيء مع احد عند البير فقال لها اهل البير إنا لانعلم شيئا من خبره إلا أنا رأيناه امس وقد خلص به محمد مختار وساره بشيء. فذهبت إليه وهي غضبى تقول له باللهجة الحسانية يامحمد مختار "اخْلَيْتْنِ وَاذْرَيْتْنِ"، فبان إبني هذا تعني الشيخ سيدي هو الذي كان يقوم بجميع أموري فقال لها بل عَمَّرْتُكِ ولم يزد على ذلك. وكان الناس يفسرون تلك النجوى بأنه قال له اخرج في طلب العلم لأنك ليس عليك عار في اهلك لست كبيرهم سنا ولست صغيرهم وإذا ما حصلت على العلم فالناس يخدمونك. فكانت النجوى سبب خروجه لطلب العلم. ولما رجع الشيخ سيدي من عند "أَزْوَادْ" كان يقرب احمد محمود بن محمد مختار هذا ويقرب اخاه حرم وكان يجلسهما معه على فراش واحد ويقول لهما كل ماتلناه أونيل منا فأجره لوالدكم فعلم أنه في النجوى المذكورة أمره بالسير لطلب العلم أياكان. وكانت هذه الحكاية مطردة مشهورة عند سائر من له صلة بالشيخ سيدي وأهله.

وكان الشيخ سيدي يقول عن نفسه إني منذ كنت صغيرا وأنا "بخَبَرِي" وكان يستصغر قدر خيمة أهله ويقول لهم كبروا أو وسعوا هذه الخيمة. ولايعلم له رجوع إلى أهله منذ خرج في طلب العلم إلا رجوعه

الذي استقر بعده. وقد كان معروفا بالخدمة لحرم بن عبد الجليل زمنه عنده يقوم على حيوانه وعياله وضيفانه احسن قيام ويقوم بمصالح التلاميذ وقد كان يحلب لامرأة من حي حرم بقرات لها وكانت تدعوا الله له أن يخدمه أولاد الحرائر فأجاب الله دعاءها.

ومن جملة ما قد وقع له مع هذه المرأة بخصوصها أنها كانت عندها عجلة وقد أظئرت مع امها عليها بقرة أخرى واتفق أن رحل الحي ءاخر النهار وكانت الأرض التي فيها الحي لاتخلو من بعض السباع المفترسة للحيوانات فرجعت العجلة إلى مربطها الذي رُحِلَ عنه فقالت المرأة للشيخ سيدي أمرها ونزلت ونامت وهي يائسة من سلامتها فرجع الشيخ سيدي مسرعا إلى المحل الذي رحل منه الحي ووجد العجلة قبل أن يعدو عليها عادٍ فقادها حتى أتى الحي وربطها عند ربتها وأوقد النار وسخن عليها الحلاب الذي يحلب فيه البقر وحلب للمرأة وأيقظها على اللبن على حاله المرضي فبالغت في الدعاء له بدعائها العادي أن يخدمه الله الاحرار؛ انظر الوسيط لما كان يفعل عند حرم. وقد قال الشيخ سيدي عن نفسه زمنه مع حرم إنه احس بالعربية رسخت في قلبه وتمددت حتى صارت كالطبيعة فيه.

وكان يكتب الكتب العلمية لنفسه ولاسيما ما يتعلق بالفن الذي يقرأ في الحال فرأيناه استكتب المساعد لابن عقيل على تسهيل الفوائد لابن مالك وكتب في آخره مالفظه: وفرغ من كتابة هذا الجزء منه يعون ذي الجلال يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من شوال عام 1219 كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله بعده سيدي بن المختار بن الهيب بن احمد دول الانتشائي ثم الأبياري كان الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وليا ونصيرا ءامين، انتهى بلفظه من آخر ورقة من الكتاب المذكور وهو بذاته عندي ولله الحمد لم يتغير عن حالته التي كان بها أيام كتابته. وبين تاريخ الفراغ من كتابة هذا الكتاب وتاريخ مولد كاتبه حسبما تقدم تسع بتقديم التاء المثناة من فوق وعشرون سنة.

وكتب لنفسه ايضا شرح المقصور والممدود لابن مالك وأرخ فراغه من كتابته بعشية السبت لليلة خلت من ربيع الثاني عام عشرين ومائتين والف.

والمعروف أنه كتب هذين الكتابين وهو عند حرم بن عبد الجليل وفي نفس هذا التاريخ فرغ من شرحه لمقصورة ابن دُرَيْد وأرخ فراغه منه بيوم الخميس لاربع أو ثلاث بقين من ربيع الثاني عام 1220 في

آخر نسخته الموجودة عندي بخطه ولله الحمد.

وهذه قصيدته التي قال لتلاميذ حُرِمَ لما هم بالانتقال عنهم:

أَيَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ دَعْوَةَ نَادِبٍ ... إِلَى الْحَقِّ وَالْمَعْرُوفِ لَيْسَ بِكَاذِبِ

أُعِيرُونِيَ الْأَسْمَاعَ أَهْدِي إِلَيْكُمُ ... وَصِيَّةَ صَافِي النُّصْحِ غَيْرِ مُخَالِبِ

فَهَذَا أَوَانُ النُّصْحِ وَسَّطَ نَجْمُهُ ... لِتَوْسِيطِ نَجْمِ الْبَيْنِ بَيْنَ الْأَصَاحِبِ

فَلَا تُنْتِجُوا الْبَغْضَاءَ بِالْمَزْحِ بَيْنَكُمْ ... بَلِ اسْتَنْتِجُوا بِالدِّينِ وُدَّ الْأَقَارِبِ

فَكَسْرُ الْأَوَانِي بِالدِّفَاعِ مُرُوءَةٌ ... يُبَايِنُ فَضْلاً كَسْرَهَا بِالتَّجَاذُبِ

وَمَنْ كَانَ ذَاهِمٌ وَلَوْحٍ وَطَاعَةٍ ... فَلَا يَدْنُ لِلْمُسْتَصْبِيَاتِ اللَّوَاعِبِ

فَمَا أَفْسَدَ الْأَلْوَاحَ وَالْهَمَ وَالتُّقَى ... كَبِيضِ التَّرَاقِي مُشْرِفَاتِ الْحَقَائِبِ

مِرَاضِ الْعُيُونِ النُّجْلِ حُورٌ شِفَاهُهَا ... رِقَاقِ الثَّنَايَا حَالِكَاتِ الذَّوَائِبِ

وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا وِدَادٍ وَخُلَّةٍ ... لِمُرْ تَقْمِعِ الْأَخْلَاقِ جَمَّ الْمَنَاقِبِ

لِيَسْحَبْ عَلَى عَيْبِ الْخَلِيلِ ذُيُولَهُ ... وَيَسْتُرْ فَشَانُ الْخِلِّ سَتْرُ الْمَعَايِبِ

وَلَا يُنْسِهِ قُبْحُ الطَّوَارِي إِذَا أَسَا ... مُعَاشِرُهُ حُسْنَ الْخِصَالِ الذَّوَاهِبِ

خَلِيلِيَّ لَا أَبْدِي إِلَى مَنْ يَلُمُّهُ ... طَلَاقَةَ وَجْهِي بَلْ عُبُوسَةَ حَاجِبِي

أُحِبُّ الَّذِي يَسْهُو وَأُبْغِضُ مَا قَلَا ... وَلَسْتُ عَلَيْهِ إِنْ يَزِلَّ بِعَاتِبِ

إِذَا مَا دَعَا يَوْمًا لِصَدْمَةِ حَادِثٍ ... أَلَمَّ عَلَيْهِ كُنْتُ أَوَّلَ وَاثِبِ

وَلَيْسَ بِعَادٍ عَنْهُ تَهْوِيلُ خَطْبِهِ ... وَثُوبِي فَإِنَّ الْخِلَّ خِلُّ النَّوَائِبِ

وَمَنْزِلَةُ الْإِخْوَانِ فِيهَا تَفَاضُلٌ ... فَمِنْهُمْ لَذِيذُ الطَّبْعِ عِنْدَ الْمُصَاحِبِ

وَمِنْهُمْ زُعَاقٌ لَا تُطَاقُ طِبَاعُهُ ... مُعَاشِرُهُ يَرْتَاحُ إِذْ لَمْ يُقَارِبِ

وَمِنْهُمْ فُجُورٌ يُظْهِرُ الْوُدَّ كَاذِبًا ... مَذَاهِبُهُ فِي الْكَذْبِ فَوْقَ الْمَذَاهِبِ

وَكَائِنْ تَرَى مَنْ تَزْدَرِي وَتَظُنُّهُ ... لَئِيمًا إِذَا يُمْنَاهُ هَطْلَى سَحَائِبِ

أَلَا رُبَّمَا كَانَ الْكَرِيمُ بِظَاهِرٍ ... لَئِيمًا لَهُ فِي الْبُخْلِ غَوْصَةُ رَاسِبِ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا مِثْلَ مَا قِيلَ سَابِقًا ... صَنَادِيقُ سُدَّتْ فَتْحُهَا بِالتَّجَارِبِ

فانظر رحمك الله يامعتنيا بخبر هذا الشيخ المترجم حسن هذه القصيدة أولا وسلاسة الفاظها وجزالة معانيها وما اشتملت عليه من الحث علي مكارم الاخلاق واستجلاب المحبة بين الاخوان واسبابها ومافيها من الحض علي تقوى الله تعالى وإبانة ماينبغي في حق اخوان الصدق والتمييز بين احوال الصحاب على الجملة يظهرلك بديهة مايكن قائلها من الاصلاح الذي كان فطر عليه ومن التقوى ومن معرفة مكارم الاخلاق وحسن المعاشرة لمن جمعه به سبب.

وكانت هذه القصيدة خاتمة زمنه عند حرم.

ومن عنده توجه إلى حبيب **الل بن القاضي** وكان في وقته معروفا عند عامة الناس بمعرفة معنى مختصر الشيخ خليل بن اسحاق رحمه الله تعلى حتى قيل إنه لم يسئل عن مسئلة من الفقه إلا أخذها منه. كما اشتهر ابنه **محمد محمود** بصحة الفهم والاصابة في القضايا التي يفتي فيها أو يقضي وقد تقدم ذكر امر المترجم له معهما في أول هذا الملخص.

وقد سار عن أهل حبيب الل بغير قصد لأنه كان عندهم تلميذ يقرأ الفقه فاتفق ان أراد الانتقال عنهم فطلب من التلاميذ من يعينه في سوق زوائل بقر عنده أكتسبها مع التلاميذ بنوع من الخدمة فانتدب لعونه هو وواحد اخر. فلما خرجا معينين للتلميذ المذكور وبعدا عن الحي بعض البعد رجع الرفيق وبقى هو معه إلى أن قبلت الزوائل السوق لربها فهم بالرجوع فقال له التلميذ المذكور لاترجع عني فإنك إن فعلت تعين على الرجوع وذلك لايمكنني فصبر معه ثم إنه أخذته الحمى لأن الزمن زمن الخريف. فسار عنه التلميذ فوجده رعاة إبل وساروا به إلى أن وصلوا به تِجِكْجَ القرية المعروفة الآن في تَكَانِتْ فلم يوافقه المقام بها لحرها آنذاك.وفي هذا الممر الخاطف لقي العالم العلامة الحاج **سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم** العلوي صاحب التشاليف الكثيرة الشهيرة في مختلف الفنون عند منهل الْتِدُّيْ ووجده يتوضأ من مائها والتلاميذ يمسكون عليه لباسه خوفا عليه من أن يتنجس وهذا من فقهه العجيب.

فقال للرعاة أن يذهبوا به فساروا به حتى وصلوا تيشيت المدينة العلمية التاريخية التي أسست عام 536 (ستة وثلاثين وخمسمائة) ، وحاله ينشد:

رب مـــرء تســـوقـــه الاقـــدار للمعـــالي ومـــا لديـــه قـــــــــرار
غافـــلا والســـعـــادة احتضنتـــــه وهـــو منهـــا مستـــــــــــوحش نفار.

وهذه المدينة بناها عبد المومن جد شرفاء تيشيت الغربيين ومعه الحاج عثمان جد بعض إدوالحاج من يدعي الانتساب إلى الانصار منهم خاصة فبقي عندهم عندها ودخل دار خزانة كتب الشرفاء آل عبد المومن مدمنا مطالعة مافيها من الكتب مشتغلا بالتقاليف. قيل أنه شرح في هذه الدار أم البراهين للسنوسي شرحه المسمى بهصر المراجين من عنق أم البراهين للضعفاء المراهين وهو شرح نفيس أورد فيه مولفه رحمه الله تعلى اشياء مفيدة وانتفع بأسرار لاإله إلا الله حتى قيل إنه حدث أنه زمنه يشتغل بهذا الشرح لايقول هذه الكلمة الشريفة إلا قالها جميع بدنه حتى الشعر وحتى تنطق بها الجمادات التي بإزائه. ولايستبعد هذا لأن قدرة الله تعلى لايعجزها شيء وذكر الجمادات والعجماوات مذكور في القرآن العظيم الكريم قال الله تعلى: {**وإن من شيء إلايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا**}. وقد سبح الحصى في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحن جذعه الذي كان يستند عليه قبل أن يصنع له ميمون النجار غلام امرأة من الانصار المنبر؛ وكلمه الوحش والضب والذيب والجمل وغير ذلك[1]

وشرح لامية الافعال لابن مالك شرحا نفيسا يقال له تحفة الاطفال بشرح لامية الافعال وهذا الشرح هو الذي أعتمد عليه الحسن بن زين بن سيد اسليمان الكُنَانِيُّ في نظمه ونشره على اللامية المذكورة وإلى ذلك يشير بقوله:

فِيهِ اقْتَفَيْتُ أَبَا الْأَنْـــوَارِ سَيِّدَنَـــا سِيدِيَّ قُطْبَ الرَّحَا بَدْرَ الدُّجَى الْمَثَـــــلاَ.

ار ومن لقيه به.

وشرح باب الفرائض من مختصر الشيخ خليل؛ وشرح كذلك مقدمة ابن آجروم في النحو شرحا سماه

---

1 - وبالوقوف على تاريخ انتهاء هذا الشرح المذكور يقطع أنه إنما جمعه آخر زمنه في أزواد بلاخلاف

النفحة القيومية بتقرير الجرومية وقفت على نسخة منه قديمة في أولها خط المؤلف المذكور وبعد السجعتين المتقدمتين زاد مالفظه: "لعبيد ربه المستغفر من ذنبه وسيء كسبه سيدي بن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله للجميع وليا ونصيرا ءامين". وفي ءاخرها كذلك كلمات من الاضافة: مايضاف للظاهر ومايضاف للمضمر وتفصيل ذلك؛ وفي وسطه اصلاحات في المقابلة. وقد القى الله تبارك وتعلى القبول على هذا الشرح ورزق بركة النحو وفهمه لمن قرأه فكان إذا قيل شرح الجرومية أو الشرح بدون إضافة لايتبادر للسامع إلا أنه شرح الشيخ سيدي للجرومية دون سائر شروحها.

وبينما الشيخ سيدي ذات يوم في الخزانة المذكورة يطالع على عادته إذ حال شخص بينه مع الضوء فرفع رأسه فإذا هو بسيد المختار بن سيديا خاله فلما عرفه لم يزد على أن سأله ما أتى به عن بقيراته بالتصغير خوفا من أن يشغله بأخبار أهله عن ماهو فيه. وكان الذي أتى بسيد المختار هذا إنه لما طالت غيبة الشيخ سيدي عن أهله وفقدوا خبره اهمهم ذلك جدا وصاروا يسئلون عنه كل من لقوا والاخبار في ذلك الوقت منقطعة غاية والاتصالات صعبة كذلك غاية فليس الاطريق القوافل والسير على الاقدام في المسافات الشاقة مع عدم الامن على الانفس فضلا عن المال ومع تباعد المياه. فسار سيد المختار هذا سائلا وباحثا عن الشيخ سيدي أينما كان حتى اهتدى إليه فلما قال له مقالته المتقدمة غضب عليه وقال له إني لا أحب بلادا لست فيها وسار عنه إلى أزواد وسكنه مع أهل الشيخ سيدي المختار وسياتي طرف من خبره فيما بعد إن شاء الله.

وكان محمد بن مَنَّيهْ بن الفغ عبيد خاله أيضا الذي قد رأس أولاد أبيير زمن حرب تندغ التي تقدم ذكر طرف منها يسأل عن الشيخ سيدي غاية ويسأل عن سيد المختار ابن أخيه ويقول إنه قال له وَالِدُ الدَّيْمَانِيُّ الذي قد صحبه لما انتهى امر الحرب وتاب إلى الله تعلى معه وصار يبكي من خشية الله وهو الذي ذكره عبد المالك في عده أقرباء الشيخ سيدي المترجم:

خَالُ مِنَّيهْ الرَّايْس الصَّبْـــــارْ عَطَّايْ كِيفْ عشَايْـــــــــــــهَ مِيّ

اصَوَاعْهَ زَادْ قَيْتَانْ الاشْـــــرَارْ مَاگَطْ ابْغَالْـــــــــــهَ النَّعْـــــرِيّ

"إن دولة الزوايا مطلقا ودولة أولاد ابيير خاصة ستصلح على يدي واحد من قومكم المتغيبين في طلب العلم" ويقول منيه إنه هو يرجو ذلك لابن اخته يعني الشيخ سيدي دون ابن أخيه سيد المختار بن سيديا.

وقد عرف الشيخ سيدي مدته في تيشيت من طرف علمائها وأهل الفضل.

ولما انتهى من كتابة تئاليفه التي كان يؤلف وفرغ من نظر الخزانة استشار أهْمَارْ إِسْرِ ومعناها العالم الكبير بلغة أزَيْرْ وهو ابن محمد بن احْمَادْ الل من أولاد هِنْدِ صُمْلِمْ وهم طلبة تيشيت ولهم تاريخ حافل في تاريخ تيشيت وكبير شرفاء ءال عبد المومن مايفعل؟ فقال له أحدهما: "لا أرى أنك تزداد من شيء من انواع العلوم فإن كان لك اهل فارجع إليهم لعلهم ينتفعون بك" وقال الآخر: "ليس هذا رأيي؛ لما بلغت هذا المبلغ أرى أن تغرف غرفتك من هذا البحر الذي يذكر" يعني به الشيخ سيدي المختار. فاستخار الله لما فيه الخير له من هذين الرأيين فقوى عزمه على الأخير منهما وتجرد لذلك عزمه. وهنا تنتهي مرحلته الأولى من مراحل العلم ويهتم بنوع اخر غير ماكان فيه. فسار مع قوافل أهل تيشيت إلى ولاتة وزاربها روضة الولي الكبير الشهير الشيخ سيد احمد البكاي الذي كان موجودا سنة إحدى عشرة وتسعمائة وكان مشتهرا بالصلاح وعبادة الله تعلى على الدوام وكان ظاهر الكرامات والخوارق وهو الذي اصلح الله على يديه أهل ولاتة في قدمته عليهم المشهورة المذكورة في الطرائف والتلائد وفي الرسالة الغلاوية.

ومن ولاتة خرج مع القوافل إلى أزواد مارا بتُنْبُكْتُ حتى وصل الشيخ سيدي المختار بن سيدي أحمد بن سيدي أبي بكر الكنتي ثم الوافي في محله فسأله عن اسمه فقال له اسمي سيدي فقال له الشيخ سيدي المختار هُدِيَّ حتى كررها ثلاثا فكانت هذه براعة استهلال حسنة للمرحلة الأولى من مراحل أزواد. وقيل إن الشيخ اعاد عليه أن اسمه سيدي فقال له فدي فقال الشيخ سيدي فتفاءلت بما قال الهداية وأن أفدي من جميع المكاره.

وكان الشيخ سيدي لاينوي الاقامة بل كان قصده أن يدخل في جملة تلاميذ الشيخ سيد المختار وياخذ طريقه فقط فأخذ الورد يوم مجيئه وأصبح من الغد راجعا فأتى تلميذ من تلاميذ الشيخ سيدي المختار وكان يعرف الشيخ سيدي في بلاد القبلة في طلبه للعلم ويعرف مكانته العلمية فقال له يابَابَ وكان

تلاميذه يلقبونه ذلك اللقب: "إن كانت لكم عناية بأبنائكم وتلاميذكم وحضرتكم فلا يفوتنكم الرجل الذي رجع من عندكم فإنه لايوجد اجمع منه للعلم". فكتب الشيخ سيدي المختار كتابا إليه مع بعض تلاميذه يامره فيه أن يرجع إليه من المكان الذي يصله عنده الكتاب فوافاه بعد أن قطع بعضا من المسافة فما هو إلا أن قرأ الكتاب فينثني راجعا مع الرسول المكرم عنده.

وكان يحدث بعد رجوعه إلى بلاده أن هذه الرسالة لم تكن لاتقة عنده في ذلك الوقت إلا أنه حمد مغبتها لله فيما بعد. فكان هذا هو أول استقراره في حضرة الشيخ سيدي المختار. وهذه الرحلة هي التي تقدم ذكر طرف منها في القصائد التي ذكرت فيها وستاتي بكاملها إن شاء الله في المحل المناسب.

فصادف الشيخ سيدي طائفة من التلاميذ منهم **الشيخ القاضي بن احمدُ بَابُ** يقرأون تفسيرالقرآن على الشيخ سيدي المختار قدوصلوا إلى سورة {قد أفلح المؤمنون} قال الشيخ سيدي فتفاءلت بهذا الابتداء إني أرى الفلاح وهو الظفر بالمطلوب فشرع معهم حتى انتهوا إلى اخر سورة الزخرف فتوفي الشيخ سيدي المختار رحمه الله تعلى برحمته الواسعة آمين.

ابتدأ الشيخ سيدي في سلوك الطريقة القادرية على يد شيخه المذكور الشيخ سيدي المختار وشرع في بث العلم وانكب عليه أهل حضرة شيخه يتعلمون منه العلوم ولاسيما العلوم اللسانية بجميعها فقد كانت له اليد الطولى فيها والشأو الواسع وكان الشيخ سيدي المختار يقربه ويرى فيه علامات ما اظهر الله على يديه من المنافع فقال له بعض الناس فيما بلغنا مقالا في ذلك فقال لهم إن هذا الرجل يعني الشيخ سيدي لم ياتنا يحتاج إلى غيرما يحصل فيه فقط ويمثل لهم على وجه الاستعارة عن ذلك بالنَّحْي الذي قد اصلح بجعل الرُّبِّ فيه ولم يبق إلا أن يملأ دهنا إلى غير ذلك مما يوثر عن شيخه من اظهار الخصوصية له منذ قدم عليه. وقمت الألفة بين الشيخ سيدي وكبار تلاميذ الشيخ سيدي المختار ولاسيما الشيخ القاضي فستقف فيما بعد على مراسلته مع ابنائه وعلى المعروف العظيم الذي كان

يصلهم منه صلة لهذي الرحم الدينية. وشرع يخدم خدمة التلاميذ المخلصين الذين يحدوهم حادي الرجاء وحادي النصيحة وحادي التعهد فقد نشأ في خدمة مراده مذهو طفل يافع وأمره عند معلمه القرءان وعند معلمه العربية وما يتعلق بها وعند معلمه الفقه ومايتصل به وفي اسفاره وعند تبشيت ينقل الكتب ويعلم الابناء والتلاميذ ويسير في الآبال الكثيرة لطلاتها عن الجرب ويحفر الآبار. فظهر بين التلاميذ ظهورا بينا وكني أبا الفضائل وأبا الأنوار.

وقد رثا شيخه الشيخ سيدي المختار بعدة قصائد مختارات غاية منها وهي أحسنها وأظنها أولى ما رثاه به وقد قالها يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من وفاة المرثي بها رضي الله عنه ووافقت وفاته ضحوة الأربعاء لخمس ليال خلون من جمادى الأولى عام ستة وعشرين ومائتين وألف وقائلها لم يدرك من عمر شيخه المرثى بها غير خمسة أشهر: انظر جوابه لأَحْمَدُ بن محمدُ بن عَبْدْ الدَّايِمْ التَّاگَاطِيُّ عن أسئلته التي سأله عنها وخاصة أولها الذي هو السؤال عن وقف الحيوان وعن قول الشيخ سيدي المختار أنه ينقلب صدقة على الموقوف عليهم؛ فقد استطرد في جواب هذا السؤال مدة إقامته عند أهل الشيخ سيدي المختار وفصلها وبين أنه لبث مع الشيخ سيدي المختار خمسة أشهر فقط وباقي زمنه مع ابنه وخليفته الشيخ سيدي محمد كما سياتي إن شاء الله إذا انتهينا من مراثي الشيخ سيدي المختار. وقد كنت قبل ابتدائي في كتابة هذا الملخص جمعت اسماء ما وقفت عليه من مؤلفات وفتاوي ورسائل وإجازات هذا الشيخ المترجم تحت عنوان مخلفاته العلمية في حجم قريب من هذا الحجم بدأت فيه من رقم 1 إلى رقم 95 وسألحقه بهذا إن شاء الله عند مياتي موجبه.

والقصيدة المذكورة هي هذه:

مَا اخْتَارَ فَاعِلُنَا الْمُخْتَارُ مُخْتَـارِي ... إِنَّ الرِّضَا وَاجِبٌ بِمَاقَضَى الْبَـــــارِي

لاَتَجْزَعِي جَزَعَ الْمَنْقُوفِ هَامَتُـــهُ ... وَأَظْهِرِي الصَّبْرَ نَفْسِي أَيَّ إِظْهَـــــارِ

فَالصَّبْـرُ أَجْمَلُ مَا ازْدَانَ الْكَرِيمُ بِهِ ... فِي الْحِينِ عِنْدَ اصْطِلاَمِ الْمِخْذَمِ الْقَـــارِي

لَيْسَ التَّفَجُّعُ وَالْأَسْيَابُ نَاجِعَـــةٌ ... إِن مَايَكُنْ لِلْمَنَا إِنْشَـــعَابُ أَظْفَـــارِ

فَالْمَوْتُ عَضَبٌ لِنَقْفِ الْهَامِ مُنْتَـزِعٌ ... بِكَـــفِّ ذِي عِـــزَّةٍ يَهْتَـــزُّ جَبَّـــارِ

لاَقِحْـفَ جُمْجُمَـةٍ إِلاَّ يُفَلِّقُـــهُ ... وَلاَ أُخَـــا كَرَمٍ إِلاَّ وَفِي الْقَـــــارِ

فَكَيْفَ لاَ وَإِمَامُ الرُّسْلِ قَاطِبَةً ... ثَوَى بِبَطْنِ الضَّرِيحِ مُنْذُ أَعْصَارِ

وَمِنْ هُنَا يَعْلَمُ الدَّارِي بِرُتْبَتِهِ ... تَنْزِيهَ وَارِثِهِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ

إِذْ كُلُّ مَاكَانَ لِلْمَوْرُوثِ مِنْ رُتَبٍ ... لِلْوَارِثِ الْمُفْرَدِ الْمُسْتَكْمِلِ الصَّارِي

شَيْخِ الْمَشَائِخِ نِبْرَاسِ النَّبَارِسِ فِي ... لَيْلِ الْجَهَالَةِ لِلْمُسْتَبْصِرِ السَّارِي

مَنْ صَارَ مِنْ فَقْدِهِ نَحْرُ الْعُلَى عَطِلاً ... مِنْ بَعْدِ زَهْوَتِهِ بِفَرْدِ تَقْصَارِ

أَضْحَى الزَّمَانُ وَفِي إِنْسَانِ مُقْلَتِهِ ... وَهِيَ وَاحِدَةٌ تَدْمِيمُ عَوَّارِ

وَأَصْبَحَ الْمَجْدُ فِي أَرْكَانِهِ وَهَنٌ ... عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَمُنْهَارِ

غَدَاةَ مَاصَدَمَ الْخَطْبُ الْمُلِمُّ بِهِ ... فَجَرَّعَ الْكُلَّ طَعْمَ الصَّبْرِ وَالْقَارِ

وَيَتَّمَ الدِّينَ فَانْهَلَّتْ بَوَادِرُ مَنْ ... يَلِي كَفَالَتَهُ مِنْ كُلِّ صَبَّارِ

فَقُلْتُ إِذْ ذَاكَ وَالدَّهْيَاءُ تَجْرِضُنِي ... فَأَتَّقِيهَا بِسَوْمِي كَتْمَ أَسْرَارِ

فِيمَ الْبُكَاءُ عَلَى مَنْ لاَيُغَيِّبُهُ ... عَنْكَ احْتِجَابٌ وَلاَتَوْدِيعُ أَفْكَارِ

فِيمَ الْبُكَاءُ عَلَى حَيٍّ يُخَلِّدُهُ ... حُكْمًا وَإِنْ غَابَ حِسًّا حُسْنُ أَذْكَارِ

نَدْبٍ إِلَى مَايُحِبُّ اللَّهُ مُنْتَدِبٍ ... جَلْدٍ عَلَى الْحَقِّ كَرَّارٍ وَجَرَّارِ

ظِلٌّ وَرِيفٌ وَكَهْفٌ حِينَ لاَوَزَرٌ ... سَمْحٍ رَأُوفٍ إِلَى النُّظَّارِ نَظَّارِ

يَقْرِي وَيُقْرِئُ مَرْضَى مِنْهُ طِبُّهُمُ ... فَهْوَ الْمُطَبَّبُ وَهْوَ الْمُقْرِئُ الْقَارِي

فَكَمْ سَقَى مُضْرَمَ الْأَحْشَاءِ ذَاعَطَشٍ ... مِنْ عَذْبِ حِكْمَتِهِ وَفَيْضِ أَنْوَارِ

وَكَمْ عَلَى جُرُزٍ سَحَّتْ سَحَائِبُهُ ... فَفَاضَ رَوْضًا نَضِيراً غَضَّ أَزْهَارِ

وَكَمْ عَوِيصٍ عَزِيزِ الْفَهْمِ وَضَّحَهُ ... وَكَمْ جَدًا مُتْلَداً لِلْمُعْتَفِي الْعَارِي

وَكَمْ ثَوَى بِمَقَامٍ عَزَّ مُوصِلُهُ ... وَكَمْ جَنَى ثَمَرَ الزُّلْفَى بِإِضْمَارِ

دَنَا فَأَدْنَا بَعِيداً مِنْ نَزَاهَتِهِ ... نَنَا فَأَنَّا قَرِيبًا مِنْ لَظَى النَّارِ

سَمَا فَأَسْمَا وَضِيعًا فِي مَرَاتِبِهِ ... وَانْحَطَّ فَاحْتَطَّ كُلَّ غُصْنٍ إِثْمَارِ

عُجْبِي لِمُجْزِمٍ بِالْخَفْضِ مُرْتَفِعٍ ... بِالْجَزْمِ مِنْ قِبَلِ الْمَجْرُورِ وَالْجَارِ

يَمُرُّ مَرَّ سَحَابِ الْعَصْفِ مُضْطَجِعًا ... خُطَاهُ فِي مَهَلٍ تَقْرِيبُ الْأَخْيَارِ

إِذْ جَاءَ مُعْتَضِداً لِلدِّينِ آلَتَـــهُ ... مِنْ نَصِّ خَالِصِ قُرْآنٍ وَأَخْبَـــــارِ

مِنْ بَعْدِ مَا دَثَرَتْ بُنَاهُ وَانْعَكَسَـتْ ... فِيهِ مُرِبَّاتُ أَرْوَاحٍ وَأَمْطَـــــارِ

فَهَدَّ مَا أَسَّسَتْ مِنَ الْبِنَـاءِ بِـهِ ... وَأَحْدَثَتْهُ مِنَ انْجَادٍ وَأَغْـــــوَارِ

وَرَدَّ مَا هَدَّمَـتْ مِنْهُ وَشَيَّـــدَهُ ... رَفْعًا وَجَدَّدَهُ تَجْدِيدَ مُخْتَـــــارِي

فَاللَّهُ شَـرَّفَهُ مِنْ حَيْثُ أَتْحَفَـهُ ... بِقَلْبِهِ الْمُصْطَلِي وَطَرْفِهِ الـــــدَّارِي

وَالْعِلْمُ يَنْشُرُهُ فَالْحَقُّ يُظْهِـــرُهُ ... وَالْبُطْلُ يَكْفُرُهُ وَلَوْ زَرَى الـــــزَّارِي

تَبَارَكَ اللَّهُ مَاحَـوَى مَنَاقِبَـــهُ ... شَفْرٌ وَلَانَجَلَتْهُ أُمُّ مُخْتَـــــارِ

وَلَابَدَا مِنْ رُمَاةِ الْعِرْضِ مُشْتَكِيًـا ... إِنَّ الْهِزَبْرَ الْمُشَكَّـــــى غَيْـرُ زَعَّارِ

لَاكِنَّ رَائِمَـهُ لِهَتْـكِ حُرْمَتِـــهِ ... يُقْرَى حَشَاهُ بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَـــــارِ

سَقَى مَثَاوِيَهُ مِنْ مَحْضِ رَحْمَتِـــهِ ... عِهَادُ مُزْنٍ شَهِيِّ الصَّوْبِ مِـــدْرَارِ

وَلَاطَـرِدْنَا عَنِ الْمَثْوَى بِسَاحَتِـهِ ... يَوْمَ الْحِسَابِ وَلَازِلْنَا مِنَ الْجَـــارِ

وَبَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ كَانَ خَلَّفَـــهُ ... مِنَ الْفُرُوعِ وَحَلَّاهَا بِأَثْمَـــــارِ

حَمْدًا لَهُ حَيْثُ أَبْقَى يَوْمَ كَمَّلَـــهُ ... مِنْهُمْ خَلِيفَتَهُ فِي كُلِّ مِضْمَـــــارِ

اللَّهُ يَحْفَظُـهُمْ مَاكَانَ أَذْكَـرَهُمْ ... لِلَّهِ عِنْدَ اصْطِدَامِ الْحَادِثِ الطَّـــارِي

اللَّـهُ يَحْفَظُهُـمْ مَاكَانَ أَصْبَرَهُـمْ ... عَلَى اخْتِطَافِ الْمَنَا أَكُفَّ الْأَقْـــدَارِ

لِلَّـهِ دَرُّهُمُ مَاكَـانَ ابْعَدَهُـمُ ... بَيْنَ الْوَرَى عَنْ مَجَالِ النَّارِ وَالْعَـــارِ

لِلَّـهِ دَرُّهُـمُ مَاكَـانَ أَجْرَأَهُـمْ ... عَلَى الْمَكَارِمِ فِي يُسْرٍ وَإِقْتَـــارِ

لَايَجْبُنُـونَ إِذَا مَـا الدَّهْرُ نَاجَـذَهُ ... أَبْدَى وَهَرْهَرِيرَالضَّيْغَمِ الضَّـــارِ

وَجَلَّلَ الْمَحْلُ مِنْ بَرْدِ الشَّتَا أُدُمًـا ... وَجْهَ الْوُجُودِ مِنَ آفَاقٍ وَأَقْطَـــارِ

حَلَّتْ فُرُوعُهُمُ فِي السَّيْرِ أَصْلَهُـمُ ... وَأَجْمَلَ الْكُلُّ فِي مُكْثٍ وَتَسْيَـــارِ

بِمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَصِـمٍ ... وَمَنْ هُوَ النِّقْمَةُ الْكُبْرَى لِجَـــوَّارِ

عَلَيْهِ مَا طَرَدَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ دُجًى ... أَوْفَى صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ مِنَ الْبَـــارِي

وَالْآلِ وَالصَّحْبِ وَالْغُرِّ الْكِرَامِ وَمَـنْ ... لَهُ امْتِنَاءٌ بِهِمْ فِي قَفْوِ آثَـــارِ

- إلحاق وتذييل:

هَذَا وَإِنِّي بِمَا أَهْدَيْتُ مُحْتَرِسٌ ... مِنْ خَيْبَةِ السَّعْيِ وَانْكِسَارِ أَظْفَارِي

وَمُسْتَعِينٌ بِهِ فِيمَا أَأَمَّلُهُ ... مِنْ نَيْلِ أُمْنِيَتِي مِنْ مَحْوِ أَوْزَارِي

وَصَرْفِ مُوبِقَتِي لِطَوْعِ خَالِقِهَا ... مَعَ الرِّضَا وَقَضَاءِ كُلِّ أَوْطَارِي

يَا مَلْجَأَ الْمُلْتَجِي مِثْلِي وَعُدْتَهُ ... وَعَيْنَ مُلْقَى عَصَا التَّسْيَارِ فِي النَّارِ

مُنُّوا بِمُلْتَفَتٍ مِنْكُمْ عَلَى غَرَقٍ ... فِي كُلِّ غَيٍّ بِهِ مَوْجُ الْهَوَى جَارِ

فَنَظْرَةٌ مِنْكُمْ لِلْمَرْءِ تُنْقِذُهُ ... مِنْ كُلِّ صَوْلَةِ جَبَّارٍ وَتَيَّارِ

لَازِلْتُمُ مَعْدِنَ الْحَوْجَاءِ تَقْصِدُكُمْ ... لِنَيْلِ مَأْرَبِهَا أَعْيَانُ الأَبْرَارِ.

وقد أورد الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في رسالته التي وجه إلى أخيه الاكبر باب احمد مالفظه: وقد انشدني الشيخ رضوان الله عليه بعد وفاته عتابا على التخلف عن الزيارة:

زُرْنَا وَلَاتَتَخَلَّفْ عَنْ زِيَارَتِنَا ... فَفِي زِيَارَتِنَا أُنْسٌ وَتَقْدِيسُ

فِيهَا الشِّفَاءُ وَفِيهَا بُرْءُ ذِي دَنَفٍ ... وَلِلشَّدَائِدِ تَفْرِيجٌ وَتَنْفِيسُ.

وقد أبدع الاديب اللوذعي الحاذق والحبيب الالمعي الصادق ذو الانوار المنيرة والاسرار المستنيرة والاذواق الغزيرة والفتوح الكثيرة والنفس الزكية من الاكدار المنزهة عن مساكنة الاغيار أخونا سيدي بن المختار كل الابداع في تضمينه البيتين قصيدة مثلهما في الوزن والروي سدده الله تعلى لسلوك المنهج السوي وأورده هاديا لحلبة الواردين المنهل الروي ومطلعها:

يَارَوْضَةً يَنْزَوِي عَنْ زَوْرِهَا الْبُؤْسُ ... وَجَارُهَا بِجِوَارِ اللَّهِ مَحْرُوسُ

لَايَخْتَشِي مِنْ دَوَاهِي الدَّهْرِ دَاهِمَةً ... وَلَاتَحِلُّ بِوَادِيهِ الْأَبَالِيسُ

ضَمَّتْ نَوَافِحَ يُمْنٍ رُبَّمَا بَعَثَتْ ... مِنَ الْحِجَا مَا أَمَاتَتْهُ الرَّوَامِيسُ

وَمُشْرِقًا سَاطِعَ الْأَنْوَارِ قَدْ قُبِسَتْ ... لِمَنْ دَجَا حَالُهُ مِنْهُ الْمَقَابِيسُ

يُشْفَى مِنَ الْمَرَضِ الْمُعْيِي تَطَبُّبُهُ ... مَنْ زَارَهَا وَدَلِيلُ الصِّدْقِ مَحْسُوسُ

كَفَى بِإِغْرَاءِ مَنْ حَلَّى مُعَطَّلَهَا ... وَرَاحَ عَنْهَا بِهِ رِجْسٌ وَتَدْنِيسُ

عَلَى زِيَارَتِهَا مَوْلَى خِلَافَتِهِ ... إِذْ جَاءَ يَنْشُدُهُ وَاللَّيْلُ مَلْبُوسُ

(زُرْنَا وَلاَ تَتَخَلَّفْ عَنْ زِيَارَتِنَـــا ... فَفِي زِيَارَتِنَا أُنْسٌ وَتَقْـــــــدِيسُ

فِيهَا الشِّفَاءُ وَفِيهَا بُرْءُ ذِي دَنَـــفٍ ... وَلِلشَّدَائِدِ تَفْرِيـــــجٌ وَتَنْفِيـــــسُ)

سَقَاكِ مِنْ دِيَمِ الرِّضْوَانِ مُنْهَمِـــرٌ ... عَذْبُ الرَّوَى صَـــوْبُهُ بِرٌّ وَتَانِيـــسُ

جَوْنٌ بِهِ رَأْفَةُ الرَّحْمَانِ حَادِيَـــــةٌ ... يَحْتَثُّهَا مِنْ سَمَاءِ الْجُـــودِ تَرْجِيـــسُ

بِكُلِّ مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ مِنْ رَغَـــدٍ ... وَكُلِّ مَايَسْتَمِيلُ الطَّـــرْفَ مَبْجُـــوسُ

يَارَوْضَةَ الْقُدْسِ لاَزَالَتْ مُقَدَّسَـــــةً ... أَرْضٌ بِهَا أَنْتِ حَيْـــثُ الْقُدْسُ مَرْمُـــوسُ

جَرَتْ عَلَيْهَا ذُيُولَ الدَّجْنِ غَادِيَـــــةٌ ... يَحْدُو بِهَا مِنْ حُدَاةِ الـــرَّوْحِ تَنْفِيـــسُ

وَطْفَـــاءُ حَافِلَةُ الْأَخْلاَفِ هَيْدَبُهَـــا ... لَهُ عَلَى الْأَرْضِ تَدْفِيـــفٌ وَتَقْوِيـــسُ

تُهْدِي عَلَى الْهَضْبِ وَالْوَهْدَانِ مُعْتَرِكًا ... مِنْ وَقْعِـــهِ لِهَزِيمِ السَّيْـــــلِ تَعْكِيسُ

تُنْـــذِي حَوَائِكُهَا فِي كُلِّ مُمْحِلَـــةٍ ... مُنَمَّقًا فِيهِ تَطْبِيـــقٌ وَتَجْنِيـــسُ

فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ فِي حَلْيٍ وَفِي حُـــلَلٍ ... تَغْدُو[1] كَأَنَّ مَجَـــارِيهَا قَوَامِيـــسُ

وَيُصْبِحُ الرَّوْضُ فِي أَرْجَائِهِ لَجَـــبٌ ... مِنْ طَيْـــرِهِ فَكَأَنَّـــهُ مَدَارِيـــسُ

وَيُصْبِحُ الدَّهْرُ فِي أَمْنٍ وَمَيْمَنَـــــةٍ ... وَخَفْـــضِ عَافِيَةٍ لَـــهُ مَلاَبِيـــسُ

وَيُصْبِحُ النَّعَمُ الْمَهْزُولُ فِي نَعَـــمٍ ... يَبْنِي[2] بِهِنَّ الْمُنِـــنُّ وَالْبَوَابِيـــسُ[3]

هَذَا وَمُسْدِيكَ مَا أَسْدَاكَ مِنْ شَـــرَفٍ ... تَقَطَّعَتْ حَسَدًا مِنْـــهُ الدَّيَامِيـــسُ

مَا إِنْ سَعَتْ قَدَمٌ تَسْتَـــاقُهَا قَـــدَمٌ ... وَلاَخَدَتْ فِي الـــدُّجَى نُجْبٌ عَرَامِيـــسُ

يَخُضْنَ فِي لُجَجِ الْمَوْمَاةِ أَذْرُعَهَـــا ... لِرَحْبِ صَفْصَفِهَـــا الضَّـــاحِي مَقَايِيسُ

يَحْمِلْنَ أَبْنَاءَ سَيْرٍ جَمُّهُـــمْ شَغَـــفٌ ... لَهُمْ عَلَى الـــدَّأْبِ إِدْلاَجٌ فَتَعْـــرِيـــسُ

إِلَى مَزُورٍ جَـــدِيدُ الْأَرْضِ كَافِتُـــــهُ ... مِمَّنْ لَهُ فِي مَقَـــامِ الْإِرْثِ تَرْسِيـــسُ

---

1 - من غدا الوادي بالذال المعجمة إذا سال.

2 - وبنى كسعى ودعا قليل بأواءَ فخر ونفسه رفعها وفخر بها والناقة جهدت في عدوها وتسامت وتعالت ورأيت أبنى بأيالغة في الكل، من القاموس.

3 - جمع بابوس بنائين وهو ولد الناقة، من القاموس.

أَجَـلُّ قَدْرًا وَلاَ أَجْـدَى مُدَافَعَـةً ... عَمَّنْ لَهُ سَبَبٌ فِي الدِّينِ مَمْـــــرُوسُ

وَلاَ أَدَلَّ عَلَـى نَهْـجِ الرَّسُـــولِ وَلاَ ... أَدْرَى بِمَا ضُمِّنَتْ مِنْـــهُ الْقَرَاطِيـــسُ

وَلاَ أَحَـــظَّ وَلاَ أَحْظَـى بِمَنْزِلَـــةٍ ... عَنْ دَرْكِهَا كُلُّ ذِي عَلْيَـــاءَ مَـــرْدُوسُ

وَلاَ أَشَـــدَّ عَلَى الأَعْـــدَاءِ رَجْرَجَـةً ... مِمَّنْ بِهِ الرِّغْـــسُ[1] فِي مَغْنَاكَ مَغْـــرُوسُ

بَلْ خَيْرُ مَنْ وَخَدَتْ خُوصُ الرِّكَابِ لَـهُ ... وَمَنْ تَضَاغَتْ حَوَالَيْـــهِ الْقَرَابِيـــسُ

وَمَنْ بِهِ أَحْدَقَـــتْ فِي مَحْفَلٍ زُمَـــرٌ ... وَمَنْ بِيَافُوخِهِ لِيـــثٌ[2] الْقَلاَنِيـــسُ

بَلْ فِيكَ بَحْرٌ يَنَابِيعُ الْمِدَادِ وَمَـــنْ ... ضَوْءُ النَّبَارِيـــسِ مِنْ ضَاءِيهِ مَقْبُـــوسُ

مِفْرَاجُ كُلِّ حَرِيبٍ ضَاقَ مَخْنَقُـــهُ ... مِفْتَـــاحُ كُلِّ عَوِيصٍ فِيهِ تَلْبِيـــسُ

مَنْ صَوْغُ أَفْعَلَ فِي التَّفْضِيلِ مُطَّـرِدٌ ... فِي كُلِّ أَفْعَالِـــهِ الْفُضْلَى وَمَقْيُـــوسُ

وَفِيكَ دُرَّةُ غَوْصٍ مَاتَجُـــودُ بِهَـــا ... لِلْغَائِصِينَ مَدَى الـــدَّهْرِ الْقَمَامِيـــسُ

غَـرَّاءُ طَيِّبَـــةُ الأَرْدَانِ مُنْجِبَـــةٌ ... مَيْمُـــونَةٌ لأَتَنَادِيهَـــا الْمَنَاحِيـــسُ

سَمْحَـــا مُوَطَّأَةُ الأَكْنَافِ مُغْدِقَـــةٌ ... فَسِيحُ رَحْمَتِهَا لِلْخَلْـــقِ مَكْنُـــوسُ

عُيُـــونُ أَجْدَائِهَـــا لِلْجَارِ جَـارِيَـــةٌ ... فَكُلَّمَا أَنْفَدُوا بَعْـــضَ الْجِدَا إِيسُـــوا[3]

حَازَتْ مِنَ الْخَصْلِ مَاعَنْ شَأْوِهِ وُجِدَتْ ... عُونُ الْكَرَائِمِ حَسْـــرَى وَالْعَطَامِيـــسُ[4]

وَأَهْلُ حَضْرَةِ قُـــدْسٍ مَنْ يُجَامِعُهُـــمْ ... بِالطُّهْرِ لَمْ يَغْشَـــهُ فِي الدَّهْرِ تَنْجِيـــسُ

لِلَّـــهِ أَهْلُ مَعَـــانٍ عَيْنُ رِفْدِهِـــمُ ... فِيهَا جَمِيـــعُ مُرِيدِي الرِّفْدِ مَغْنُـــوسُ

وَأَهْـــلُ سُوقِ نُفُوسٍ مَنْ يُسَاوِقُهُـــمْ ... بِالنَّفْـــسِ لَمْ يُخْزِهِ خُسْرٌ وَتَبْخِيـــسُ

أَكْرِمْ بِمَنْ جُمِعَتْ فِي ظَرْفِ جَمْعِهِـــمُ ... مِنْ لُؤْلُؤِ الْفَضْـــلِ شَتَّاهُ الْمَنَافِيـــسُ[5]

---

1 - اليمن والبركة

2 - أي لوى

3 - من الاوس وهو العوض

4 - العيطموس التامة الخلق من الابل والنساء والمرعة الجميلة والحسنة الطويلة القارة العاقر كالعطموس بالضم والناقة النهرسة، جمعه عطاميس وعطامس نادر، من القاموس

5 - جمع منفوس بمعنى نفيس.

وَمَنْ بِسِيمَاهُمُ آلُ النَّبِي لَنَـــا ... مَأثُورُ سِيمَاهُمُ بَادٍ وَمَـــدْرُوسُ[1]

فَالْأُمُّ عَائِشَةُ وَالْبَعْلُ سَيِّدُنَا الْـــ ... ـــمُخْتَارُ وَالسُّوسُ مِنْ كِلَيْهِمَا السُّـــوسُ

وَالْعِلْمُ عِلْمُهُمُ وَالْحِلْمُ حِلْمُهُـــمُ ... وَالْقَسْمُ قَسْمُهُمُ وَالْإِثْرُ مَقْسُـــوسُ[2]

أَكْرِمْ بِدَوْحَةِ آلِ الشَّيْخِ قَاطِبَـــةً ... مَنْ سَاسَ مُسْتَخْلَفًا مِنْهَا وَمَنْ سِيسُوا

أَكْرِمْ بِهَا دَوْحَةً طَابَتْ مَقَاطِفُهَـــا ... مَا فِي جَنَاهَا بَشِيعٌ لَا وَلَا سُـــوسُ

أَكْرِمْ بِهَا دَوْحَـــةً أَفْنَانُهَا عُنُـــنٌ ... وَأَصْلُهَا فِي أَصِيلِ الْمَجْدِ مَرْسُـــوسُ

قَوْمٌ صَغِيرُ بَنِيهِمْ فِي أَكَابِرِ عَـــنْ ... سِوَاهُمُ أُشْمِطُ الْفَوْدَيْنِ قُدْمُـــوسُ[3]

ثُـمَّ الْعَرَانِينِ أَعْلَاقٌ يُضَـنُّ بِهِـــمْ ... شُهْبٌ هُدَاةٌ مَطَاعِيمٌ مَدَاعِيـــسُ

بِيضُ الْوُجُوهِ إِذَا شُهْبُ السِّنِينَ بَـــدَا ... مِنْهَا عَلَى أَوْجُهِ الْأَجْوَادِ تَعْبِيـــسُ

تُلْفَى الْبُغَاثُ بُزَاةً فِي مَنَازِلِهِـــمْ ... وَالسِّيدُ فِيهِنَّ لَيْثًا كُنْهُ خِيـــسُ

صُنُوحُ كُفَّةِ رُجْحٍ مَا يُعَادِلُهُـــمْ ... كُلُّ الْوُجُودِ إِذَا مَاهُمْ بِهِ قِيـــسُوا

هُمُ الْمُلُوكُ الْأُلَى سُلْطَانُهُمْ خَضَعَـــتْ ... لَهُ عَلَى النَّخْوَةِ الشُّوسُ الْقَدَامِيـــسُ

هُمُ الضَّنَائِنُ فِي الدُّنْيَا وَطَائِفَـــةٌ ... بِهَا حِمَى الْحَقِّ مَحْمِيٌّ وَمَحْـــرُوسُ

عَضَّتْ عَلَى الْمِلَّةِ الْبَيْضَا نَوَاجِذُهُـــمْ ... فِي لَيْلِ هَرْجٍ طَفَتْ فِيهِ الْحَنَادِيـــسُ

اللَّـــهُ يَنْفَحُنَا مِنْهُمْ بِنَافِحَـــةٍ ... يُنْفَى بِهَا عَنْ نُفُوسِ الْكُلِّ تَعْنِيـــسُ

وَبِخْتَلِينَ مَعَ الْفَـــرْدِ الْجَلِيلِ بِهَـــا ... فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ حَيْثُ السِّرُّ مَدْسُـــوسُ

حَتَّى تُرَى بِشُهُـــودِ الْحَقِّ مُقْنِيَهَـــا ... عَنْ غَيْرِ مَشْهُودِهَا وَجْدٌ وَتَانِيـــسُ

اللَّـــهُ يُلْحِقُهُـــمْ زُغْفًـــا مُضَاعَفَـــةً ... مِنَ الْعَوَافِي لَهَا شَدٌّ وَتَمْلِيـــسُ

مَسْرُودَةً بِصَلَاحِ الْبَيْنِ مُنْضَبِـــطٌ ... بِهَا التَّحَنُّثُ لِلْمَوْلَى وَمَلْمُـــوسُ

مُحَاوِلُ الْخَسْفِ مِنْ تَهْتِيكِ حُرْمَتِهَـــا ... مُرَطَّأُ الْقِحْفِ بِالْأَقْدَامِ مَرْكُـــوسُ

---

1 - بالضم الطبيعة والأصل.

2 - مدسوس

3 - قديم

يَغْدُو بِإِسْبَاغِهَا مَنْ كَانَ يَحْسُدُهُمْ ... وَفِي حَشَاهُ لِنَابِ الْغَيْظِ تَضْرِيسُ

لاَزَالَ عِزُّهُمُ فِي مَعْقِلٍ حَرِزٍ ... وَقِتْلُهُمْ بِسِهَامِ الذُّلِّ مَدْعُوسُ

وَلاَ عَدَا مِنْهُمُ دَوْرَ الرَّحَى خَلَفٌ ... مِثْلُ الْخَلِيفِ مَعِينُ النَّفْعِ مِرْغُوسُ

مُكَمَّلٌ كَامِلٌ تَمَّتْ وِرَاثَتُهُ ... لِمَنْ تُنَاجِيهِ بِالْوَحْيِ النَّوَامِيسُ

صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَاوَغَدَتْ ... بِزَوْرِ قُطْبِ رَحَاءٍ شُزَّبٌ عِيسُ

وَآلِهِ الْغُرِّ وَالصَّحْبِ الْكِرَامِ وَمَنْ ... لَهُ بِتَصْدِيقِهِ طُهْرٌ وَتَقْدِيسُ

وهذه القصيدة من غرر المراثي ولولا أنها قيلت بالاتفاق بعد وفاة المرثي بها لكانت من عيون المدائح لما فيها من ذكر الفضائل الكثيرة الكبيرة الغزيرة. وقد جمع قائلها فيها مع ذكر الشيخ سيدي المختار المرثي بها ذكر الشيخة زوجه السيدة لال عائشة سمية عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ووصفها بصفات حميدة غاية وذكر أهل حضرته المباركة ومدحهم بكل مايمدح به ومدح كذلك ءال الشيخ سيدي المختار ودعا الله لخلفهم جميعا ولخليفته منهم خصوصا وتوسل إلى الله تعلى بعد هذا كله بهم في قضاء حوائجه.

وفي هذه الرسالة المذكورة مايفيد أن **الطرائف والتلائد** في مناقب الشيخين الوالدة والوالد قدتم حيث ذكر في اثنائها جوابا لأخيه الكبير سيدي باب احمد في كيفية معاملة والدهما مع الاخوان والابناء والأهل والجيران إلى آخره مالفظه: "إني جلبت في الطرائف والتلائد مايبهج الطباع ويستميل الاسماع على أنه نقرة عصفور من بحر مسجور". وقد ذكر أنه أجاز فيه مريده في جملة المرويات التي أجازه فيها من تاليف العلماء وتاليف والده وتاليفه هو. والمريد المذكور هو سيد محمود بن الحاج بن سيد إجَيْجْبِيُّ النجار الحَوْضِيُّ الدار. وقد ذكرالشيخ سيديّ المترجم له في عده لتاليف الشيخ سيديّ محمد بن الشيخ سيدي المختار المذكور مالفظه: "وكتابه الذي هو فريدة الفرائد ويتيمة القلائد المسمى بالطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد أجاد فيه رضي الله عنه وأفاد وجاوز فيه من البراعة حد الاعتياد رتبه على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة وفي المقدمة وفي بعض تلك الابواب فصول»" هـ. بلفظه.

وقد ذكر مؤرخ فرنسي اسمه "ابَوْلْ مَارْتِي" في دراساته في الاسلام في المجلد الأول: كُنْتَ الشَّرْقِيُّونَ

وَلَبْرَابِيشْ وَإِكْلاَدْ (باريز 1920 ص65) أن هذا الكتاب المذكور لم يجاوز ءاخر الباب الخامس حسبما طالع في ثلاث نسخ واحدة عند الشيخ سيديّ باب بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديّ الكبير المترجم له في أبي تلميت وربما تكون هذه النسخة هي التي قدم بها الشيخ سيدي الكبير من أزواد وقد أخبرني والدنا واخونا الكبير الشيخ المرحوم عبد الله بن الشيخ سيديّ باب أنه أعارها لِلْمُخْتَارْ بن ابْلُولْ احد علماء إدَوَ الْحَاجْ منذ دهر بعيد ولم ترجع إلينا بعد رغم ما راسلناه بردها، وواحدة عند الحاج مَالِكْ سه في تِوَاوِنْ قرية من سَنَكَالْ وواحدة أعطاها له أحد ذرية الشيخ سيدي المختار في أزواد.

وقد طالعت أنا منه نسخة لاباس بها عند السيد عبد العزيز بن الشيخ محمد عبد الرحمن بن محمود بن الرباني التندغي منتهية في الفصل الثاني من الباب الرابع ولاشك أنها منقولة على النسخة التي قدم بها الشيخ سيديّ الكبير المذكور من عند أزواد لأن الشيخ محمد عبد الرحمن بن محمود والد عبد العزيز من كبراء تلاميذ الشيخ سيديّ المذكور وقد اجازه كما تقدم عام 1271هـ.

وكانت مطالعتي لهذه النسخة المذكورة وأنا إذ ذاك في بلاد ءادْرَارْ صُطُّفْ أواسط سنة ستين وثلاثمائة والف زمني هنالك في السَّاحِلْ وكتبت منها اشياء لاباس بها.

ويودي أن كنت رتبت ترجمة الشيخ المترجم له ترتيب الشيخ سيديّ محمد بن الشيخ سيديّ المختار لترجمة والده نسقا بنسق لاكن عذري مقبول وهو أني لم أشاهد منه ماشهد هو من والده مباشرة ولكني لا أستقل ولله الحمد ماحصلت عليه من ءاثاره الصحيحة المدونة المرشدة لأكثر خبره وللساعات والبلاغات عنه.

وقد ذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في رسالته التي تقدم ذكرها في جواب بعض مسائل اخيه بَابَ احمد مالفظه:

وأما ما انهيت إلينا من قضية محمد بن اعمر بن اعلَ بن اعمر بن هَنُّونْ بن بَهْدَلْ المدعو ءامَّاشْ وتوبته وانضوائه إلينا وانتسابه إلينا ورفضه لمن كان ءاباؤه يلجئون إليه ويعتزون به فإنما نحن ظل الله وركنه الذي ياوي اليه كل مهتضم ومهين ويلجأ إليه كل خائف وشجين فالأوي إلينا ءاو إلى ظل الله والمعتز بنا معتز بعزة الله [ولله العزة ولرسوله وللمومنين] ولأصحاب الهمة العلية الجلب والدفع في البرية قالوا:

إن الـرجـال إذا أرادوا وا حـــدا بعثوا الرسائل للقـــلوب بخـــــاطر
وكذاهمُ في العكس يُحْجَبُ عنهـم بالحال سِـــــرا كلُّ غيـــــــرِ فاجـــر

إلى أن قال:

وقد أركبنا محمدا المذكور سرج ولاية لاينزله عنه غيرنا {**فمن شاء فاليومن ومن شاء فاليكفر**} وذكر انهم ولوه مابين وَلاَتَ وَصَنصَنْدِ على أن يعدل فيما ولاه الله من ذلك ويحسن ولايته. وذكر فضل السلطان العادل ومراتب الناس وتنويع الزوايا إلى ثلاث فرق في معاملة الظلمة. وأمر أخاه باب أحمد في اخرها أن يندب محمد اَمَّاشْ وأن يعلمه أنه يامره بعد السلام عليه بالاحسان إلى ابناء الشيخ المختار بن احمد بن عثمان فإنهم من اعيان الزوايا وممن تقادمت صلته وإحسانه ونصرته لأبائه وقد خلصوه من أيدي أعدائه بعد ماظفروا به على حين عجز منه عن حيلة تخلصه إلى أن قال: وأما نحن فقد اويناك بإيواء الله وأدخلناك في حمانا حمى الله فقرعينا بالنصر على من ناواك ونصب لك الحرب وعاداك وتوصيك بتجنب عيال الله من الزوايا والمساكين فمن لم تنله بإحسان وبر فلاتنله بمكروه وشر إلى اخرها وهي كلها غاية في الجزالة وكثرة الفوائد والنصائح والحكم. وكتبت منها ماكتبت تبيانا لمقدار هؤلاء السادات مشائخ المترجم له. وهذه الرسالة منقولة له يوم السبت لثلاث عشرة بقين من شهر الله المحرم عام 1268 نقلها له مريده محمدٌ بن الكَوْرِ البُوسْعِيدِيُّ.

ولنرجع إلى سرد **مايقول الشيخ سيديٌ المترجم له في شيخه الشيخ سيديٌ المختار**، فمنه:

أَسَيِّدَنَا الْمُخْتَارَ لاَزِلْتَ مُلْتَجَـــا لِمَنْ عَنْهُ بَابُ الْفَتْـحِ أَصْبَحَ مُرْتَجَـــــا
وَلاَزَالَ مَأْوَاكَ الْمُطَهَّـرُ مَنْجَحًـــا يُظَفَّرُ مَنْ بَاوِي إِلَيْـــهِ بِمَا ارْتَجَـــــا
وَلاَزِلْتِ مِفْرَاجًا بِكَ اللَّهُ سَائِـــقٌ لَنَا فَرَجًا مِنْ كُلِّ هَـــمٍّ وَمَخْرَجَـــــا
قَصَـدْتُكَ ذَا عَهْـــدٍ وَوُدٌّ وَعُلْقَـــةٍ لِهَمٍّ وَغَمٍّ فَادِحَيْـــنِ قَدْ احْرَجَـــــا

وَحَوْبَاءَ فِي حَوْبَايَ لَيْسَ بِمِثْلِهَا ... سِوَاكَ وَمَنْ خَصَّصْتَ بِالإِرْثِ مُفْلِجَا

فَفَرِّجْ كُرُوبِي يَامُفَرِّجُ وَافْتَحَا[1] ... لِمُسْتَفْتِحِي بَابَ النَّجَاحِ وَأَوْلِجَا[2]

وهذه أيضا:

أَسَيِّدَنَا الْمُخْتَارَ يَامَنْ وَفَاتُهُ ... حَيَاةٌ وَمَحْيَاهُ الْكَرِيمُ وَفَاتُ

دُرِيتَ بِلاَشَكٍّ شَهِيدَ مَحَبَّةٍ ... وَكُلُّ شَهِيدٍ مَوْتُهُ فَمَمَاتُ

أَمَا كُنْتَ فِي حَالِ الْمَمَاتِ تَرُوضُنَا ... وَتُحْيِي قُلُوبًا أَرْضُهُنَّ مَوَاتُ

وَكُنْتَ تُحَلِّي بَعْدَ تَخْلِيَةٍ وَلاَ ... تَقُومُ لِأُدْنَى مُعْتَنَاكَ هَنَاتُ[3]

كَفَى السَّالِكَ الْمُرْتَاضَ مِنْ نُجْحِ قَصْدِهِ ... مَرَدُّكَ طَرْفًا نَحْوَهُ وَالْتِفَاتُ

وَكُنْتَ مِنَ التَّصْرِيفِ إِذْ ذَاكَ بِالْغًا ... مَنَاهِيَ لَمْ تَبْلُغْ دُنَاهَا الْقُصَاةُ

فَمُنَّ عَلَيْنَا فِي حَيَاتِكَ سَيِّدِي ... بِمَا كُنْتَ تَجْدِينَا وَأَنْتَ مُمَاتُ

لَئِنْ فَاتَنَا مِنْكَ التَّمَتُّعُ رُؤْيَةً ... فَلَيْسَ لِمَا يُرْجَى لَدَيْكَ فَوَاتُ

أَغَثْنَا أَغَثْنَا فَالْقَطِيعَةُ مَزَّقَتْ ... قُلُوبًا لَنَا أَفْلاَذُهُنَّ شَتَاتُ

وَحُجْبُ الرُّبُونِ الْكُدْرِ مِنْهَا قَدْ أَسْدَلَتْ ... عَلَى نُحُورِ الْحَاظِ الْحِجَا طَبَقَاتُ

حَنَانَيْكَ يَاشَيْخَ الشُّيُوخِ فَإِنَّنَا ... لَدَى بَابِكَ الْمَفْتُوحِ أَسْرَى عُفَاةُ

نَرُودُ بِهِ رَوْدَ الظِّمَاءِ تَحَرُّقًا ... وَتُقْرَى لَهُ مِنْ طَرْفِنَا لَحَظَاتُ

تَنَفَّسْنَا صُعَدَاءَ سَدَّ سَبِيلَهَا ... مِنَ الْكَرْبِ فِي أَحْشَائِنَا غَمَرَاتُ

بِنَا أَشْمَتَ الشَّيْطَانُ وَالنَّفْسُ وَالْهَوَى ... وَهُمْ جِدُّ أَعْدَاءٍ وَبِئْسَ الْعُدَاةُ

فَحَسْبُ الْبَصِيرِ حَالُنَا عَنْ سُؤَالِنَا ... وَمَا لاَحَ مِمَّا لَمْ تُطِقْهُ صَفَاةُ

1- هكذا وقفت على هذه الكيفية (بالف التنوين) في كتابة قائلها.

2- وقفت عليها بخطه الواضح في الزيارة التي كتب الشيخ سيدي محمد فيما يقال عند زيارة والده وكتب قبل الأبيات مالفظه: « للخديم الفقير والجار المستجير سيديّ بن المختار لطف الله بالجميع وغار ».

3- الخصلة الذميمة

عَسَى رَبُّنَا الْحَنَّانُ يَرْثِي لِحَالِنَا ... فَيَرْثِي لَنَا الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ

وَيُثْنِي عِنَانًا مِنْ عِنَايَتِهِ لِمَا ... دَهَانَا هُمَامٌ بِيضُهُ الدَّعَوَاتُ

وَهِمَّاتُهُ الشُّمُّ الطِّوَالُ كَأَنَّهَا ... ذَوَابِلُ سُمْرٌ لَدْنَةٌ مُشْرَعَاتُ

مَجِيدٌ نَجِيدٌ لَا يُصَاوِلُ بُهْمَةً ... عَسَاكِرُهُ فِي أَزْلِهِ[1] أَزَمَاتُ

يَشُدُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ شَدَّةَ ضَيْغَمٍ ... مُغَارٍ حَرِيدٍ حَدُّوهُ وَثَبَاتُ

يُكَشِّرُ عَنْ عُصْلٍ هَوَازِلَ مَنْظَرٍ ... بَرَاثِنُهُ فِي ضَيْغَمِهِ شَفَرَاتُ

أَبَادَ ذَوِي بَغْضَائِهِ وَتَكَسَّرَتْ ... عَلَى يُبْسِهَا مِنْ غَمْزِهِ قَنَوَاتُ

إِذَا مَا دَهَى اللَّهُ الْعِدَا بِعَدَائِهِ ... عَلَيْهِمْ فَبَلْوَاهُمْ بِهِ بَلَوَاتُ

فَإِنْ حَلَّ فِي سَاحَاتِ مُسْخِطِهِ فَقَدْ ... أَحَلَّتْ بِهَا مِنْ رَبِّهَا سَخَطَاتُ

هُمَامٌ هُمُومُ الدَّهْرِ بَعْضُ هُمُومِهِ ... وَسِيرَتُهُ مِنْهَا السَّرَاةُ سَرَاةُ

مَوَاثِيقُ رَبِّ الْعِزِّ عَزَّ وَقَى بِهَا ... وَمِيثَاقُهُ مِنْهُ الثِّقَاتُ ثِقَاتُ

عَزِيزٌ بِإِعْزَازِ الْعَزِيزِ وَغَالِبٌ ... بِتَغْلِيبِهِ وَالْحَظُّ فِيهِ[2] مُمَاتُ

بِهِ بَيْضَةُ الْإِسْلَامِ حُرِّمَ حِرْمُهَا ... وَحَلَّتْ عَلَى تَحْرِيمِهَا الْمُحْدَثَاتُ

وَبَاحَ لَهُ بِالطَّوْلِ كُلُّ مُطَاوِلٍ ... وَدَانَ لَهُ غُلْبُ الرِّقَابِ الطُّفَاةُ

تَحِيَّاتُهُمْ بَذْلُ الْوُجُوهِ تَوَاضُعًا ... وَجِلْسَاتُهُمْ فِي جَنْبِهِ جَثَوَاتُ

إِذَا صَائَنَى هَذَا إِلَيْنَا عِنَانَهُ ... وَحُمَّ لَنَا مِنْ نَحْوِهِ لَفَتَاتُ

حَظِينَا بِمَا نَرْجُو مِنَ الْحَظِّ بَعْدَمَا ... أُقِيلَتْ لَنَا مِنْ رَبِّنَا عَثَرَاتُ

وَحَاقَتْ بِحِزْبِ الْمَاكِرِينَ مُكُورُهُ ... وَعِيضَتْ مِنَ السُّوءَى لَنَا حَسَنَاتُ

وَفَاضَ عَلَيْنَا بِالرَّوَاءِ غَطَمْطَمٌ ... فَيُوضٌ بِهِ الْأَمْوَاجُ مُلْتَطِمَاتُ

أَمِدَّ مِنَ الْبَحْرِ اللَّدُنِّيِّ مَدَّةً ... عَلَى أُمَّةِ الْهَادِي لَهَا دَفَقَاتُ

عَلَى قَدْرِهِ الْوَافِي الْمُنِيفِ وَآلِهِ ... وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ السَّلَامِ صَلَاةُ.

1- الصيف والشدة

2- وفي نسخة: منه.

ومنه أيضا:

أَلاَ أَيُّهَا الْحِزْبُ الَّذِي مَنْ تَحَنَّثَا ... بِمِزْدَارِهِ يُحْبَى النَّجَاجَ الْمُحَشْحَثَا[1]

وَمَنْ يَتَّقِي أَنْ يَبْطِشَ الدَّهْرُ بَطْشَةً ... بِمَحْجُورِهِمْ صَرْفُ الزَّمَانِ وَيَعْبَثَا

وَمَنْ لِعَثُورِ الْجَدِّ عِنْدَهُمُ لَعًّا ... وَإِنْعَاشُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَرَيَّثَا

أَلاَ تَنْعِشُونَ عَاثِراً عِنْدَ بَابِكُمْ ... بِأَذْيَالِكُمْ يَا سَادَتِي قَدْ تَشَبَّثَا

أَتَاكُمْ عَلَى شَطِّ الْمَسَاوِفِ زَائِراً ... تَهَادَاهُ فِيحُ الْبِيدِ أَغْبَرَ أَشْعَثَا

بِهِ أَنْشَبَتْ حُجْنَ الْمَخَالِبِ نَفْسُهُ ... فَأَبْقَتْهُ فِي أَخْبَاثِهِ مُتَلَوِّثَا

وَزَجَّتْ بِهِ فِي لُجَّةِ الْغَيِّ وَالْهَوَى ... إِذَا رَامَ سَيْراً كَلَّفَاهُ تَمَكُّثَا

لِذَا اتَّخَذَتْ هُوجُ الْخَوَاطِرِ قَلْبَهُ ... لِأَقْدَارِ مَاتَذْرُو مَحَلاً وَمَبْعَثَا

وَفِيكُمْ لَهُ مِنْ كُلِّ مَايَخْتَشِي ذَرًا ... يَقِيهِ إِذَا مَا الدَّهْرُ بِالنَّاسِ قَدْ عَثَا

وَفِيمَا يُلاَقِي مِنْ جُثُوٍّ لَدَيْكُمُ ... دُنُوٌّ بِهِ يَسْتَوْجِبُ النَّصْرَ مَنْ جَثَا

وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنْ نُجْحِهِ أَنْ تَنُوطَهُ ... بِكُمْ هِمَّةٌ مَجْدُولُهَا لَنْ يُنَكَّثَا

فَإِنَّ مَفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ عِنْدَكُمْ ... تُنِيلُونَ مَنْ شِئْتُمْ مَمَاتًا وَمَبْعَثَا

فَمَنْ تَبْرُقُوا فِي جَوِّهِ كَانَ مَمْطَراً ... وَمَنْ تُمْطِرُوا فِي أَرْضِهِ كَانَ مَحْرَثَا

وَمَنْ تَنْفُثُوا فِي رُوعِهِ كَانَ رُوعُهُ ... لِرِيقَةِ أَفْوَاهِ النُّوَامِيسِ مَنْفَثَا

وَمَنْ نَالَ مِنْكُمْ فِي الرُّسُومِ إِجَازَةً ... وَلَوْ جَاهِلاً كَانَ الْفَقِيهَ الْمُحَدِّثَا

شَفِيعُكُمُ عِنْدَ الْإِلَهِ مُشَفَّعٌ ... وَأَيْمَانُكُمُ مَبْرُورَةٌ لَنْ تُحَنَّثَا

وَفِيكُمْ عُيُونٌ لاَتَغُورُ مَعِينَةٌ ... تُحَدِّثُ بِالرِّيِّ الصُّدَايَا تَحَدُّثَا

وَغَوْثٌ بِجَالٌ أَوْدَعَ اللَّهُ نَفْسَهُ ... عُلُومَ رَسُولِ اللَّهِ وَالْخُلْقَ مَوْرِثَا

بِهِ حَلَّ آحَادُ الْكَمَالِ بِوَاحِدٍ ... أُعِدَّ لَهَا مِنْ قَبْلُ مَثْوًى وَمَلْبَثَا

بِجَاهِكُمُ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ نَفْحَةً ... تَفُكُّ عَنِ اوْصَالِي الْوَثَاقَ الْمُلَبَّثَا

وَتَاتِي مِنَ الْغَوْثِ الْمُغِيثِ بِهِمَّةٍ ... يُغَاثُ بِهَا مَنْ رِيعَ مِنَّا فَغَوَّثَا

1- المسرع

وَجَـادِ مَنْ احْيَيْتُمْ عَوَافِيَ سُبْلِـــهِ ... وَمَتْرُوكَهُ إيَّاكُمُ اللَّهُ أَوْرَثَـــــا

فَصَلَّى عَلَيْهِ اللَّـهُ فِي كلِّ ءَالِـــهِ ... وَأَصْحَابِهِ مَا لَمَّ شَمْـلاً مُشَعَّثَـــا

وَمَا فَازَ بِالْحَوْجَاءِ أَشْعَثُ أَغْبَـــرُ ... بِمِزْدَارِهِ قَطْبَ الرَحَى المتغَوِّثَـــــا.

ومنه أيضا وقد جمع معه فيها الشيخة لآلُّ عائشة كما قد تقدم في السينية حيث قال فيها:

وَفِيكَ دَوْرَةُ غَوْصٍ إلى آخره وكما سياتي في النونية إن شاء الله تعلى التي مطلعها:

جَادَتْ سَحَائِبُ رَأْفَةِ الرَّحْمَنِ

كما سياتي ما افردها به وحدها مع ذكر طرف من ترجمتهما إن شاء الله تعلى لأن التعريف بالمترجم له يرتبط جزء منه كبير بالتعريف بهما وبابنهما الخليفة بعد والده وشيخه الشيخ سيدي محمد وبابنه وخليفته بعده الشيخ سيدي المختار الصغير الملقب بِبَادِ بتفخيم الباء ارتباطا وثيقا بل بسائر أسرتهم الكريمة لذكر اكثرهم في شعره ورسائله كما ستعرف ذلك فيما بعد إن شاء الله تعلى.

قال هذه القصيدة ذات عشية زار فيها الشيخ سيدي محمد ومن معه من التلاميذ وغيرهم الروضة الشريفة فهب عليهم نسيم طيب من جهتها أثار ما أثار وهيج ماهيج وكاتب هذه الكلمات حاضر للزيارة المذكورة ولقول القصيدة وقد كتب في عبارته قبل لفظة ذات عشية ما لفظه: "وله ايضا عفا الله عنه وسدده ووفقه لما يحبه ويرضاه وأيده" وكتب "فهب علينا" بصورة الجمع الذي فيه الكاتب، وكتابته لفظة "وله" يعني الشيخ سيدي لأنه كان يكتب جملة من قصائده التي يمدح بها الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار حتى وصل هذه القصيدة وكان يسميه باسمه في أولها ويرد عليه الضمير بعد ذلك:

أَمَا وَالَّذِي رَوْحُ النَّسِيمِ إذا هَبَّـــا ... لَدُنْ مُصْطَفِيهِ أَنْعَشَ الرُّوحَ وَالْقَلْبَـــا

لَقَدْ نَفَحَتْنَا مِنْ نَوَافِحِ مَنْ هُـــمُ ... هُمُ نَفَحَاتٌ تَكْشِفُ الْهَمَّ وَالْكَرَبَـــا

فَذَكَّرَتِ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَوَطَّنَتْ ... بِمَوْطِنِ صَبْرِ الْقَرْمِ ذِي الْجَلَدِ الرُّعْـــبَا

وَثَارَ بِهَا مِنْ كَامِنِ الشَّوْقِ ثَـــائِرٌ ... يُقَلْقِلُ مِنْ هَزَّاتِهِ الْجَبَلَ الْهَضْبَـــا

نَسيمٌ جَرَى من رَوْضَةِ القُدْسِ فَائِحَـــا ... بِمَائِمْ تُضَـوِّعُهُ الصَّبَا لاَ وَلاَ النَّكْبَـا

أُرِيجُ ذَوِي السُّقْيَا مُدِيرِي كُئُوسِهَـــا ... وَقَدْ أُفْعِمَـت مِنْ صِرْفِ مَشْرَبِهِمْ عَذْبَـا

مُطِيبِي أَخَابِيثِ النُّفُوسِ مُطَيِّبِـــي ... قُلُوبٍ عُضَـالُ الدَّاءِ فِيهِنَّ قَدْ رَبَّـسا

مُحِلِّي حَرِيمِ الْمَارِدِينَ مُحَرِّمِـــي ... حِمَاهُمْ فَلاَ يَخْشَى اهْتِضَامًا وَلاَ غَصْبَا

مُضِيفِي وُفُودِ الضَّيْفِ بَعْدَ نُزُولِهِـــمْ ... بِمَنْزِلِ إِكْرَامٍ بِهِ وَضَعُوا الْجَنْبَـــا

وَمَنْ كَانَ فِي التَّصْرِيفِ أَعْطِيَ مِكْنَـــةً ... عَلَى حِينَ يَقْضِي نَحْبَهُ مَاقَضَى النَّحْبَـا

قَدِ انْتَزَعُوا دَلْوَ الْحَقَائِقِ مُتْرَعًـــا ... وَكَانَتْ دَنُوبًا فَاسْتَحَالَتْ بِهِمْ غَرْبَـا

وَقَدْ ذَلَّلُوا صَعْبَ السُّلُوكِ وَضَلَّعُـــوا ... مَنِ احْتَلَّ فِي اكْنَافِهِم يَبْتَغِي الشَّرْبَـا

نَعَمْ ذَاكَ نَزْرٌ مِن غَزَارَةِ سَيِّـــدٍ ... وَسَيِّدَةٍ لَمْ تَعْدُ مَا أَسْدَيَا رَغْبَـا

سَقَى خَيْرَ ارْضٍ كَانَ مَثْوَاهُمَا بِهَـــا ... شَآبِيبُ لَمْ تَأْلُ انْسِكَابًا وَلاَ صَبَّـا

وَأَرْضَاهُمَا كُلُّ الرِّضَا وَجَزَاهُمَـــا ... كَمَا رَبَّيَا وَاسْتَخْلَفَا خَلَفًا رَبَّـا

وَيَجْزِيهِ أَيْضًا مِثْلَ مَاقَدْ جَزَاهُمَـــا ... أَتَمَّ جَزَاءٍ مَن رَضِينَا بِهِ رَبَّـا

أَلاَ حَبَّذَا حِزْبٌ لِذِي الدِّينِ وَالدُّنَـــا ... بِهِ ثَمَرَاتُ الْخَيْرِ مِنْ رَبِّنَا تُجْتَبَـى

فَأَكْرِمْ بِهِ نَجْـلاً وَأَكْرِمْ بِهِ أَبَـــا ... وَأَكْرِمْ بِهَا أُمًّا وَأَكْرِمْ بِهِمْ حِزْبَـا

هُمُ الْقَوْمُ لاَيَشْقَى جَلِيسُهُمُ وَمَـــنْ ... يُحَارِبْهُمُ يَنْصِبْ لَهُ رَبُّهُ حَرْبَـا

وَمَن يَلْتَمِسْ حُبَّ الإِلَهِ بِحُبِّهِـــمْ ... يَنَلْ عِنْدَ مَنْ أَصْفَاهُمُ الْقُرْبَ وَالْحُبَّـا

إِذَا زُرْتَهُمْ زُرْتَ الهِدَايَةَ وَالتُّقَـــى ... وَحُسْنَ السَّجَايَا وَالمَعَارِفَ وَالْقُرْبَـا

وَإِن ضِفْتَهُمْ ضِفْتَ السَّمَاحَةَ وَالنَّـــدَى ... وَتَوْطِئَةَ الاكْنَافِ وَالمَنْزِلَ الرَّحْبَـا

وَإِن شِمْتَهُمْ شِمْتَ الْبُرُوقَ لَوَامِعًـــا ... تَسُوقُ إِلَى الاجْرَازِ أَسْوَاطُهَا السُّحْبَـا

عَلَى كُلِّ مَن دَارَتْ عَلَيْهِ رَحَى السَّـــوَرَى ... إِنَافَةُ مَن دَارَتْ بِهِ مِنْهُمُ قُطْبَـا

مُـرَبٍّ لَهُ فَوْقَ الْمُرَبِّينَ رُتْبَـــةٌ ... كَسَا ضَوْءُهَا انْوَارَهُمْ كِسَفًا حُجْبَـا

كَمَا أَنَّ قُرْصَ الشَّمْسِ يَكْسِفُ ضَوْءُهُ ... إِذَا مَا انْجَلَتْ فِي بُرْجِهَا الْبَدْرَ وَالشُّهْبَـا

سَعِيدٌ مَتَى يَمْرُرْ عَلَى وَجْهِ مُذْنِـــبٍ ... بِإِحْدَى يَدَيْهِ مَرَّةً يَحْطِمِ الذَّنْبَـا

خِضَمٌّ مِن العِلمِ اللَّدُنِّيِّ فَائِـــــضُ[1] إذا حَرْجَفُ العَوْصَا به عَصَفَتْ عَبَّـــا

فأبْرَزَ من دُرِّ المَعَانِي نفائسًـــــا حَماها الوَرَى إعجازُ مبلغِهَا اللُّبَّـــا

مواهِبُ لم تُوهَبْ لمن ظَفِرَتْ بِهَـــــا يَدَاه من المولى عَنَاءً ولاكَسْبَـــــا

فَنسألُ رَبَّ العَرْشِ عَزَّ يُنِيلُنَـــــا لدَى القَسْمِ من سُهْمَانِها الوافِرَ الأرْبَـى

وعـــادَ علينَـــا من مشائخنا بَمَـــا يَكونُ لَنَا فيما نُحَاوِلُهُ حَسْبَـــا

وأعملَهُـمْ فينـا بعَامِلِ هِمَّـــــةٍ تُوثِّر حَالاً يقْتَضِي الرَّفْعَ والنَّصْبَـــا

وَصَـــلِّ على خَيْرِ الأنَامِ[2] محمـــدٍ صَلاةً تَعُمُّ الآلَ والصَّهْرَ والصَّحْبَـــا.

وكتب بيده رحمه الله تعلى بعد ما اتم ماكتب الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار مايقال في زيارة والدته الشيخة ماصورته: "للفقير سيدي:

أيا عمدةَ المِسْكِين والغُرْبِ الشَّجِـــي وأم اليَتَامَى والأَرَامِلِ عَـــــرِّجِ

عَلَى أشْعَثٍ يَشْكُو الخَصَاصَةَ والصَّـــدَا وأيْنَ مَسَافَاتِ السُّلُوكِ المُحَـــــرِّجِ

وَعُودِي كما يُعْتَاد مِنك بعطفَـــــةٍ تثير حَفِيظَاتِ المُرَادِ المُعَـــــرِّجِ

وغِيثِي أيَا أمَّ الغِيَاثِ وأهْلَـــــهُ وذَاتَ الحَنَانِ المُسْتَفِيضِ وَفَـــــرِّجِ.

ووصل هذا بما ياتي من غير فصل :

زُرْتُكُمْ يَاذَوِي المَقَـــامِ العَـــــلِيِّ مُنشِداً قَوْلَ ذِي المَقَالِ الرَّضِـــــيِّ

يَاعِبَـــادَ الإلَـــهِ إنَّ عُبَيْـــــداً لاذَ من أجْلِكم بِرُكْنٍ قَـــــوِيِّ

فَاقْبَلُـوه بِفَضْلِكُم وارْحَمُـــــوهُ واشْفَعُوا فيه للإلهِ العَلِـــــيِّ."

والابيات الجيمية التي أولها: أيا عمدة المسكين هي التي تقدمت الإشارة إليها والعدة بذكرها فيما افردها به وحدها وهي الشيخة السيدة لال عائشة بنت سيد المختار بن سيد الامين الأزْرَقْ بن احمد بن محمد بن سيد احمد فقيه كُنْتَ بن الحاج أبي بكر باني قرية المَبْرُوكْ سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف والمتوفى سنة اربعين ومائة والف ابن الشيخ سيد احمد البكاي الولي الشهير صاحب الحكاية مع

---

1 - في نسخة "زاخر"

2 - في نسخة "خير النبيئين كلهم"

أهل ولاتة وهي طرده للسباع والنمور وبني عاوى عنهم (قف على هذه الحكاية في كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة للشيخ سيدي المختار) المتوفى سنة عشرين وتسعمائة بن سيدي محمد الكنتي الكبير بن سيدي علي. وأمها لالّ عاسِيَةُ بنت الشيخ سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد أبي نَعَامَةَ وأمها فاطمة بنت سيدي عروة بن أبي نَعَامَةَ وأمها عَقِيدَةُ (اعْگِيدَ) بنت سيد محمد بن علي وأمها حَوَّةُ وأم أبيها سيدي المختار فاطمة بنت الطالب اعمر بن محمْ تَوْلْ بن أوْگالْ وأم جدها سيد الامين الأزرق عاسية بنت سيد اعمر الرگّابْ. وقد تزوجها الشيخ سيدي المختار الكبير بن سيدي احمد بن سيدي أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن سيد اعمر الشيخ بن الشيخ سيدي أحمد البكايْ وفيه يجتمع نسبهما عام سبعين ومائة وألف. وكانت ولادتها في حدود الستين بعد المائة والالف وكانت وفاتها ليلة الاحد لثمان خلون من ذي الحجة الحرام سنة اربع وعشرين ومائتين والف وهذا التاريخ سابق لقدوم الشيخ سيدي المترجم له على أزواد بلاخلاف نظرا لما كتب في الورقة التي فيها القصيدة الرائية في رثاء الشيخ سيدي المختار التي مطلعها:

مَا أَخْتَارَ فَاعِلُنَا الْمُخْتَارُ مُخْتَارِي، التي تقدمت ونظرا لما كتب هو نفسه في جواب ابن عبد الدائم الذي تقدم ذكره وإن كان محمد بن الامين بن امْحمد بن الطالب أعمر بن خَيْرِ بن حبيب الله بن أبي سَيْفٍ كتب قصيدة الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار التي يمدح بها والده والتي مطلعها:

سَيِّدِي حُزْتَ مُفْرَداً كُلُّ إِرْثٍ إلى آخرها وهي من غرر الشعر ويستخرج منها رسائل نثرية وأرخ كتابته لها في عصر يوم السبت لخمس خلون من صفر عام 1223 وقال إنه كتبها للشيخ سيديّ المترجم. ولايصح عندي وجوده في هذا التاريخ في أزواد مع اشياخه اللهم الا أن يكون قد لقيه قبل قدومه على أزواد أو يكون قد كتبها لنفسه في التاريخ المذكور وأعطاها له بعد أن قدم وترك التاريخ على حاله وكتب اسمه بعد الكتابة الا أن من نظر القصيدة والكتابة لايرى بين الكتابتين فرقا.

وأم الشيخ سيد المختار المذكور لالّ مُبَارَكَةُ بنت سيدي عبد القادر الملقب باد بن سيد محمد بن سيد علي بن سيدي محمد بن سيد المختار الشيخ وأمها فاطمة بنت سيد محمد بن علي بن الشيخ سيدي المختار وأمها حَوَّةُ السُّبَاعِيَةُ وأم والده احمد الزهراء بنت المصطفى بن المختار بن الوافي وأم جده أبي بكر عُقْبِيَةُ من أولاد عُقْبَةَ (عُگْبْ) وأم سيدي محمد بن حبيب الله لال عائشة بنت الشيخ

سيدي احمد بن الركّادْ وأمه جكنية وتربى فيهم وأم والده سيدي اعمر بنت سيدي المختار الشيخ وأم سيدي محمد بن سيد المختار الشيخ حَبَشِيَةٌ وأم أبيه حبيب الله بنت سيدي حبيب الله بن محمد الكنتي وأم الوافي إدَيْشِلِيَةٌ اسمها فاطمة وتدعى تَمَخْلَصْتْ بنت الفغ يِلْبَ وأم سيدي اعمر الشيخ جَكَنِيَّةٌ بنت أكْدَبُويَ الرَّمْظَانِيِّ وأم أبيه سيدي احمد البكاي جَكَنِيَّةٌ أيضا وأم سيدي محمد الكنتي الكبير ابْدُوكلِّيَّةٌ من لمتونة واسمها أهَوَ بنت محمد عالِمْ بن كُنْتَ بن زَمْ رئيس ابْدُوكلْ من صنهاجة.

وكل ماذكر في نسب الشيخين من طرفيهما فهو من الطرائف والتلائد والرسالة الغلاوية وكلاهما للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار وهو من جملة الاشياء التي تقدمت الاشارة إلى أنه كُتِبَ من الطرائف التلائد.

وأخوات الشيخة كُبراهن فاطمة زوج سيد العالم بن سيد محمد، وخديجة زوج سيد بُسَيْفْ بن سيد محمد أولا وبعده أحمد بن بسيف بن حَمَّادٍ، والْمُبَيْحَةُ زوج سيد احمد بن محمد بن المبير **وإخوتها** سيدي محمد وسيد الامين وسيد الحبيب.

وإخوة الشيخ سيدي المختار أسنهم سيدي محمد ابو حَامِيَةَ وأمه اللاَّلِيَةُ بنت سيدي ابُوبَكْ بن المصطفى بن المختار بن الوافي وشقيقتاه خديجة والْمَسْمِيةُ واشقاؤه سيدي أبو بكر وسيد محمد "مات صغيرا" وسيد عالي المتوفى سنة 1197 (83 - 1782) وشقيقة هي اكبرني أمه تزوجها على بن احمد التَّيْسْ فولدت له كِنَانْ واحمد ومحمد وبنتين، وسيد على اصغر من الشيخ سيدي المختار بعامين وقد توفيت والدتهم والشيخ سيدي المختار في الرابعة أو الخامسة من عمره فتزوج والدهم بعدها خديجة الرَّحْمَانِيَّةَ فولدت له ابنا وابنتين فتوفي عنها.

وقد ولد الشيخ سيدي المختار عند كثيب أغَالَ[1] سنة اثنين واربعين ويقال إنه ولد سنة خمس وثلاثين ومائة وألف فيكون عمره على الاول أربعا وثمانين سنة وعلى الثاني إحدى وتسعين سنة وعلى كلا التاريخين يبعد القول القائل بأن الشيخ القاضي بن الحاج احمد بَابُ فسر له الفغ الحمد رؤيا بسببها سار إلى الشيخ سيدي المختار لأن الفغ الحمد توفي سنة أربع وأربعين ومائة والف. كما حدثني بذلك الشيخ احمد محمود بن محمد سعد بن سيد بن الطالب احمد بن الفغ الْحُمَّدْ غير ماسرة وقال لي

---

1 - بضم الهمزة وفتح الغين بعدها ألف.

مؤكدا لذلك إنهم يضبطون تاريخ وفاة جدهم المذكور بحروف دمشق والرؤيا وحديثها قصهما علي مباشرة الشيخ محمد محفوظ بن الشيخ المصطفى ابن الشيخ المحفوظ بن الشيخ القاضي في قدمة قدمتها عليه اخر عمره سنة 1951 في شهر شتنبر في حديث جرى بيني وبينه بين المغرب والعشاء. فإن كان الشيخ سيدي المختار ولد سنة 1142 فيكون في سنته الثانية وقت وفاة اشْفَغَ الْحُمَّدْ وإن كان ولد سنة خمس وثلاثين ومائة وألف فيكون في سنته التاسعة ولايمكن أن يكون في واحد من التاريخين قد عرف وأشير إليه بالاصابع.

كان الشيخ سيدي المختار المذكور في غاية العلم وكان هو المجدد في القرن الثاني عشر كما يشهد له افتتاحه لكتابه هداية الطلاب بقوله: "الحمد لله الذي خص هذه الامة المحمدية بأن جعل لها في كل قرن وارثا يجدد لها دينها يفيض عليه العلوم من لدنه ليحقق تمكينها"، إلى اخره -وكان يقول: "المجدد من إذا فرض اندراس سائر علوم الملة واحرقت الكتب المدونة فيها ثم رجع إليه في ذلك جدد تلك العلوم ودون فيها أمثال تلك الكتب وأرجو أن أكون ذلك الرجل"، قال ابنه الشيخ سيدي محمد في الطرائف والتلائد بعد أن نقل كلام والده المتقدم مالفظه: "وأنا أشهد أنه كذلك وفوق ذلك أعاد الله تعلى علينا من بركاته".

وقد اخذ الشيخ سيدي المختار المذكور العلوم الشرعية النقلية والحقائق الصوفية التلقينية عن شيخه الشيخ سيدي عَلي بن الْمُجِيمِهْ بن محمد بن شُعَيْبْ الشريف التَّكْرُورِي المتوفى في حدود السَّبْعِين بعد المائة والالف عن الشيخ سيدي الامين ذي النِّقاب (بُونْگَابْ) بن سيدي عمر بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الرگَّادْ ابن سيدي احمد الْفَيْرَمْ المتوفى في حدود 950 بن سيدي اعمر الشيخ بن الشيخ سيدي احمد الْبَكَّايْ المتوفى ليلة السبت قبل الفجر أواسط جمادى الأولى عام ستة عشر ومائة وألف عن أخيه الشيخ سيد أحمد الخليفة المتوفى في ليلة السبت صلاة العشاء ثامن ذي الحجة عام اثنتين وتسعين والف عن عمه الشيخ سيدي على بن سيد احمد بن سيد امْحَمَّدْ الملقب الرگَّادْ المتوفى في طلوع الشمس يوم الأحد سادس عشر شعبان عام تسعة عشر ومائة والف عن أبيه الشيخ سيدي أحمد بن سيدي امْحَمَّدْ الرگَّادْ المتوفى يوم الثلاثاء أول شوال عام ثلاثة وستين وألف عن أبيه الشيخ سيدي امْحَمَّدْ الرگَّادْ المتوفى سنة اربع وتسعين وتسعمائة عن أبيه الشيخ سيدي احمد الملقب الْفَيْرَمْ المتوفى

في حدود 950 عن أبيه سيدي اعْمَرْ الشيخ المتوفى يوم الاثنين رابع جمادى الأخيرة سنة عشر وسبعمائة[1] عن مائة واربعين سنة و44 يوما وما مات حتى بلغ القطبانية. تواتر عنه أنه كان ينظر إلى مابين العرش والفرش كما ينظر إلى الدرهم في كفه رضي الله عنه واعاد علينا من بركاته آمين عن شيخه الشيخ محمد بن عبد الكريم المَغِيلِيِّ التلمساني المتوفى في حدود الأربعين وتسعمائة عن شيخه جلال الدين سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة احدى عشرة وتسعمائة عن الشيخ أبي العباس سيدي عبد الرحمن الثعالبي عن الشيخ أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (543) في ربيع الأول وكانت ولادته ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان عام 468 عن الشيخ سيدي محمد بن احمد بن محمد بن أبي بكر بن مَرْزُوقٍ التجيبي التلمساني المتوفى بعد ثمانين و(سبعمائة) عن الشيخ ناصر الدين أبي موسى عمر بن موسى المشدالي المتوفى عام عشرين وستمائة عن الشيخ أبي حامد محمد الغزالي مجدد القرن الخامس المتوفى سنة خمس وخمسمائة عن الشيخ أبي الحسن على الشاذلي عن الشيخ عبد السلام بن مُشَيْشٍ المتوفى سنة اثنين وعشرين وستمائة عن الشيخ مُحْيِي الدين محمد بن علي ابن عَرَبِيٍّ[2] الحاتمي ولد سنة 570 بمُرْسِيَةَ المتوفى سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وفيه يقول محمد بن سَعْدٍ من أبيات:

إِنَّمَا الْحَاتِمِيُّ فِي الْكَوْنِ فَـــــــرْدٌ وَهُوَ غَوْثٌ وَسَيِّدٌ وَإِمَـــــــــــامْ

إلى آخرها، عن الشيخ صفاء الدين أبي النَّجِيب عبد القاهربن عبد الله السُّهْرَ وَرْدِي من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه المتوفى سنة ثلاث وستين وخمسمائة عن الشيخ علي بن هيتَ المتوفى في حدود الثمانين وخمسمائة عن الشيخ إمام الطائفة الصوفية حامل لواء الأولياء محيي الدين الشريف الحسني سيدي عبد القادر الجيلي الذي تنسب إليه الطريقة القادرية المتوفى في حدود الخمسين بعد خمسمائة، "وطريقته الآن ولله الحمد والمنة والشكر بعد النَّيِّف والعشرين بعد المائتين والألف، وهذا كلام الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار-وهو يدل على أنه كتب تأليفه الطرائف والتلائد بعد وفاة والده

---

1 - ينظر هذا مع تاريخ وفاة الشيخ سيدي احمد البكاي المتوفى سنة عشرين وتسعمائة وهو والد سيدي اعمر الشيخ المعمر، وفي كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة للشيخ سيدي المختار أن الشيخ سيد اعمر لقي السيوطي مع المغيلي في حديث طويل.

2 - بدون ألف ولام

بأقل من اربع سنوات- اشهر الطرق جادةً وسالكوها اكثر السالكين مَدَداً ومَادةً وسندها اظهر الاسنادات شرفا وسيادة ووردها اوفر الاوراد نورا وسعادة بل لايزيدها تزايد العصور الاجدة وزيادة ويلي الأيام الامتانة وإشادة يؤديها العدل إلى العدل وياخذها فحل الدولة عن الفحلْ ابقى الله سلسلتها النورانية متصلة مسلسلة وسحائب عوارف معارفها على أجادب قلوب المريدين منهملة مرسلة إلى أن يرث الباعث الوارث الأرض ومن عليها" عن شيخه تاج العارفين أبي الوفاء من اعيان مشائخ العراق عن شيخه أبي محمد الشُّنْبُكي عن شيخه أبي بكر الشِّبْلِيِّ المتوفى في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة يوم الجمعة لليلتين بقيتا من الشهرعن سبع وثمانين سنة عن شيخه أبي القاسم الْجُنَيْدِ بن محمد الْقَوَارِيرِيِّ المتوفى سنة سبع وتسعين وقيل سنة ثمان وتسعين ومائتين ببغداد واسمه سعيد بن عبيد وهو سلطان الطائفة الصوفية عن شيخه وخاله أبي الحسن سَرِيِّ بن الْمُغَلِّسِ السَّقَطِيِّ المتوفى سنة سبع وخمسين ومائتين[1] عن شيخه أبي محفوظ مَعْرُوفِ بن فَيْرُوزِ الكرخي مجاب الدعوة يستشفى بقبره توفى سنة مائتين وقيل احدى ومائتين وقيل اربع ومائتين وكان أبواه نصرانيين فأسلما عن شيخه الحسن بن أبي الحسن البصري التابعي واسمه يَسَارٌ ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم توفي بالبصرة سنة عشر ومائة وهو مولى الأنصار والف السيوطي تاليفا في اجتماعه بعلي بن أبي طالب وكذا أبي حَجَرٍ عن أمير المؤمنين وقدوة العلماء العاملين علي بن أبي طالب المستشهد سنة أربعين في صلاة الصبح من ليلة الأحد 17 رمضان على يد عبد الرحمن بن مُلْجَم في الحديث المعروف عن خاتم النبيئين وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين جبريل عليه السلام عن اللوح المحفوظ عن قلم القدرة المصون.

فهذه السلسلة على هذا الترتيب حررها الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في كتابه الطرائف والتلائد وقد نقلتها منه سابقا من النسخة التي ذكرت أني قد طالعتها عند السيد عبد العزيز بن الشيخ محمد عبد الرحمن بن محمود بن الرباني ونظمها هكذا محمد بن سيد الأمين بن أَحْمَدُّ بن الطالب اعمر بن خَيْرِ الكنتي الْبُوسَيْفِيِّ ونظمها أيضا الْمَام بن امحمد الكنتي ثم من اهل

---

1 - وقيل واحد وخمسين وقيل ستة وخمسين.

الأزرَكْ تلميذ الشيخ سيدي المترجم له وزاد فيها شيخين بين معروف الكرخي والحسن البصري فجعل معروفا آخذا عن شيخه أبي سليمان داوود بن نُصَيْرٍ الطائي وداوود ءاخذا عن حبيب العَجَمِيِّ وحبيب عن الحسن البصري إلى ءاخر ما تقدم وكذا زادهما أيضا وَبْقِ الكنتي في نظمه لهذه السلسلة.

وقد توفي داوود الطائي سنة ستين أوخمس وستين ومائة.

وقد ذكر الشيخين المذكورين أيضا الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المترجم له في مسودته لشرح نظم وبق الكنتي لرجال هذه السلسلة المباركين أولياء الله تعلى نفعنا الله تعلى ببركاتهم أجمعين ءامين.

وقد ترجم هؤلاء الرجال الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في كتابه الطرائف والتلائد وذكر الشيخ سيدي المختار والده بعضها في كتابه كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة وهو كتاب نفيس فيه من العلوم والفوائد والآداب وخواص الأشياء ما لايحصى ولايستقصى نفعنا الله تعلى بما فيه ببركة مولفه ءامين.

وهذه قصيدة الشيخ سيدي المترجم في رثاء الشيخين الشيخ سيدي المختار والشيخة لال عائشة ومدح ابنهما الشيخ سيدي محمد بعد ذلك:

جَادَتْ سَحَائِبُ رَأْفَةُ الرَّحْمَانِ ... بِهَوَامِلِ التَّكْرِيمِ وَالرِّضْوَانِ

وَبِصَوْبِ مَحْضِ الْوُدِّ وَالزُّلْفَى عَلَى ... جَدَثَيْنِ حَلَّ حَشَاهُمَا الشَّيْخَانِ

جَدَثَيْنِ غُيِّبَ فِيهِمَا إِذْ غُيِّبَا ... مَنْ غَيَّبَ الْقَمَرَانِ وَالْمَلَوَانِ

مَلَوِيَّةٌ تَمْشِينَ نِسْبَةَ طَرْفِهَا ... قَمَرِيَّةٌ مَجْلَاتُهَا بِشَرَانِ

كَفَتَانِ مَالِكَلَيْهِمَا كُفْءٌ يُسَوَّى ... بِسِوَاهُمَا مِنْ سَائِرِ الْأَكْوَانِ

لَهُمَا عَنَا وَجْهُ الْعُمُومِ وَحُكْمُهَا ... فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلَانِي

جُعِلَا لَيَسْكُنَ فِي ذِمَامِهِمَا الْوَرَى ... بِظِلَالِ عَافِيَةٍ وَحِرْزِ أَمَانِ

وَلْيَبْتَهِجُوا بِهِمَا عَلَى مَا أَبْصَرَا ... وَتَبَلْجَا[1] مِنْ فَضْلِ ذِي الْإِحْسَانِ

وَلْيَهْتَدُوا بِهِمَا لِنَهْجِ حَقِيقَةٍ ... عُفِيَتْ مَعَالِمُهُ مِنَ الْبُطْلَانِ

وَلْيَجْتَنُوا رُطَبَ الْمَعَارِفِ وَالتُّقَى ... مِنْ عِذْقِ حَالِهِمَا الْجَنِي الدَّانِي

لَاحَا وَأَحْلَاكَ الْجَهَالَةِ فَحْمَةٌ ... وَمَلَابِسُ الْبِدَعِ الْجِدَادِ مَثَانِي

وَالْجَوْرُ يَسْطُو بِالْعَدَالَةِ سَطْوَةً ... مُتَحَلْحِلاً مِنْهَا صَفًا ثَهْلَانِ

وَالدِّينُ مُنْهَدِمُ الْقَوَاعِدِ مُرْكَسٌ ... بِأَخَامِصِ الطُّغْيَانِ وَالْعِصْيَانِ

فَمَحَا شُرُوقُهُمَا دَيَاجِرَ جَهْلِ مَنْ ... جَنَحُوا إِلَى التَّسْلِيمِ وَالْإِذْعَانِ[2]

وَبَدَتْ بِصُبْحِ هُدَاهُمَا وَنِدَاهُمَا ... شَمْسُ الْهُدَى بِبَصَائِرِ الْعُمْيَانِ

فَتَحَقَّقُوا بَعْدَ الْعَمَى بِحَقَائِقِ الْـ ... ـإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ

وَتَحَكَّمَتْ بِهِمَا عَلَى الْجَوْرِ الْعِدَا ... لَهُ فِي الْبِلَادِ تَحَكُّمَ السُّلْطَانِ

وَتَتَابَعَتْ[3] مِنَنُ الْكَرِيمِ وَمَزَّقَتْ ... حُلَلَ الْحَوَادِثِ رَاحَةُ الْبُرْهَانِ

وَغَدَا مَنَارُ الدِّينِ بَعْدَ تَهَدُّمٍ ... ثَبْتَ الْأَسَاسِ مُشَيَّدَ الْأَرْكَانِ

وَتَطَاوَلَتْ سُنَنِ الرَّسُولِ تَطَاوُلاً ... وَتَضَاءَلَتْ بِدَعُ اللَّعِينِ الْعَانِي

وَتَسَاجَلَتْ أَطْيَارُ غَيْرِ طَرِيقَةٍ ... بِتَرَنُّمٍ طَرَبًا عَلَى الْأَفْنَانِ

وَتَطَارَدَ الْبَحْرَانِ بَحْرُ حَقِيقَةٍ ... وَشَرِيعَةٍ فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَانِ

وَتَلَاطَمَ الْأَمْوَاجُ فِيهِ تَلَاطُمًا ... وَتَقَاذَفَتْ بِالدُّرِّ وَالْمَرْجَانِ

فَنَفَائِسُ الْعِلْمِ النَّفِيسِ تَقَلَّدَتْ ... مِنْهَا الرُّوَاةُ قَلَائِدَ الْعِقْيَانِ

وَتَمَتَّعَتْ مِنْهَا النُّفُوسُ تَمَتُّعًا ... وَبِهَا تَشَنَّفَ عَاطِلُ الْآذَانِ

وَتَضَمَّنَتْ مِنْهَا الصَّحَائِفُ زُبْدَةً ... أَخَّاذَةً بِمَجَامِعِ الْأَذْهَانِ

يَا حَبَّذَا جَمْعٌ قَدْ اجْتَمَعَ الْهَنَا ... بِجِمَاعِهِ وَتَجَمَّعَ الْخَيْرَانِ

---

1 - تبلج أضاء واشرق، من القاموس

2 - في نسخة والايمان.

3 - وفي نسخة وتناسقت.

فَهُمَا وَإِنْ مُنِحَا مِنَ السُّلْطَانِ مَا ... لَمْ يُوتَ سُلْطَانٌ مِنَ السُّلْطَانِ

قَدِمَا عَلَى الرَّبِّ الْقَدِيمِ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُمَا إِلَى الْفَانِي الْتِفَاتٌ ثَانِي

بَلْ سَلَمَا لِلْمُشْتَرِي نَفْسَيْهِمَا ... وَتَفَانَيَا فِي الْحِبِّ أَيُّ تَفَانِي

وَتَكَفَّلَا بِحُقُوقِهِ مِمَّا بِهِ ... وَبِغَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُبْدَانِ

لَمْ يَبْرَحَا عَنَاءَ لَيْلِهِمَا وَأَطْـ ... ـرَافَ النَّهَارِ كَذَاكَ يَبْتَدِرَانِ

حَتَّى إِذَا مَا الْحَقُّ رَدَّهُمَا إِلَى ... مَاتَشْتَهِي الْعَيْنَانِ وَالْأُذُنَانِ

أَلْقَى بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كُلِّهَا ... وَعَتَادِهَا[1] وَلِوَائِهَا الْمُعْزَانِ

لوحيد خَطْرٍ مايقدِّر قَدْرَه ... وفريد عصرمالَه من ثَانِ

فَأَحَالَ عَيْبَةَ سِرِّهِ فِي سِرِّهِ ... وَأَلَاحَ فِيهِ شَوَارِقَ الْعُنْوَانِ

وكساه من حلل الْمَهَابَةِ حُلَّةً ... تُغْضَى لها كَرْهًا جفون الرانِ

وأعاره النصرَ المؤزرَ صارما ... ذكرًا يبيد به ذوي العدوانِ

ولَه السنون وراثة نَبَوِيَّةً ... مددٌ على رُغْمَى ذوي الطغيانِ

وأمده بفواضل وفضائل ... مبسوطة لم تنحصر بلسانِ

فغدا بها في كل فضل أوْحَدًا ... جمعَ الوجودَ بواحد الْأَحْدَانِ[2]

يحذو مَحَاذِيَ صالحي أسلافه الـ ... ـمتسيِّرين بسيرة القرآنِ

مامنهمُ إلا خضمٌّ سيد ... حامي الحقيقة فائق الأقرانِ

أربابُ تربية يُربُّون الورى ... من ثدي حكمة سرهمْ بِلِبَانِ

ومن الثمار ثمار غَضِّ علومهمْ ... بِجَنَى سِيٍّ أَعْذَاقٍ تُرَجِّبُ دانِ

فمتى أتى خَضِرَ الحقيقة منهمُ ... موسى الإرادة رائمَ الفرقانِ

ألقاه ملتحفا ببُرْدِ فَنَائِهِ ... في اللهِ حيث تَجَمَّعَ البحرانِ

---

1 - ما أعده من السلاح والدواب وآلة الحرب ج أعتد واعتدة منذ زمان وأزمن وأزمنة وفي الحديث أن خالدا جعل رقيقه واعتده في سبيل الله.

2 - جمع واحد، المتقدم في علم أوناس ويعني الاحد

فأفاده خرقُ السفينة عنده ... وغلامُه المقتولُ في الغلمانِ

وجوابُه عند الفراق سؤاله ... وإقامةُ المُنْقَضِّ من جُدرانِ

نورا ينبئهُ بقصر علومه ... ويمدّ علم العالم الديانِ[1]

وبما تدسّا من حقائق نفسه ... وحقيقة النقصان والرجحانِ

وبذلّه وبفقره وبضعفه ... وبعجزه عن مدفع النقصانِ

وبما يحق لربه من ضده ذا ... وتنزه عن ميسَمِ الحدثانِ

وبهذه يطوي المريد مساوفا ... تكبو بهن سوابق الميدانِ

واذا تنوّر في سُراه مَصابحًا ... من نور ربٍّ هداهمُ الربانِي

فأتى ليقتبس السناءَ من السنا ... نادى صَارخُ حاله اليَقْظانِ

اخْلَعْ نعالك في طُوَى أكنافنا ... وضع العصا في وادنا القُدسانِي

تَظْفَرْ على عجَل بما ترضى به ... من مَقْبَسِ القُرُبَاتِ والعرفانِ

ثم اسْتَمِرَّ لِحَجبه عن نفسه ... حتى يخالَ مخائلَ الخُسرانِ

بينا يحدّث نفسه بمخيبها ... فإذا به من كُمَّلِ الانسانِ

متحليا أبهى الحُلى متعطرًا ... بَدَلاً من التعطيل والإنتانِ

برياضة لايُهتدى لسبيلها ... إلا بتوفيق من المنانِ

يتماسك المُنهالُ من تسخيرها ... وتحيلُ شدةَ صُلْبِ الصَّفْوَانِ

حزبٌ له تنشرَ الإلهُ مصالحا ... طُوِيَتْ لهذا الهيكل الإنسانِ

وله معانٍ في الخصوص بديعةٌ ... جاوزن حَدَّ مقايس الاذهانِ

بل ربما حكم القضيُّ بما يرى ... من كونها ليست له بمعانِ

بَشَرِيَّةٌ كَتَمَ الخصوصَ شهودُها ... فتولّد الانكسارُ عن كتمانِ

فمعاذَ رب العرش عز من العمى ... ومن التردي في هُوَى الكفرانِ

ومن الوقوف على الحتوف بمَبْعَثٍ ... يُبغى به الأبقى من الحَيَوانِ

---

1 - القهار والقاضي والحاكم والسائس والحاسب والمجازي الذي لايضيع عملا بل يجزي بالخير والشر، من القاموس.

ومن الْغَبَـا والغبن في نفحاتـــه ... والطـرد والابعـاد والخـــذلانِ

ومن المهالك في مسالـكَ يُرتجـــى ... بسلوكها الزلفى من الرحمـــانِ

فالهُلك كل الهلك هلك مـن ادعـــى ... فيه الورى دعوى بغير بيـــانِ

فاغتر بالدعوى وسَيَّبَ نفســـه ... بمضلـة الأوهـام والأظنـــانِ

والغـبن كل الغـبن غبن مفـــاوض ... خابت قسائمه من السُّهمـــانِ

والبعـد كل البعد بعـد مُقَـرَّب ... لم يكتحـل في قربه بعيـــانِ

والطرد كل الطرد طـرد محـــلا ... بعد الورود لمشرب الظُّمئـــانِ

ياسادة من يستغـث بهم يغـــث ... ويمـد بـالارواح والأبـــدانِ

ويناشل[1] الدعوات مـن صَرف القضـا ... ويزاحـف الأجنـاد والأعـوانِ

ويهمسة عرشيـة لم تَالُـــه ... إصلاحَ ماينتـابه من شـــانِ

هذا عبيدكم المقصـر قاصـراً ... بعروجه تقصيرُ قيدِ الفـــانِ

لَمَّا يساعِدْهُ الجنـاح لأنـــه ... حُصَّتْ قوادمه عنِ الطيـــرانِ

يشكو معاناة القطيعـة والجفـا ... ويخاف أن يُصْلى لَظي الحرمـانِ

تهـوي به في هُـوَّةٍ من غيـه ... وحظوظه مَهْوِيَةُ الشيطـانِ

وتصـده عن فعـل كل فضيلـة ... بركوب كل رذيلة وهـوانِ

وتُطيـر نازله أمانيهـا ومـا ... تبدي له من خُلَّبِ الخفقـانِ

ويهوله أن سُدَّ بـابُ شهـوده ... بمشاهد الابرار والأعيـانِ

حيثُ العرائس تُجْتَلى في خدرهـا[2] ... وحِلالها دعجَ العيـون روانِ

والشَّرْبُ من حسوِ السُّلاف عتيقـةً ... صرفا نَشَاوَى والنفـوس قوانِ

والكأس مفعمة بكـف مديرهـا ... وبكفه الأخرى مِـلأُ دِنـانِ

مهمى تَطَلَّعْ طلعة السـاقي لهـمْ ... طلعوا من العرفان في كثبـانِ

---

1 - نشل اللحم ينشله وينشله وانتشله اخرجه من القدر بلا مغرفة.

2 - وفي نسخة أخرى، في حليها.

وترفلوا في زيِّ أبَّهَةٍ[1] وفـــــي ... حلل من النفحات والأمنـــــانِ

حاشى لقدركم المعظم أن يُـــــرَى ... من ينتمي لكمُ أسيرا عـــــانِ

أرخت عليه النفسُ مـن حُجُباتهـــا ... حجبًا سوابغَ من كثيف الـــرانِ

ودهت ســـوادَ فؤاده بقســـاوة ... غار الدموع بها من الأجفـــانِ

وعتت بها هوجُ الخـواطر واعتـــدى ... سوءُ الفهوم وكثرةُ النسيـــانِ

وخبت مصابيحُ البصيرة والحجـــا ... وبها تعطل عاملُ الأركـــانِ

والحفظُ واهيةٌ بها منه القُـــوى ... وبها تَألَّفَ عَالِفُ الدَّيْـــدانِ

ياقسوةً لم يُجْدِ فيهـا موعـــدٌ ... قَسَرٌ ولاحامي التوعـــد عانِ

كَلاَّ ولاَ سَبَبًا يزحـزح راسيًـــا ... من ركنها المستحكم البنيـــانِ

ضاق الخناق بها عـليَّ فليـــس لي ... بِقِرَاعِهَا أمدَ الزمان يـــدانِ

حالي بها حَالٌ يَرِقُّ لضُعفهـــا ... ولما تعاني كـلُّ ذي إمعـــانِ

أمْسِي وأصبح هائما متحيِّـــرًا ... متحسراً كتحسر الولـهـــانِ

متفرقا فيمـــا أروم جِمَاعَـــه ... متمزقا كتحرُّق الهيمـــانِ

إن لم يكن منكم لهـا ياســـادتي ... في الحينِ هَدُّ مَعالمٍ ومبـــانِ

بمرازبٍ[2] من خَلسوة ورياضـــة ... وبهِمَّةٍ من تحتُ كالسُّنـــدانِ

أو يلتفت منكـم طبيب ماهـــر ... بمراهـــم الأدواء والأدرانِ

يَاسوا اليَبوسَ بما يرطب يُبْسَـــه ... ويدبر التاثيـــر باستحســـانِ

ويعالج الدَّاءَ العضـالَ بخلطـــه ... أصناف أدوية على مـيـــزانِ

1- العظمة والبهجة والكبر والنخوة، من القاموس.

2 - الارزبة بكسر الهمزة مع التثقيل والجمع آرازب وفي لغة مرزبة بميم مكسورة مع التخفيف والعامة تثقل مع الميم قال ابن السكيت وهو خطأ والجمع مرازب بالتخفيف ايضا انتهى من المصباح.

ويُلَيِّنُ العَقد الغليظ بكمـــــــده[1] ... ويدَهنه من طيب الأدهـــــــــانِ

كان المماتُ من الحياة أحـــــــقَّ بي ... وأهدَّ للخطب الذي يدهـــــــانِي

وأبتَّ للعلل التي تعتادنـــــــــي ... في كل ماحين من الأحيـــــــانِ

وأخفُّ رَشْقًا من صوائب أسهـــــــمٍ ... بسِنانها حزبُ الهَوى أصمـــــانِي

وأشد تقصية من النفس التـــــــي ... عن ذي الجلال حجابها أقصـــــانِي

فلو أنني لم أخش في إزها قهـــــا ... عمدا من التخليد في النيـــــرانِ

لقذفتها في قعر بير شاطـــــــنٍ ... متنازح الارجـــا بلا أشطـــــانِ

أو سُمتها سوءَ الهلاك بضـــربـــــة ... تَجْلاَ بعضب الشفـــرتَيْنِ يمـــانِي

أو طعنة ترمي النجيعَ بصعـــــــدة ... مسمومة من يابـــس الْمُـــرَّانِ[2]

لاكن بحكم العدل ينحتم الرضـــــا ... في حيِّز التسليـــم والاذعـــانِ

أشكو إلى مشكي الشكاة شكيتـــي ... فعساه يُشكينـــي كما أشكـــانِي

وإلى مشائخ جِلَّةٍ عُرفت لهـــــم ... بين الأنام إغاثـــة اللهفـــانِ

أعددتهـــم مدداً يَمُدُّ وَعُـــــدَّةً ... في نحر ما يعـــدو من الْحَدَثَـــانِ

وجعلتهـــم حرَما حماه مُؤَمَّـــن ... ماغيه من دنيا ومـــن أديـــانِ

وحللت في ذاك الحريم بحرمـــــي ... ومحارم الإخـــوان والْخـــلاَنِ

وصررت أسراري بصَرة سرهـــــم ... ومصرُّها سببـــي به وكفـــانِي

فحشاهمُ أن يسلموا متشبثـــــا ... من محكمات عهودهـــم بِمتـــانِ

وحشاهمُ أن يحرموا جيرانهـــــم ... مما به عَمُّوا على البلـــــدانِ

وحشاهمُ أن يطردوا عن وردهـــــم ... مستوردا من شاحط الأوطـــانِ

وحشاهمُ أن يعرضوا عن شيِّـــق ... متعلق في حبهم متفـــانِ

---

1 - الكماد ككتاب خرقة وسخة تسخن وتوضع على الموجوع يستشفى بها من الريح ووجع البطن كالكمادة وتكميد العضو تسخينه بها، من القاموس.

2 - الرماح الصلبة اللدنة، من القاموس.

وحشا لمُبْرِقِ صادقات وعودهـــــم ... أن ينتمي لكواذب اللَّمَعـــــانِ
إني وإن كنت المقصر أرتجـــــي ... بهم بلوغ مئاربي وأمـــــانِي
وتسنُّمي من كل فضل قُنَّـــــة ... طالت صعود الشيب والشبـــــانِ
وتضلعي من كل علـم نافـــــع ... وتفجري بينابع الفيَضـــــانِ
وتشربي كأسَ المعارف مترعًـــــا ... في هيبة وتأنس وتفـــــانِ
وتدرعي درعَ القَبول مجـــــرراً ... بُرْدَ التصدر طيـــــب الأردانِ
وحيازتي خصـــل[1] السباق مجليـــا ... في حلبة النظراء والأقـــــرانِ
فهم الجديرُ جليسُهم بسيـــــادة ... وسعادة وزيادة وتهـــــانِ
لازال عزهمُ يزيد تعـــــززاً ... وتزايداً بتزايد الأزمـــــانِ
والله يُرضيهمْ ويرضـــي عنهـــمُ ... ويعينهم بمعونة المَعْـــــوانِ
لقيامهم عن كل قسرم دانـــــةٍ ... بمؤونـــة من قيِّم الأديـــــانِ
ويحملهم علم الخصـــوص وراثـــة ... نبوية عن سيد الإنســـــانِ
صـــلى عليـــه الله جل جـــلالـــه ... في آله وصحابه الغُـــــرانِ
ما إن تكمل ناقـــص بتميمـــة ... في كامل الإنسان والبُحـــــرانِ.

وكتب إلى الشيخ عبد الله بن سيد محمد بن الداه بن داداه لما قرأ الأجزاء الأولى من هذه المجموعة مالفظه: "وكثيرا كثيرا ما أسمع الوالد إذا أنشد آخر النونية: جادت سحائب رأفة الرحمن، من قوله: إني وإن كنت المقصر، يقول: لما أنشد الشيخ هذه القصيدة للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار قال له: ستنال مارجوت كله أو أنا أضمن لك أن ترى ما رجوت كله، الشك مني، ويقول الوالد: وما أخذ عليه الكذب في ذلك فتبارك الله احسن الخالقين»"

وقد وقفت على هذه القصيدة مخمسة مكتوبا قبل أول بيت منها مالفظه: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ومما يسر الله للفقير احمد بن امحمد إكنن السوقي تخميس قصيدة الأديب النحرير سيدي بن المختار بن الهيب التي هي من احسن ماقيل في مدح

---

1 - مايوخذ عند النضال والسباق.

الأشياخ:

اليوم إذْعَانِيَ الذي عنَّـــــــــاني إذ قال مالوقلته أعيـــــــــائي

فأجاد سيديَّ قرةُ العينـــــــــان جادت سحائب رأفة الرحمـــــــان

بهوامل التكريـــــم والرضوان

إلى آخر التخميس المذكور. ولما وصل إلى آخر بيت من القصيدة كاتبه كتب الشيخ سيدي مالفظه: تمت مقابلة هذه النسخة بنسخة من خط المخمس على يد منشئ الاصل ومقابله مع تخميسه لنفسه ثم لمن شاء الله بعده فقير مولاه سيدي بن المختار بن الهيب الإنتشائي كان الله للجميع وليا ونصيرا وكانت المقابلة أواخر شعبان عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف رزقنا الله خيره ووقانا ضيره آمين، انتهى لفظ ماعلى أول التخميس وآخره وعليه حواش وإعراب لبعض الكلمات بخط الشيخ سيدي وشكل لحروف من قصيدته وقصيدة السوقي المذكور.

وذكر الشيخ سيديّ في كتابه مجمع الطي والنشر في اجوبة المسائل العشر الذي ستقف عليه فيما سياتي إن شاء الله في سرد المولفات والرسائل والإجازات في جواب المسئلة السادسة في ذكر المقامات والمنازل التي يمر بها السالكون مالفظه: وإلى هذا المعنى يشير قولنا في القصيدة الدونية التي انشأناها في مدح مشائخنا رضي الله عنهم: ثم استمر لحجبه عن نفسه، إلى قوله: وتحيل شدة صلّب الصفوان؛ وهذا كله في السالك من المريدين انتهى المراد منه بلفظه.

وللشيخ سيدي المختار رحمه الله تعلى ورضى عنه كرامات كثيرة وخوارق شهيرة ودروم الشيخ سيدي المترجم له حصرها في قصيدته الآتية وقد عيق عن الإتمام لها جملة وهي هذه:

أتحـــفَ الله نخبـــةَ الأخيـــــار ساداتي آل سيِّدي المختـــــــارِ

من كمال الرضا ومنتـــــخب الـــــبر وألطافه وحســـــن الجـــوارِ

ومن الزُّلْفِ والنعيـــــم بمالـــــم يوتَ بَرٌّ من ســـــائر الأبـــرارِ

بل على قدره المنيـــــف ومـــا خولهم من انافســـة المقـــدارِ

فهو البر بالمطيـــــع وهم ســـــما دةُ من بَرَّهُ مـــــن الأخيـــــارِ

وهو العالم الخبير وهم مـــــــــدن أخذ العلـــــوم والأخبـــــار

وهو الواهب الشكور وهم مـــــن وُهِبُوا شكـــــره على استمرارِ

وهو الراحم الغفور وهم رحـــــمته للمستفسرين الخيـــارِ

ألبسَ الكُلَّ من معاني الأســـامي حِلَعًا نيِّرهـــا من الأنـــوارِ

وبجزاهم بحسن ماصبَرُوا فـــيـــه على دعوة الـــورى للمنارِ

جنةَ الأنس والمحبةِ في الدنـــيا وأعلى جنـــان دار القرارِ

وأن آتاهمُ ينابيـــع حكـــم سيلهـــا في كل المجـــاري جارِ

ليس يوتى بمثلهـــا غير مـــن أو تيَ خيرا يرى كثيـــر الغمـــارِ

غرَست في قلـــوب من غمرتهـــم برواها حدائـــق الاســـرارِ

وسقتها سجال نورٍ سرى تـــا ثيرها في الأعشار والأبشـــار

فغدا مَأْبورَ المعارف من قِنْـــوانِهَـــا مُرْطِبا جَنِيُّ الثمـــارِ

مُنحت بها اوجه الطِّرس شكـــلا مَا كَهُ الوشمُ في خدود العـــذارِي

عاضها من بياضها بســـواد كسواد العيون في الابصـــارِ

أن يرَ الفكرُ من خبايـا معانيـــه وجوها تبدو من الاستـــارِ

ظل في غبطة بما قـــد رءاه واعتبارٍ وحيرة وانبهـــارِ

يصدع اللُّبَّ صدمُ باهرها مهـــمى تبدت له صـــدوعَ اضطـــرارِ

كل قلب لم ينصدع من تَبَدِّيـــها بمعنى الحياة حِلفُ بـــوارِ

مددٌ لم يكن عن الكســب بل كـــا ن بفيـــض من العليم مثـــارِ

هو فيض البحر اللَّدُنِّيِّ مَجَّتْـــهُ زجاجات أنفُس الأحـــرارِ

وأنيلوا من الكشـوف صنوفـــا قدرت عن إطاقة الحصـــارِ

بصرت بالعيوب منهم عيـــون ليس تخشى خواشي الغُـــوارِ

كُحِلتْ من نور المعارف حتـــى لمْ تخَفْ حاجة إلى استبصـــارِ

قد جلا اوجُهَ المرايا لـــهـــا في مشهد الحق صَيْقَلُ الاذكـــارِ

باجتهـــاد وهمـــة طرفا مـــا بالحِمَى من جوالب الأقـــذارِ

فرأت مائنًا كما قد دنا منـــــــــــــها وما بالدجى كما بالنهـــــــــارِ

أعْيُنٌ في حوز البصـــائر نـــــارت فرنت لافي حيِّز الأبصـــــــــارِ

شاهدتْ بالخصـــــوص من ملكـــــو ت الحق مالم تشهد من الأغيـــــارِ

تتراءى لها المعاني شُخوصـــــــا في مرايا دقائق الأســـــــــرارِ

بل سرى من معنى التشخص للأبـــــــــــصارِ إذ جاورن البصائر ســـــــارِ

وطرا للاشباح من غَلَـــــــــبِ الأر واح إياهـــــا بالتَّرَوْحُنِ طـــارِ

فجرى من فرق العـــوائد فيهـــــا بعد تخريقِ عـــــادها أي جـــارِ

رجم الغيب منظرُ الطـــرف امعـــا نا وطار الجسوم كالطيـــــــارِ

بل قوى الجِســـــمُ بالتمهـــل في أسرح من لحظ من فجاج القفـــــارِ

وهو في عالم العوائـــد يونيـــــه من المشي عِدَّةُ الأشبـــــــارِ

مايُعانِي اجتيابـــه في زمـــــانٍ فيُعَنِّيه جاهدُ الإعصـــــــارِ

إذ دها المسلمـــين أفـــــدح داءٍ دوخ الشام غدوة من نهـــــارِ

فاستغاثوا بمن لـه الوقـــــت إذ ذاك مضافٌ من صولة الكفـــــارِ

وأهابت[1] مقاول الحال والقـــــا ل بقطب الرحى أبي الأقمـــــارِ

شيخنا المختار الذي بعثـــــت من بعثه ملـــة النبي المختـــــارِ

فرمى الصَّك من يـــديه إلى دُرِّيـــــــه الكَوكَب المضيء الســـــارِ

وارتمى خائضا بحارَ الفيـــــافي طاويا نشرَها إلى الأمصـــــارِ

فسقى المشركين سُمّا نقيعـــــا بقنًى من بلائه وشفـــــــارِ

وسيوفٍ من هُنْدُوَانِ انتصـــار الـــــــمالك الفَرْدِ الناصـــــر القهَّـــارِ

قد أذاقتهمُ حميم التـــــــداري وغساقَ الضِّـــــرار قبل التَّبـــارِ

وأحلتهـــمُ بنار جحيـــــــم خُلِّدُوا فيهـــــا قبل خلد النَّـــارِ

لم يقِ الفَلُّ من لظاها ســـــوَى أنْ ولوا القهقـــــرى على الأدبَـــارِ

---

1 - نادت وصرخت

وانثني مُقْلِجًا ولم يقرا القـــــــا ري سوى عـــــدة من الأسطـــارِ
وبمكتوم سره باح للنـــــــــا س عبيطٌ على السبابيط جـــــارِ
وبهذى القضية اجتمعَ الطيّـــــــــانِ طيٌّ المَـــــدَى وطي المـــــدارِ
إذ مضى في أوانها النزرِ مع قلـــــــــة محسوسه نصيـــــفُ النهـــارِ
وتحداه بالسبـــــاق مجـــــــلٌّ من بني التَّوْجِ قَـــــارحٌ في الضِّمارِ
وامتطى سبحةً تعـــودت السبـــــــــقَ فطارتْ به نجـــوبُ البـــــراري
ومضى شيخُنا الرضـــى رضِي اللّـــــــهُ تعلى عن روحه كالبـــــــاري
في تأن من سعيه واتّئـــــــــادٍ واقتصـــــاد وهيبة ووقـــــارِ
ثم لم ينشَب أن رءا سُبحة الطّـــــا ئر حَلت بســـه على الآثـــــارِ
وهو يدعو دعاء مستحسر معْـــــــــترف بالقصـــــور في المضمـــارِ
ثم ألقى بطـــرفه نظـــــرا مـــــدّ عيًا بَذّ لَحْظـــــه في النِّظـــارِ
فبـــدا كلُّ مايرى وتخطـــــــتْ مُرْتَمَى لحظـــه لَحَـــاظُ الكِبارِ
فتولى وقد رءا رأيَ عـــــــين موجبَ اليـــــأس من مَشَقِّ الغُبارِ
أيْشَـــقُّ الغبـــار ممن به السبـــــــــقَ حوى كلُّ ســـابق محضـــــارِ
قد طوى بالطواف مع خَضِـــرٍ منـــــــشورَ فيح البحـــــار بعد الصُحارِ
إذْ دعـــاه لأن يطـــالع ما بـــالـــــــأرض من بِـــدع حكمـــة واقتـــدارِ
ريثما يُرجع المحملق طَـــــــرفًا طرْفًا في أم القـــرى والديـــارِ
ثم جالا بمشـــرق وبغـــــــرب بعد مـــــا زارا طيبـــة الـــزوارِ
صَعِدا قَافَ من جميع النـــــواحي غير ما مسـرة صُعُودَ اعتبـــارِ
وَمن العُجب مابدا لهما بالشـــــا م من معشـــر ذوي إقبـــــارِ
غُلت أعناقهـــم وأيديهـــم غيـــــــر أخي عـــدل من ذوي الأقـــدارِ
معشـرٌ كان في الحيـاة قضـــــاة في القضا جائرين غيرَ المُعـــارِ
فجزى الله ذا العدالة فضـــــلا وجزى العدل ســائر الجـــــوارِ

وكفى المرء زاجراً عن قضـــــــاء ما بـــه نَبئـــوا من الأخـــبارِ
ولقد قل مثل هذي القضايـــــــا لمن إيضـــاعه على الأفكـــــارِ
واستوى في غيـــائه لمن استصـــــــــرخه قُربهُ وشـــطُّ المـــــــزارِ
فكثيرا مايستغـــاث به فـــــي صدمة من صـــــوادم الأقـــدارِ
وهو ناء عن المُغَـــوِّثِ فـــي نـــــا حية من نـــــوازح الأقطـــارِ
فيَشيل المَنْبُوذَ قبل سقـــــــوط ويقيل المنكـــــوب قبل العِثارِ
وتراه العيون طوْراً وطـــــــوراً لاتراه لواحـــــظُ النُّظَّـــارِ
وبداحـــدق ذَا لِعَـــــيْنٍ عَلِيٍّ يَومَ بَادَى سَدِيسُـــــهُ بِالنِّفَـــارِ
إذ دعـــا الغـــوثَ مستغيثابه وهـــــــو على رازح بلا تَشْبِيَـــــارِ
بينما خطبـــه يُقَنِّـــــطُ إذ شدَّ على النافر امرؤٌ ذوفَخـــــــارِ
أبيـض الـدرع من رءاه رءا الشيـــــــخ بـلا مـــــرية ولا إنكـــارِ
فثنى مِنْ شِكَالِه في خـــــــلاف بعد تجديله بوجـــــه الغُبـــارِ
ثم خـــلاَّهُ دارجـــا لايـــــوازي جِدُّهُ هَـــــوْنَ دارجٍ مِفتـــارِ[1].

ومن أراد ايضاح هذه الكرامات بكاملها فليقف على ماكتبه في بيانها الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختارفي الطرائف والتلائد وفي شرح حزب الشيخ سيدي المختار وفي متفرق تقوله الكثيرة ورسائله الشهيرة.

وإلى هنا ينتهي شعره الخاص بالشيخ سيدي المختار وماذكر فيه معه من رثاء الشيخة لال عيش.

ولنذكر الاقمار التي كنى بها الشيخ سيدي المختار في قول الشيخ سيدي المتقدم وهو قوله:

وأهابت مقاول الخمال والقصـــــــــا ل بقطب الرحى أبي الأقمـــــــارِ

---

[1] - وقد حدثني العالم المحقق سيدي محمد بن الداه أن الشيخ سيدي لم يقل في قصيدته هذه إلا ما ثبت عنده بعدلين، وكذلك حدثني العالم المحدث الناظم الناثر محمد بن أبي مدين عن جده الشيخ سيدي باب هذا الحديث الا أنه جعل مكان العدلين الثبات الشرعي.

وهم على الترتيب الأشياخ الأجلة والقادة السادة الأدلة أبناء الشيخين العظيمين والوليين الكاملين سلالات أولياء الله الكمل المتوارثة فيهم جيلا بعد جيل من عهد جدهم عقبة المستجاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعد ذلك الشيخ سيد احمد البكاي وابوه قبله الشيخ سيدي محمد الكنتي الكبير وأبناء الشيخ سيدي احمد البكاي سيدي امحمد الكنتي الصغير والحاج أبو بكر وسيدي اعمر الشيخ وذرية ابنه الشيخ سيدي احمد الفيرم جد السادة سلسلة الركّاكْدَ الذين ذكرهم الشيخ سيدي المختار في كتابه كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة إنه لم يخرج من بيت من عامة الناس ماخرج من ثلاث بيوت من الفضل والبركة وهي: بيت يعقوب بن اسحاق عليهما السلام وبيت علي بن أبي طالب وبيت سيد امحمد الركّادْ.

ومن هذا البيت سيدي محمد الأمين بن سيدي المختار بن سيدي اعمر الرقاديُّ القائل في الملحون الحساني:

اكْتَابْ اللهْ كِيمِيَارُ اكْـــــــرَامَ اكَنْزْ لاَ تَخْشَ اعْلِيهْ انْفَـــــــادْ
دِيرْ الْهِمْ فِيهْ لاَ تتْعَـــــــامَ وَاعْمَلْ مِنْ خَـــــــاصْ وَاوْرَادْ
كِلْ انْهَارْ اتْجِدْ لِلْفَهْـــــــامَ مِن مَّعْنَاهْ افْنُـــــــونْ بِالتِّرْدَادْ.

زين العابدين وكان الشيخ سيدي المختار يكنى به فيقال له أبو زين العابدين وسيدي احمد البكاي وسيدي حَمٌّ الأمين وإسمه محمد الأمين وباب احمد وواسطة العقد وفريدته ويتيمته وحلي الزمان وغرة الأوان ووارث الفوث بلانزاع شيخنا الشيخ سيدي محمد وسيدي حبيب الله وسيدي اعمروسيد امحمد نفعنا الله تعلى ببركاتهم وبركات سلفهم أجمعين آمين.

وعقب زين العابدين في أزواد وكنت الذين في موريتانيا وأولاده: امحمد وباب احمد. فلا محمد باب احمد ولباب احمد هذا سيد امحمد، ولسيد محمد باب احمد الملقب بَابَاتْ، ولباب احمد ابن زين العابدين عابدين، ولعابدين هذا باب، ولباب عابدين، ولعابدين باب.

وعقب سيدي احمد البكاي في تيرس وآدرار وعقب سيدي حم الأمين في تيسرس والحوض وعقب باب احمد في أزواد والحوض والبراكنة.

وقد توفي باب احمد هذا عام 1241 وفي عقبه عابدين(1) (وكان حيا عام 1289 . ولعابدين هذا

البكاي الصغير المتوفى عام 1316) والبكاي(2) (وله عابدين الذي اغتيل بالنعمة عام 1299 اغتاله ابناء أخيه باب المتوفى عام 1297 وخلف ابنه سيدي حيبلّ المتوفى سنة 1325) وحمادي(3) المتوفى سنة 1278 وله سيد احمد أغار عليه مشظوف سنة 1300؛ ولسيد امحمد هذا البكاي المتوفى سنة 1325 .

وللشيخ سيدي محمد: الشيخ سيدي المختار الصغير الملقب بَادِ المتوفى سنة 1263 ، وسيدي البكاي المتوفى عام 1281 ، وَبَايْ وعابدين الذي قتله أولاد بُورَدَّ عام 1272 ، وسيد امحمد الكنتي الذي قتله أولاد بَسْبَعْ عام 1281 ، وسيدي اعمر وسيدي الأمين وسيدي عَلْوَاتَ وباب احمد ومحمد الصغير . فهؤلاء العشرة ابناء شيخنا الشيخ سيدي محمد.

وإليك تفاصيل ذرياتهم،

فللشيخ سيدي المختار الصغير:

1) امحمد المتوفى في حدود 1874 ، ولامحمد: حمادي المتوفى عام 1330 في غزو الگطَّارَ، ولحمادي هذا الميمون المتوفى سنة 1946 ابتداء السياسة في موريتانيا ومقدمات استقلالها عن الحكم الفرنسي الذي ابتدأ فيها من عام 1895 إلى عام 1960 وبادي الرئيس العام لكنته بِأَزَوَادْ تِلِمْسِي الملحقين إداريا بامْبُرَاغَه (BOREME)

2) وحمادي المتوفى 1864 ، ولحمادي هذا عَلْوَاتَ ولعلوات سندي المتوفى سنة 1965 ولسندي بُودَمْعَةَ رئيس كنته أَرِنْدَ أي كنت النازلون جنوب منعطف نهر النيجر في مالي يتبعون إداريا تَغَارُوسْتْ.

3) وباب احمد المتوفى سنة 1887 .

وعقب سيدي البكاي في أزواد ، منه: سيدي المختار المتوفى عام 1878 ولسيد المختار هذا البكاي وكان حيا عام 1335 ، وعابدين المتوفى سنة 1306 .

وعقب باي في أزواد ، منه ابنه الخليفه المتوفى سنة 1307 .

ولعابدين الذي قتله أولاد بُوَرَدْ سيد امحمد .

ولسيد امحمد الكنتي الذي قتله أولاد بِسْبَعْ عابدين واكثر عقبه في وَادْ نُونْ، منه سيدي حبيب الله الذي قتله المِلّيُون عام 1382 .

ولسيد اعمر باي.

ولسيد الامين عقب في أزواد منه البكاي الصغير وللبكاي هذا عابدين الصغير المتوفى سنة 1300 .

ولعلوات عقب في أزواد منه حمادي وامحمد ولامحمد هذا سيدي علواتا .

وعقب باب احمد في أزواد.

ولامحمد الصغير عقب في أزواد وتيرس.

ولسيد حيبلْ عقب في أزواد وموريتانيا منه المختار وللمختار سيدي امحمد الملقب سيدي آكَ بَلّى المتوفى سنة 1909 .

وعقب سيدي اعمر في كنتة مالي والنيجر.

وعقب سيدي امحمد في كنتة أرِيَنْدَ والبراكنة.

ينظر لهذا كتابة المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا عن كنت الشرقيين وغيرهم، وقد كتبته تبركا بذكر الصالحين واستحلاء لأخبارهم ووفاء بما ذكرت سابقا وبرا بالمترجم له وليعرف المذكور في المراسلات والاشعار منهم.

وقد ذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في الرسالة الغلاوية وهي رسالة بديعة مملوءة بالعلوم والتاريخ أن ذرية سيدي أبي بكر الحاج وسيدي اعمر الشيخ هي التي قطنت بأزواد بعد الترحل أزمان **كفْكَافَ** من الصحراء العام الفاتح لثلاثين سنة بعد المائة والالف وذكر أيضا في رسالة له إلى أولاد بُرَدّ في شأن ابنه زين العابدين في الموضع الأول منها ما محل الغرض منه: "فنحن في أزواد منذ قرن ونيف ولم ندع قط انا اصلك له من طارئ عليه ولا أنا أولى به من احد كائنا من كان الاموضعا

عمرناه ببناء ونحوه فنملك منه مايملك بالعمران لاغير" انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى آمين.

وفي كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة للشيخ سيدي المختار رحمه الله تعلى في ترجمة جده الشيخ سيدي احمد البكاي مالفظه: "وذكروا عن تلميذه عبد الرحمن المحجوبي أنه قال سألته هل من آبائه من بلغ درجته فقال لي إنما مثلي بالنسبة إلى أبي كنسبة سم الخياط إلى جميع الخياط وكذلك أبي من أبيه وكذلك إلى عقبة بن عامر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عقبة المستجاب بن عامر بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن ضبة بن زيد بن عبد مناف بن سعيد بن عبد الله بن فهر بن مالك وهو الذي فتح المغرب على يديه" انتهى كلامه بلفظه.

وفي الاستيعاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر مالفظه: "عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصح له صحبة كان ابن خالة عمرو بن العاص ولاه افريقية وهو على مصر إلى أن قال ويقولون أن عقبة بن نافع كان مستجاب الدعوة" انتهى المراد منه.

وفي الإصابة للحافظ بن حجر مالفظه: "عقبة بن الحارث الفهري أمير المغرب لمعاوية ويزيد قال ابن يونس يقال له صحبة ولايصح وهو عقبة بن نافع بن الحارث" انتهى المراد منه في القسم الرابع وذكره في القسم الثاني بما لفظه: "عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر القرشي -إلى أن قال-: ومن ولده بمصر والشام وإفريقية بقية" انتهى المراد منه.

ويسرد الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في الرسالة الفلاوية وفي الطرائف والتلائد مابين سيدي محمد الكنتي الكبير وعقبة المذكور فيجعله هكذا: "سيدي محمد الكنتي الكبير بن سيدي علي وكان قطبا علامة مربيا بن سيدي يحيى وكان علامة حافظا بن عثمان وكان مربيا مرشدا توخذ عنه فنون العلم بن دَوْمَانْ واسمه عَمْرٌو كان عالما زاهداً بن يَهْسْ واسمه عبد الله كان شيخا مربيا ذا أتباع ابن شَاكِرٍ" وفي موضع آخر تسميته بَوَرْدٍ بن يعقوب بن العاقب بن عقبة المستجاب.

وقد ورد في إجازة الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار وتصديره لسيدي محمد المحمود بن الولي عبد الرحمن بن الطالب سيد احمد الكنتي البكري مامحل الغرض منه: "فقد كنت أسمع الشيخ الوالد رضوان الله عليه يقول قال ابناء الشيخ سيدي احمد البكاي له إلى من ننتسب فقد اختلفت

علينا المقالة في ذلك فبعض يرفع نسبنا إلى أهل البيت الشريف وبعض إلى بني أمية وبعض إلى فهر فقال أرجوني إلى غد أخبركم بنسبكم فلما اصبحوا غدوا عليه فإذا بين يديه جفنة ودواة وقلم فقالوا اخبرنا عن نسبنا فأشار إلى الجفنة وقال هذه أمكم وأشار إلى القلم وقال هذا أبوكم فمن قام منكم بالانفاق وتحصيل العلم النافع فنسبه اعرف الانساب ومن ضيعهما فلا نسب له" انتهى بلفظة من الاجازة والتصدير المذكورين.

ويشتد حرص الشيخ سيدي المترجم في هذه الاشهر الخمسة التي ادرك من عمر شيخه الشيخ سيدي المختار على تحصيل كل ما امكنه من مؤلفاته ورسائله واشعاره ودعواته واحزابه وتوجهاته كتابة لذلك بيده الكريمة واستكتابا له بواسطة اصحابه الذين تعرَّفهم وتعرفوه في هذه الفترة من الزمن وأعجبهم وقبلوا تقدمه عليهم وظهرت لهم خصوصيته من شيخهم، وقدم بكل ذلك وهو الذي نشره في أرضنا هذه كما ستقف على ذلك فيما سياتي إن شاء الله. فترى في رسالة الشيخ موسى كَمَرَ مريده أنه يطلب منه إعارة كتاب المنة والكوكب الوقاد لينقلا له وترى فتح الودود في شرح المقصور والممدود يشترى له بعد ذلك وكل ذلك ولله الحمد قائم بأيدينا.

ثم يتصرمد الشيخ سيدي مع الخليفة الشيخ سيدي محمد من وقت وفاة والده الشيخ سيدي المختار وقيل إنه أول من بايعه لما فرغوا من دفن والده بمحضر إخوته وعمومته وقد ذكره في الراتبة المرثية الأولى حيث يقول:

وبارك الله فيمن كـان خلفـــــه من الفروع وحلاها بأثمـــــار
حمدا له حيث ابقـى يوم كملـــه منهم خليفته في كل مضمـــار

وذكره في الجملة في آخر السينية التي قدمت وذكره في الثانية بقـــوله:

وغوث بَجال اودع اللـــه نفســـه علوم رسول الله والخُلقَ مـــورثا

إلى آخر مايخصه به.

وذكره في البائية بقوله:

على كل من دارت عليه رحى الـــورى إتافة من دارت به منهم قطبَـــا

إلى آخرها. وذكره في النونية ومدحه غاية المدح من قوله:

القى بأعباء الخلافة كلها ..إلى آخرها.

وبقي كما كان مع الشيخ سيدي المختار يعلم وينقل الكتب ويسلك الطريق على يد شيخه الثاني الخليفة بعد والده الشيخ سيدي محمد وقد انشد في مدحه قصيدته البائية التي تدل في مواضع منها على أنه سار عن ارضه بعد أن جاوز اول العمر يتشوق وطنه ويذكر لذاته في ارضه وليس في شعره نسيب غير ماذكر فيها وهي هذه:

وقد رأيت نسخة منها مكتوبة في عصر الشيخ سيدي محمد كتب كاتبها قبل أول حرف منها ماصورته: وقال ايضا قضى الله لنا وله حوائج الدنيا والآخرة وجعلنا وإياه من الواصلين الكرام البررة آمين.

تَسْخُو بِدمع على الْخَـــدَّيْنِ منسكب ... وزفرة من حَشَا حَيْزُومِ مُنْتَحِـــبِ

وَبِتُّ إِلْفَ هموم ،الفت كَبِـــــداً ... حَرَّا أَوَالِفَ من شجو ومن كُـــرَبِ

كأن صدرك من حر الأسى جَمعـــت ... فيه الجوانحُ بين الجـــمر واللهَـــبِ

وماء طرفك مصبوبًا ومنحـــــدراً ... من المدامع سيلٌ صُبَّ من صـــــببِ

كأن مقلتـــك الْمَرْهَاءَ مـــــن أرق ... مُقامة من نجوم الليل في حِصَـــــبِ

مفتوحةً أبداً من طول ماسهـــــدت ... كأن حاجبها قد شد بالهُـــــدُبِ

أن شِمْتَ بارقةً من نحو ذي عشـــــر ... حيث التقت بالروابي طُلْيَةُ الْحَـــدَبِ

مرابعٌ كنت في أعـــلى معالمهـــا[1] ... تختال بين حِلال اللهـــو واللعـــبِ

يسقيك شرخُ الشبـــاب في محافلها ... بين اللِّدينَ كؤوسَ الوَجـــد والطربِ

أم قد بقيت بأوهاد الحضيـــض لقًى ... والقوم قد فرعوا لأرفع الرتـــبِ

عَدَتْكَ ذاتُ العَدى عما تعـــود بـــه ... عليك عائدة القُربـــان والقَـــربِ[2]

---

1 مرابعها، في نسخة أخرى

2 - سير الليل لورود الغد

واخلدت بك فيما تشتهيه وفي ... وَهْدٍ من الحظ والراحات ذي خَرَبِ

وراودتك إلى الدنيا لرغبتها ... فيما تعوَّدُ من حرص ومن رُغُبِ[1]

وألفتك لحافا من تصنُّعها ... أسْدَتْهُ من موجبات العُرْي والشَّذَبِ[2]

وأرتعتك[3] بمرعًى من رُعونتها ... من كل مَرْعِيِّ فعلٍ صالحٍ جدبِ

وآلفتك بإلف من عوائدها ... لم يُلفَ غيرَ كثير الغش مختلبِ

وأثقلتك بأوزار مثقلةٍ ... حنا بصلبك منها مُنْقِضُ الصُّلُبِ

واستعملتك سَهْلاً بلاعملٍ ... إلا الذنوب والا الأخذ بالذَّنَبِ

واستخدمتك بلا أجر ولا أجل ... إلا أجور الشجا[4] بآجل الشُّجُبِ[5]

أفٍّ لما أنت فيه من مُطاوعةٍ ... على مُعَقِّبِ سوء الختم والعُقُبِ[6]

أف لما أنت فيه من مشابرةٍ ... على الشبور بمرمى أسهم صُيُبِ[7]

تظل ريح الأماني فيك نافخةً ... كنفخ ريح الهواء في معا الخَرَبِ[8]

فلو نظرت بعين القلب معتبراً ... فيما يساكن من سِرْبٍ ومن سَرَبِ

ومن فواخر أثواب مبخرةٍ ... ومن سوابق جُرد الخيل والنُّجُبِ

وما يصير إليه الكل من عدمٍ ... وما يكدره من سرعة السلبِ

وما يَحُل بمن يرضى به بدلاً ... من مرقب في جنان الخلد مرتقبِ

شاهدتَ كل الذي ترى الشهود له ... في عين مشهده كأغيب الغَيَبِ

---

1 - كثرة الأكل ...

2 - نزع القشور والقطع أيضا.

3 - لغة في الصلب بالضم: الظهر

4 - الحزن

5 - الهلاك

6- العاقبة

7 - جمع صيوب للذي لايخطئ

8 ذكر الحبارى

وبان أن الذي تحجـــوه من سفـــهٍ ... رُشْداً كَأَنْكَبِ ماقد كـان من نكـبِ[1]

وأن ماتخبر النفس اللجـــوج بـــه ... وتدعي الصدق فيه أكـذب الكـذبِ

وبُحتَ بالذنب مرعـــوبًا ومُرْعَوِيًـا ... بالتوب من موجبات العَتْـب والعَتَبِ[2]

وصتَ ما أنت راعيـــه وراقبـــه ... عما يودي إلى التثليـط[3] والعَـرَبِ

وجزت عن مرتع التســـويف مرتعيًا ... من روض تقصيرك الآمـال في رُطَبِ

وهبت وجه إله جـــل عن مثـــلٍ ... يجزي بكسب اليديـن كل مكتسبِ

وخفت أن تنهوى في قعر ها ويـــة ... وقودها بعصـــاة الناس والحصـبِ[4]

إن كنت يا أيها المسكـين معتنيًـا ... بنقذ مهجتك المُـرداة من لهـبِ

فاشدد حيازيم محزوم[5] الحزيم وقـــم ... قيام مجتهد في اللـــه محتسـبِ

وجُلْ مجال رجالٍ رائمـــين جنًـى ... من درة الغوص في أترابهـا الحُـرُبِ

واعطف على خطبة الحسناء منتسبـا ... لخيـر منتسَـب له ومنتسـبِ

إلى المراد المربي الشيـخ سيدنـا ... محمد بفنـون العلـم والأدبِ

ذاك الذي تصل المفصـول نظرتـه ... بطرف منجذب للـه مجتـذبِ

ذاك الذي خُلُق خير الخلـق مكتسب ... في غر أخلاق خيـر[6] منه مكتسـبِ

ذاك الذي لَمَعان الفـرق مقتبـس ... من نور قلب به للحـق منقلـبِ

ذاك الذي فيَضان البحـر مكتسبٌ ... من فيض بحر حواه غيـر مكتسَـبِ

فاضت زواخر من أسـراره حكمـا ... فامتد منها أضا الأسـرار بالسُّحُـبِ

---

1 - عطب

2 - الأمر الكريه

3 - فساد المعدة

4 - الحجارة

5 - وفي نسخة أخرى مخزون

6 - أي خير كثير الخير والصلاح.

وأشْرَقَتْ مِنْ سَنَا انْـــوارِهِ سُـــرُجُ ... لاحت لمحو غيوم الشـــك والـــرِّيَبِ

أقمن مستبصراً منهـــن ذا نظـــرٍ ... على كثيب من العرفـــان من كثَـــبِ[1]

من كان تهذيبه زيفَ النفـــــوس لها ... طُهرا بمنزلة التطهيـــــر للجُنُـــبِ

لم يغتسل بعد قطعـــا من جنابتـــه ... من لم يُطَهِّر به من مانـــع الحُجُـــبِ

وهل تصح صـــــلاة محـــــدثٍ أبداً ... والجسمُ في صحة والمـــاء في القُرَبِ

ومن به يَذْبَحُ الأطيـــــارَ أربَعَهـــــا ... ذو شفرة من قويٍّ الصـــــدق والطلبِ

وبعد تشتيت أجـــــزاء وتفرقـــــةٍ ... تاتيه سعياً إليه سعـــي منتـــدبِ

ومن إذا كان منه المرء في عـــــــبٍ[2] ... أضحى لدى ربـــه في ذلك الحســـبِ

قُربُ البعيد وإبعاد القـــــريب معًـــا ... منه بنورين ذي دفـــع وذي جلـــبِ

يدني القريب على بعد ويبـــــعد من ... له البعاد وإن من جيـــرة الجُنُـــبِ

سُقْيَا ذوي كَفَلٍ[3] من سَهْبَـــــةٍ[4] يبستْ ... وحَسْبُ ذي حظه سقيـــاه من قَـــرَبِ[5]

فكم أخي علة من صرفـــــه مَنَحَـــتْ ... حوى بتصريفه ضَـــرفا بلا سببِ

وكم على سَرْجِ مَلْبُونِ الجيـــــاد به ... علا عُيَيْرٌ بلارحـــلٍ ولاقَتَـــــبِ

وكم ذوي مِهنة في عيشهـــــم عَـــذَبٌ[6] ... به قد استبدلوا صفْـــواً من العـــذبِ

وكم قد احتملت قســـوى مراتبـــــه ... عن معشر رَتَّبُوهُ راتِـــــبٌ[7] الرُّتَـــبِ[8]

1- قرب

2 - قذر

3 - دفعه

4 - البير الطويلة جدا

5 - البير القريبة القصد جدا

6 - بالتحريك الطحلب والقذا والمراد هنا ما يكدر العيش في الظلم والاهانة وغير ذلك وأما الغذب كفرح فالماء الذي فيه العذب.

7 - ثابت

8 - الشدة

وكم جَنَتْ من مُنًى يمـــين معتصـمٍ ... منه ومن رأيه الميمـــون بالعَـذَبِ[9]

وكم يد مدها ذو عيلـــة ظفـــرت ... من مده بكنوز الـــدُّرِّ والذهـــبِ

عبد تحقـــق مرآه فليـــس لـــه ... إلا لمن رآه[10] من خـوف ولارغـــبِ

عبد تولاه مـــــولاه فكـــان لـــه ... من همه كافيا بالـــدفع والْجَلَـــبِ

أدنى له من نثا عنـــــه بجانبـــه ... من عصره نصرُهُ بالاعصـــرالشُّهُـــبِ

كم أنشبت غيرةُ المـــولى مخالبَهـا ... له بأقراب عات بـــادنِ القُـــرُبِ[11]

وكم عشير وشعب فيـــــه قد رسبـا ... عَدْواً فلم يطفوا من عضبهـا الرُّسَبِ[12]

ما حاولته حراب مـــــن مُحاربـــه ... إلا وحُكِّم فيهـا حاكـم الحَـــرَبِ[13]

ولا استجنـــت بِتَامُـــورٍ[14] له إحن[15] ... إلا استجـــــن به داه من الخـــرَبِ

تبارك الله ماعنَّـــــت مغالبـــةٌ ... تَعْنِيه الا ارتقـــى منها إلى غَلَـــبِ

ولاتعالت عن الأعْلَـــينَ مَعْلُـــوةٌ ... إلا علا قِحفها[16] بأسفـــل العقـــبِ[17]

أوفى[18] من المجـــد في شُمٍّ مؤثلـــةٍ ... طالت معارجهـــا عن كل مرتقـبِ

وغيبت كلَّ بـــــدر لاح طلعتُـــــهُ ... كالشُّهب إن بدت الجـونا[19] لها تغـبِ

---

9 - بالاطراف جمع عذبة: الطرف

10 - وفي نسخة أخرى: راءَ

11 - الخاصرة

12 - السيف يرسب في الضريبة

13 - السلب

14 - قلب

15 - جمع إحنة وهي الحقد

16 - اعلى الرأس

17 - مؤخر القدم

18 - أي اشرف وعلا

19 - الجونا ء من اسماء الشمس

لما تبينت الأعصار أن له ... فضلا على سائرالاقطاب والنُّجُبِ

وأن دائرة الأكوان قاطبةً ... تدور أرحاؤها منه على قُطُبِ

أعده العُصْرُ الخالي وأخره ... لهول هذا الزمان الهائل الحُزُبِ[20]

لعلمه أن من لم يُكْسَ لامتهُ ... لايستطيعُ دفاعَ الهرْجِ والشَّغَبِ[21]

وأن من لم يكن في جلمه عظمتْ ... عليه مستجلباتُ الطيش والغضب

فردٌ به سلمت للجمع بُنيتُه ... إذ خيف تكسيرها من كاسر النُّوَبِ[22]

للحق أثبت مساقد كان منتفيًا ... من حقه بأداة النفي والسَّلَبِ

ذو عزمة يَنْفَي[23] لها إذا انتُضيت ... ماكان من مبهمات الخطب لم يُجَبِ[24]

وهمة لو تصددت للنوائب لم ... تَحْلُلْ بناحية الدنيا ولم تنُبِ[25]

فاهزمْ بها أزمات الدهر واغْنَ بها ... عن كل ذي زمة من جحفل لَجِبِ

مادمت في حرزها لم تخش باقعة[26] ... ولو هجمتَ على جند من العطَبِ

وقل متى رُمتَ للجُلَّى إغاثتها ... وأنت في غمة التفريق والغُرُبِ

وفي وهاد حضيض النفس محتبسًا ... حيرانَ لم تبلغ السفلى من العَقَبِ

ياغرةً في مُحَيَّا المجد ياشَمَمًا ... في مَعْطِسِ العزّ بل يانَضْرَةَ الحسبِ

يابدرُ يابحرُ ياغوثَ الوجود ويا ... مولى تسراث النبي الخاتم العربي

صلى عليه إله العرش ما انشرحتْ ... نفسُ المريد بما يرتادُ من أرَبِ

---

20 - جمع حزب وهو الخطب الشديد

21 - تهييج الشر، شغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح: هيج الشر عليهم فهو شغب ومشغب.

22 - الشدة

23 - ينشق

24 - جابه ويجوبه خرقه وقطعه.

25 - تعض بنابه

26 - داهية.

وآله الغر والصحب الكـــرام ومـــن ... سعى إلى الـدين من داعٍ ومنتـــدبِ

وعنك يرضى رضى لاسُخْـــطَ يَعْقِبَه ... ولاعقـــوق يعوقه عن العَقِـــــبِ[27]

أغث ندائي وتغويثي على عجـــــلٍ ... وانظر إليّ بعـين عاطـــفٍ حدبِ

وواسني باعتناء منك ينقـــــذني ... بالجذب من هذه الوُهـــدان والجُـوَبِ

قد التقت حلقتـــا هـــذا البطان وقـــد ... ضاق الخناق بما أشكو[28] مـن الكُـرَبِ

إني مريضك ياطِبَّ القلـــوب فـــلا ... تترك مريضك يشكو شدة الوصـــبِ

إني ضَيْفُك يا مأوى الضيـــوف فـلا ... تترك ضيفك في جهد من السَّغَـــبِ

إني مريدك ياشيخ الشيـــــوخ فـــلا ... تترك مريدك في دُجْنٍ من الْحُجُـــبِ

نحن الشِّعاب وأنت البحـــــر ملتطماً ... والبحر إن يلتطم يطمم على الشُّعَـــبِ

نحن الجدوب وأنت الغيـــــث منسكبا ... فانزل بغيثك في أجرازنا الْجُـــدُبِ

واحمل بسيلـــك أقذاراً تُقَـــــذِّرُنا ... وانفح بطِيبك ماقد كان لم يَطِـــبِ

واكس العواري من زهر الحيـــــا حللاً ... وسَوِّ فيه ذوات اللين والعَلَـــــبِ[29]

لازلت بين الـــــورى يما[30] تيمـــه[31] ... كل الائمة من بعد ومن قُـــــــرُبِ

ودمت ذا عزة لاتنقضـــــي أبـــداً ... في أمن دار عوافٍ رحبة[32] الرَّحَـــبِ[33]

27- الذريعة.

28 - في نسخة أخرى: ألقى

29 - العلابة

30- بحر تقصده.

31 - تقصده

32 - واسعة

33- ماحواه البناء.

ولا عدتك من المـــــولى وقايتـــــه ... من شر كل مَريد[34] داجل[35] حـــــرِبِ[36]

ولاعدتك من المـــــولى حياطتـــــه ... حماك من دهَمات الروع والرهـــــبِ

ولاعدتك من المولى إعـــــانتـــــه ... على علاج علوج العجم والعـــــربِ

بجاه قطب الورى طرًا وسيـــــدهمْ ... ومن بِبراثه وُسِمْـــــتَ بالقُطُـــــبِ

صلى عليه صلاة لانفـــــاد لهـــــا ... من حاط ملته بالسُّمـــــر والقُضُـــــبِ

في آله وجميع الصحـــــب ماسجعت ... عين بدمعٍ على الخديـــــن منسكـــــبِ.

ووجدت على هذه النسخة المذكورة التي نقلت عنها هذه تفسيرا لبعض الكلمات ونسخا لبعضها وكلاهما من عمل قائلها.

ويقول في شيخه الشيخ سيدي محمد أيضا:

منادي[37] جموع زانها الفـــرد مفلـــح ... وقارع أبواب الجحـــاجيح ينجـــحُ

ومن سلم المكنوز من رأس مـــــالهِ ... إلى مشتر الاكنـــــاز يرضى ويربح[38]

ويحمد عند الصبـــــح غِبٌّ مسيـــره ... ويصبح منه في الهنـــــا متبطـــحُ

لذلك أسلمت القيـــــاد لماهـــــر ... يطبب أدواء القلـــوب ويصلـــحُ

ويغني بقرب الحق عن قـــــرب معشر ... لذكراهمُ نفـــسُ الْمُبَعَّـــدِ تجمـــحُ

له همة ينو بهـــــا كل نـــازحٍ ... وينثاب ها داني الخطـــوب وينـــزحُ

رشيد لمستهديه هـــــاد وهـــــاديٌ ... عرائسَ علم طيبهـــــن مُقَـــــوَّحُ

---

34 - حائد عن الطريق

35 - كذاب

36 - محارب

37 - مجالس

38 - إشارة إلى قوله تعلى: [إن الله اشترى من المؤمنين] الآية.

كريم على العـــلات أسمحُ واهـــب ... وأبهج مفضـــال وأوفى وأنصـــحُ
يجود كجَوْد المـــزن والمزن ممسـكٌ ... ويبدي بروق البِشـــر والدهر يكلحُ
وما من فتى في الخـــلق يفري فريَهُ ... ويمتح في العليا كما كـــان يمتـــحُ
إذا كان في المجمـــوع فالجمع منتـهٍ ... وإن يك فردا فهو بالجمـــع يرجـحُ
فما هو إلا البدر في حـــالكِ الدُّجـا ... به كل ماجنَّ الدُّجـــا متوضـــحُ
وما هو إلا روضة الفـــوز بالمنـى ... إليها هدى زهرُ النجـــاح المفتـــحُ
وما هـــو إلا سيـــد ومحمـــدٌ ... وقطب الرحا والحـــالُ أبدى وأوضحُ
فكل معان[39] فيه يصبـــح ممسيـــا ... فغوث البرايا فيه يمســـي ويصبحُ
وكل كمال حيز عن سيـــد الـورى ... فجامعه عن درعه ليـــس يبـــرحُ
يحار الحجا فيه كما حـــار أهلـــه ... لدى بابه مالم يُسَـــرَّحْ فيســـرحُ
شكوت إليه النفس منيَ والهـــوى ... وهجران ما أزهـــو به وأفـــوحُ
أجاذب من جهلي أعِنَّـــةَ عائجـــي ... إلى مايُصفِّي كَـــدرتي وينقـــحُ
وشوقي إلى الأوطـــان شوقٌ مشوش ... ووَجدى على الاحبـــاب وجدٌ مبرحُ
عسى رحمة الرحمان ترثـــي[40] لحالتي ... فتذهب زنْدًا بالجـــوانح يقـــدحُ
وتاتي من الغوث المغيث بهمـــــة ... توسع أبواب النجـــاح وتفتـــحُ
وصلى على خير الأنام محمـــــدٍ ... وآل وصحب ماتنعـــم مفلـــحُ.

ويرى القارئ في القصيدة الأولى البائية شوقا للوطن ولكنه لم يصرح به كما صرح في هذه القصيدة الحائية. ويستمر به هذا التشوق للأوطان ومنازعة نفسه للرجوع إلى أهله حتى أخذ ينشئ رسالته المعروفة التي وجهها إلى شيخه الشيخ سيديَ محمد يطلب منه فيها الأذن للرجوع إلى بلاده. وقد جاء في هذه الرسالة من جملة ما فيها مالفظ المراد منه بعد الديباجة: "مع التنبيه على حلول أجل الوفاء بالعهد وحضور أمد انجاز ما وعد به وارث سيد الكرماء من الوعد وذلك إنه لما أراد تشييع

---

39 - منزل

40 - رثى له: رحمه ورق له.

رقيقه في الاشهر الماضية إلى الآبال طلبا لمداواة مابه من الاعتلال عرّض له عبيده حينئذ ولم يصرح كل التصريح بأن الاحب عنده ولاعندية له معه إذا لم يكن بد من الخروج للتداوي أن يكون ذلك إذن في وصال الأهل والاتصال بجمع شتات الشمل المخبر به غير ما مرة والمبشر به كرة بعد كرة فصدر من السيد الكريم والوالد الرءوف الرحيم حينئذ الوعد الصريح باللسان الفصيح أن سيكون ماهجس لعبيده عند رجوعه من الآبال وتمام قصده".

وفيها أن الشيخ سيدي محمد ينتظر بالإذن لمرسلها وصول مخبر من بلاد القبلة ويتساءل هل يرد في شهر أو نحوه ويذكر الشيخ سيديّ في الرسالة المذكورة ورود الابن المبارك البركة حماد احد الوراد ومجيئه بحقيقة الخبر وما اشتمل عليه من خزف ودرر ووره فيها أيضا مالفظه: "على أن قلة الهدية وكثرتها في حق العظماء هما على حد السواء إذ لايبلغ أداني حقهم ولايوصل بشئ من الدنيا إلى ذرةٍ من مستحقهم لانتصابهم في طريق الدين أعلاما للمسترشدين فلذلك انشأ العبيد فانشد من عنده وماتردد:

لوكانت الـــدنيا بملك يميني ... فأهديتها طرا لنبعة ديني

وحجة ربي جـــل عند لقائه ... إذا للجزا يوتى بكمل مدين

لكنت كمن لم يهد مثقـــال ذرة ... فإن ثمين الدين أغلى ثمين".

وفيها ايضا بعد كلام يتعلق بهدية التلاميذ للمشائخ:

هذاؤه ابن عطاء وهو من هـــو في ... أحواله ومقام طال مرقـــاهُ

قد نال من شيخه المُرْسِيّ جـــائزةً ... جازت به لكتاب كان أهـــداهُ

ومنها:

بدا منك في التصريف محي مميتُ ... معز مذل قابض ومقيتُ

بك الله يحيي من يشاء حياته ... كما بك إن شاء الممات يميتُ

ومنك به للعز والفقر والغنى ... مَقيل لدى من شئته ومَبيتُ

بل انت به الفعال ماشئت شاءُ ... وما لا فما في منتفيه ثبوتُ

فإذ كنت من رفع المكانة هكذا ... فصل صارخا ما في نداه صُموتُ

فَغَرْ وأغث واجبر تكاسير حالـــــه ... ولايشن عنه من حفاظـــك ليـــتُ
ودارك مُفات الجبر منه فليـــــس ما ... تداركتَ من امر يُفيـــت مُفيـــتُ
حمى الله عزا كنت حامي ذمـــــاره ... وصَعَّد قدرا سَمْكُـــه لك صيـــتُ.

وفيها أيضا:

"وفيك انشد الحال والقال بإملاء البال المتبال

أحائزاً خطة الابـــــرام والنقـــض ... وكافلاً بأيامي النقل والفـــــرضِ
ومقرضَ الله لا انفكـــت مضاعفـــةً ... قروضُك الغر منه احســـنَ القـرضِ
ومن بمعناه مبنى الكـــــون مرتبـطٌ ... فكان والكون مِثْلَ الْجِـــرم والعَرْضِ
أوكالحياة فنفس الدهر عائشـــــــةٌ ... به فلو رامها من فورها تَقْـــــضِ
قضَّيتَ حاج ذوي الحاجات كلهـــــمُ ... فما لحاجة ذا المسكين لم تقـــــضِ
أرضيتَ كل طفيل جاء معتفيًـــــا ... فما لهذا الطفيل النضو لـــم ترضِ
أمضيت كل مريد طارف حظيـــــا ... فما لهذا المريد التِّلد لم تمـــــضِ
لعلهـــا أثرة بالطـول منك لـــــه ... لا زلت مستاثراً بالطُّول والعَـــرضِ".

ومنها:

حَكَمَ انتسابي لِلْجَنـــابِ عليكـــمُ ... لكان حملكـــم لوا الـــــذُّؤلابِ
أني وإن قصُرت خطـــاي من الـولا ... ية والعناية في المقـــــام الرابِ
ويرجح عبد ناط عـــــروة عَقـــده ... من حبلكم بمعاقد الأسبـــــابِ
ويفوز مُطَّلِبِهِ نجْـــــحَ بُغَاتُـــــمُ ... بمرادهم من بغية الطـــــــلابِ.

وأورد فيها اشياء من ذكر القبيلة عموما وخصوصا يفهم هن بعضها شيء كان إلى وقت كتابته لها سائدا تناقله من غير تمحيص ولا نظر ولاتمييز ولامعرفة لسببه أدى إليه التباسٌ في المسميات وعدم تدوين التواريخ في ذلك الوقت وشيء آخر لا استحسن كتابته مع شيوع اكثره في الناس من قديم الدهر -إقرأ قصة يوسف عليه السلام وإخوته عليهم الصلاة والسلام. وعلم البشر محدود وقد يخفى

الواضح. وقد وجدت وثيقة غريب وجودها عند رأس مريم بنت أربيبه بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن اعدجْ بن امْرَابَطْ مَكَّةَ بن ابْيَيْرِ بخط احمد بن اعْدَجْ المذكور بحضرة أَبَابَكْ بن انْتَشَابِتْ واحمد بن الفالّ والصالح بن موسى بن ابيير مؤرخة في عام واحد وثلاثين ومائة والف فيها مايخالف صراحة ما يفهم من الرسالة المذكورة وسياتي مزيد لبيان أمر هذه الوثيقة فيما بعد إن شاء الله.

وفي الرسالة المذكورة بعد الكلام المشار إليه هذان البيتان وهما:

أقسمت بالبَر الذي أولاكنـــــــا أفبعده من أَلِيَّةٍ للمقســـــــــــــمِ

ما انتَ إلاّ رحْمَـــةٌ من رحمـــــــة نزلت علينا من كريم أرحـــــــــــمِ.

وفيها ايضا هذان البيتان قبل الابيات الضادية وهما:

إني امرؤ حقرت منك الهبات بـــــه ولايرى أجلا في غيـــــب غائبهَـــا

فهب على قدرك الســـامي هبا تك لي إن الهبات على مقدار واهبهَـــــا

هذا ما فيها من الشعر وهي رسالة جزيلة موجودة عندنا ولله الحمد في ثلاث ورقات ونصف تقريبا من الورق المتوسط. ويظهر من تاريخ جوابها انها كتبت بعد عيد الأضحى من عام 1226 أي بعد ثمانية اشهر من وفاة الشيخ سيدي المختار التي تقدم تاريخها ويتم الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار جوابها عشية الجمعة ثاني عشر ربيع الثاني عام 1227 بكتاب سماه "**جُنَّةُ الْمُرِيدْ دُونَ الْمَرِيدْ**" في غاية النفاسة، مما جاء فيه: إلى المريد الصادق المؤيد الذائق أبي الانوار والأسرار المهذب الحقائق من الأوضار والنسائس والاكدار سيدي بن المختار -إلى أن قال- أيها الأخ الصالح والمريد الناصح -واذكر رحمك الله هاهنا قوله سبحانه ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن العز الذي اعز الله به المومن رفع همته إلى مولاه وثقته به دون ماسواه واستحي من الله أن تكون بعد أن كساك حلة الإيمان وزينك بزينة العرفان تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل إلى الاكوان وتخلد إلى ذكر العشائر والاوطان- ولتذكر قوله تبرك وتعلى {**يأيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود**} ومن العقود التي عاقدته عليها الاكتفاء به والانقطاع إليه ورفع الهمة عن الخلق توكلا عليه وذلك هو ميزان المريد الصادق {**وأقيموا الوزن بالقسط**} فيظهر الصادق بصدقه- وعلى الجملة فلتعلموا إخواننا أن المقصود الأوّليّ الداعي- إلى تأليف هذا المجموع ماشرحنا صدره مما يرد من جهة أهالي بعض من

جذبته عناية السابقة فاشتم من نوافح روائح تخصيص خصوص اللاجقة من تشويشات شيطانية وتسويلات نفسانية ربما زخرفها بعض من انتسب لطائفة القراء وأنكر أو كاد طريقة الأولياء الاصفياء ولعمري لقد انكروا شمس الظهيرة ورغبوا عن التأدب بآداب النبوءة وجمائل السيرة - إلى أن قال في آخره مالفظه: وكنت رأيت أثناء جمع هذا المجموع فيما بين اليقظة والهجوع كأن شخصا من الأولياء الاصفياء وقف على وقال ناولني ذلك اللوح للوح كنت اجمع فيه وأصنف فناولته إياه فأخذ يقرأ وأنا اسمع فلما قرأ اللوح جعل يثني على التأليف ويتعجب من حسن وضعه فقال أسميته قلت لا وإنما هو جواب لتلميذنا الصادق سيديّ فقال سمه لي أو أسميه لك قلت سمه قال سميته بجُنَّة الْمُرِيدِ دُونَ الْمَرِيدْ والله المامول في القبول إلى أن قال: ووافق الفراغ من تصنيفه عشية يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الثاني عام سبعة[1] وعشرين بعد المائتين والألف عرفنا الله خيره ووقانا ضيره آمين آمين.

ويكتب الشيخ سيدي بعد لفظة آمين المكررة مالفظه: انتهى جمعه في هذه الصحف بأيام الفراغ من تصنيفه وهي أول نسخة اشتملت على رسمه وتعريفه وتحلي عاطلها بتقريظ در لفظ مؤلفه وتشنيفه على ايدي كتاب شتى وإخوان صدق في التربية بتا أكثرها يد الكاتب المستكتب لنفسه ثم لمن شاء الله بعده من ابناء جنسه وهو الحامل المتسبب في اختراعه وجمعه في طرسه سيدي بن المختار بن الهيب كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا بجاه النبي الشفيع إنه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد كتب هذه النسخة في إحدى وتسعين ورقة من الكتابة المتقاربة بحيث لوكتبت في هذا العصر لكانت شيئا كثيرا.

وللشيخ سيدي محمد يقول الشيخ سيديّ المترجم هذه القصيدة الفائقة والمنظومة الرائقة ومطلعها :

بديعُ الشيخ جُنَّةُ من يريدُ ... فَريدٌ والبديعُ له فريدُ

بَراهينُ البراعةِ والمزايَا ... على ما أدَّعي لهُمَا شُهودُ

فريدَيْنِ احتمَى بهما نُفُوسًا ... وأدْيَانًا منَ العَطَبِ الْوُجُودُ

وجِيزاً ما تصوَّفَ من وَجِيزٍ ... أفَادَ من النفائسِ مايُفِيدُ

---

1 - سبعة بتقديم السين على الباء الموحدة.

أَبَاحَ حِمَى غَوَامِضَ مُعْضِلَاتٍ ... تُحَرِّمُ أَنْ يَحُلَّ بِهَا شُهُودُ

فَزَحْزَحَ عَنْ وُجُوهِ مُخَدَّرَاتٍ ... مُرَاوِدَ كَشْفِ بُرْقُعِهَا وَحِيدُ

وَعَوَّدَهَا السُّهُولَةَ فَاسْتَوَى فِي ... فُكَاهَتِهَا الْمُذَرَّبُ وَالْبَلِيدُ

إِجَادَةُ كُلِّهِ لَفْظًا وَمَعْنًى ... وَنَفْعًا مَا يُطَاوِلُهَا مُجِيدُ

فَجَوْهَرُ لَفْظِهِ زِفْرٌ صَفِيرٌ ... وَعَيْنُ مَعِينِهِ زِفْرٌ مَدِيدُ

وَكُلُّ فُؤَادِ ذِي لُبٍّ صَحِيحٍ ... لِأَسْهُمِ وَعْظِ وَاضِعِهِ مَصِيدُ

بِهِ جَذَبَ الْغِنَانَ جَوَادُ فَهْمٍ ... زِجَاهُ الْفَيْضُ وَالنَّظَرُ السَّدِيدُ

وَفِيهِ أُسِرَّ حَسْوٌ فِي ارْتِغَاءٍ ... لِيُقْنَعَ مَنْ يُرِيدُ[1] وَيَسْتَفِيدُ

وَيُزْهِقُ حُجَّةَ الْغَاوِي وَدَعْوَى ... مُضِلٍّ مَا نَحَا الْخَلَفُ الرَّشِيدُ

لَهِيمٌ بِحَوْتِهِ عِقْدٌ تَحَلَّى ... بِهِ مِنْ عَاطِلِ الطُّرُقَاتِ جِيدُ

وَفِي تَجْمِيلِهِ مَنٌّ عَلَى بَهَاءٍ ... بِخَاتِمَةٍ سَعَادَةُ مَنْ يُرِيدُ

فَإِنْ مَنْ أَعْنَتَ السَّعْدَاءَ قَطْعًا ... بِإِشْمَامِ الْخُصُوصِ لَهُ سَعِيدُ

وَبَدْرًا عَمَّ طَالِعُهُ الْبَرَايَا ... وَلَاحَ لَهُمْ بِطَلْعَتِهِ السُّعُودُ

فَمَنْ نَظَرُوا إِلَيْهِ بِعَيْنِ عِزٍّ ... وَلَمْ تُطْمِسْ عُقُولَهُمُ الْحُقُودُ

وَيَاحَسْوا بِالَّذِي هُوَ مُسْتَحِقٌّ ... وَلَمْ يَصْمِ اعْتِقَادَهُمُ الْجُحُودُ

وَأَدَّوْا مَا يَحِقُّ لَهُ عَلَيْهِمْ ... فَجَدُّهُمُ الْكَرَامَةُ وَالْمَزِيدُ

وَإِنْ صَعِدُوا بِهِ فِي طَوْدِ عِزٍّ ... تَخِرُّ لَهُ الشَّوَامِخُ وَالرُّبُودُ

لَهُمْ خَيْرُ الزَّمَانِ بِهِ مُقَادٌ ... وَعَنْهُمْ شَرُّ حَادِثِهِ مَذُودُ

وَمَنْ عَكَسُوا الْقَضَايَا فِي انْعِكَاسٍ ... فَرِبْحُهُمُ الْخَسَارَةُ وَالْكُسُودُ

بِهِمْ عَبِثَتْ يَدُ الْحِدْثَانِ قَهْرًا ... وَأَمْسَوْا فِي الْوَرَى وَهُمُ قُرُودُ

كَذَاكَ الْبُطْلُ يَخْمُدُ عَنْ قَرِيبٍ ... وَنُورُ الْحَقِّ لَيْسَ لَهُ خُمُودُ

هَلِ الرُّعْدِيدُ مِنْ خَفَقَانِ قَلْبٍ ... يُقِرُّ إِذَا تَقَاصَفَتِ الرُّعُودُ

---

[1]- وفي نسخة أخرى من يفيد

وهل تعدوا الذيـــــابُ على حريم ... حمته البيـض والبُهَـــــمُ الأسـودُ

يعلمهـــم جِـلادَ الحـــــق فـــردٌ ... كتـــابُ الله ساعـــدهُ الشـــديدُ

وناصـــرهُ العنَـــــايةُ والتـــولّي ... وَسيْفُ النصرِ مخْذَمـــهُ الحَصُـــودُ

همـــامٌ همهُ الهمـــــمُ العـــوالي ... وتحتَ مداس اخمَصـــه السعُـــودُ

بمَشهدِ شخْصـــــــهِ زُمَرُ النّـــوادي ... يكُـــونُ لكُلّ فائـــدَةٍ شهُـــودُ

حِمَـــاهُ لكُلّ ذِي فـــــزَعٍ إضـاضٌ ... إذَا صـــدمـــتْ بكلْكَلِهَـــا النّـــؤُودُ

يَحُـوطُ الملـك والملكـــوت عينًا ... وأجنـادُ الجميـــــعِ لهُ جنُـــودُ

وليْسَ يرَى التعزُّزَ من ســـوَى مَنْ ... يُعِـزُّ ولايُنَهْنِهُـــــهُ الوعيـــدُ

لهُ من هنـد همتـــــــهِ حُســامٌ ... وآخـر طـوعَ مِقْـــــولِه حديـدُ

فمـــن لم ينهـــــــه هذا فهـــذا ... سيرهقـه صَعُـــودَ وما صَعُـــودُ

إمـــامٌ أمّ يَـــــمٌ يمينـــه مِـنْ ... أئمـةِ كـــل ناحيـــــــة ورودُ

وإن فقـــــــدوه لافقدوه بعـــداً ... فقد فقـــدتْ يتيمتـــهَا العُقُـــودُ

له شـــــرفٌ من الأصلين تَلْـدٌ ... وآخـر منه مكتســـــبٌ جـديدُ

كِـلاَ شرفيْه خوّلـــــــه شموخـا ... يَدَ الـدهر المؤبـــــد لايبيـدُ

مجـــدٌ مَاعَفَتْـــــهُ من المَمَـاتي ... يدُ البِـدعِ الحـــــوادثُ والمعيـدُ

فأصبحـــت الديـــــانة غبّ محوٍ ... ومَعْلَمُهـــــا به أطُـمٌ مشيـدُ

لئـن يكن الوحيـــــــدَ لواحدٌ مّا ... تقـاومـهُ الجَحَـــافِلُ والحشودُ

وإن يقـد الأنـامَ إلى هـــــداهُمْ ... فـوارث من يَـــدُلُّ ومن يقـــودُ

وإن يسُـد الجَحَـاجِـــحَ في إباءٍ ... فنسخة من يســـوس ومن يسـودُ

وإن تفـدْ الـوُفُـــــودُ إليه دَفْعًـا ... فحـائز شـــــرط أن تفد الوفـودُ

وإن يكُ للعـدا أســـــداً حـريداً ... فمـن هُوَ شبْلُـــــهُ أسدٌ حـريدُ

وإن يك للضعـــــاف أبًا عطُوفـا ... فَشِنْشِنَـةٌ تَوَارَثَهَـــا الجـدودُ

جوادٌ جـاد بالْمُهَـــــجِ العَوالِي ... وجـودٌ المزن ضـــــن بما يجُـودُ

لو اقتسمت سماحَتَـــــه البرايا ... لعز لبُخلِهَـــــا أبداً وُجـــودُ

ولو حسل السجـــــود لو جه خلقٍ ... لحَـــــق له على البشر السجـــودُ

وما منـــع الإلـــه لـــــه تعـــدى ... وجـاوز أن تحيـــــطَ به الحـــدُودُ

ومـــن بركاتـــه أن لم تكلَّـــــفْ ... بأن تحصـــــي مناقبـه العبيـــدُ

فلو هَزَّ الفتى الهَصْـــــزِيُّ عَضْبَـــي ... فَصَاحَتَـــه ومـــــاعده القصيـــدُ

وثـار الهُنَّـــــدِيُّ إليـــه يَفْـرِي ... بما يفـري وأيـــــــده لبيـــدُ

وحاول جمعَهُـــــم باليمث نشراً ... لما يطـويه ذا الصَّـــــدَفُ الصميدُ

لأعجـزَ نشـــــرَهم مـن كـل فـن ... من الفَنَـعِ الطـــــرائف والتليـــدُ

وسفَّـــهَ حلمهُـــــم هرمُ المعَـــالي ... والامـرد والمكهـــــل والوليـــدُ

فـإن كمـــالهُ متـــــروكُ مـــن لا ... يُحِيـــطُ بُكْنْهِـــــه الا المجيـــدُ

عليـــه من الســـــلام إلى سـلام ... صـــلاة لايفـــارقهَـــــا الخلُـــودُ

وآل ثـم صحـــــب ما تسوقى ... شبـا العـادي بجُنَّتـه مُـــــريدُ

وما اجتمـع الوفود ببـــــاب غـوثٍ ... فتـمَّ به لكلهـم القُصُـــــــودُ.

ويظهر من اشعار الشيخ سيدي المترجم أنه بعد ما اجيب بهذا الكتاب المذكور لم يبد شيئا مما كان يبدي في شعره السابق من التشوق إلى وطنه وطلب الإذن في الرجوع إليه بل سلم الأمر كله في ذلك لربه ولإرادة شيخه واسترسل في متابعة سلوكه وتعليمه انواع العلوم لابناء مشائخه ولجميع التلاميذ، وفي نقل كل ما يصدر عن شيخه من كتاب ورسالة وشعر ولو قل الجميع.

وقد قال تلاميذ الشيخ سيدي محمد لما راوا جوابه للشيخ سيدي المذكور إنهم لم يبق لهم طمع في المسير إلى أهاليهم إعظاما منهم لصاحب الترجمة فقد عرفوه كلهم واقروا بتقدمه عليهم وجعلوه الواسطة بينهم مع شيخهم الشيخ سيدي محمد كما جعله ابناء شيخه واسطة بينهم مع والدهم.

وفي إشارة الشيخ سيدي محمد على الشيخ سيديّ بالبقاء في حضرته والاستسلام لما يامره به كشف عظيم ولاغرابة فيه لما ظهر من اهمية حضور صاحب الترجمة لما توفى شيخه وماقام به من استخلاف

خليفته بعده واقناع الحاضرين بأنه لامحيد عن قبولهم لما عرض عليهم كما سياتي تفصيل عن كل ماذكر إن شاء الله تعلى.

ومن الدليل الاستقرائي على ما تقدم من كون رسالة الشيخ سيدي المتقدم ذكرها واقعة في التاريخ المذكور ماكتب الشيخ سيدي نفسه بيده الكريمة ولفظه: الحمد لله العلي العظيم والصلاة والسلام على النبي الكريم لما أن عاقت زحمة العفاة عن زورة وارث الرحمة المهداة بيوم نزول الرحمات تدارك العبيد منها مافات بما صورته صورة الابيات تعرضا لما يرد وقتها من النفحات فقال:

يا أيها البدر والبحر الـــــذي دارا ... به الظّماء عبيـــــداناً وأحـــــرارا

وكلهم يرتجي من نـــــور طلعتــــه ... وعذب صافيـــــه تنويرا وإفطـــارا

نوِّر وأفطِر فيوم الفطـــــــر ذا زمـــراً ... جابُوا إليك أقاليمًـــــا وأقطـــارا

واقذف على العُدْوَة الـــــدنيا بمنهمر ... يفيد مَن ضمَّه الإيســـراد إصـــدارا

واطمُمْ بتيَّارك الطَّامـــــي على نفـرٍ ... مدوا إلى النفح من تلقـــاك ابصارا

فمنـك زرنا وَيَمِّمنا أخـــــا كـــرمٍ ... يعتـــاد من زاره إنجـــاحَ من زارا

فاكشف بنورك من ديْجُـــــورِ أنفسنا ... واحش البواطن أنـــــواراً وأســرارا

فلا عدمنـــا بكمُ في دهـــــرنَا أبداً ... غوثا بَجَالاً جليل القـــدر مختـــارا.

فترآه نص في هذه الابيات انها قيلت يوم عيد الفطر بقوله "فيوم الفطر ذا" ودليل آخر وهو ماكتب بعض مريدي الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار ولفظه: لبسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال المريد الصادق المؤيد الفائق سيدي بن المختار الانتشائي مادحا لشيخنا سيدي محمد بن شيخنا سيدي المختار رضي الله عنهما وأرضاهما وجعلنا من خيار من زارهما ورافقهما إنه على ذلك قدير وبالاجابة جدير:

يومُ الأضـــــاحِي ويومُ الزِّي والزَّيـن ... يومٌ سيادته قَعْسَـــــاءُ في الزمـــنِ

يوم به نفحَـــــاتُ الحق نافحـــــةٌ ... من جدِّ وَافدهُ لَمَـــــوْفِدِ المـــــنِ

ومن تطفـــــل في ذل ومسكنـــــةٍ ... على موائدِ مبسُـــــوطِ اليدينِ غَنِـي

فقامَ بينَ يديْهِ خـــــانعًا خجِـــــلاً ... عند الرتاجِ قيـــــامَ البائسِ الحـزنِ

أوطافَ مبتهلاً طـــوافَ محتـــرمٍ ... بكعبة السر أو بكعبـــة العلـــنِ

لذا اعتفيت بأبيات قرعـــتُ بهـا ... بَابًا على ثقة عافيـــه بالدُّبُـــنِ[1]

أثني بهنّ على ثاني العنـــان على ... شُهبِ السِّنـــينَ ذواتِ النَّقْعِ والدخَنِ[2]

صاحي صباحةِ وضاحِ الجَبـــينِ إذا ... دَجْنُ الخُطُـــوبِ علاَ وضّاحَةَ الوجَـنِ

بَادِي الكرامةِ لَمْ تكْتُمْ شواهِـــدُهُ ... ما كانَ منهُ لأعمَـــى القَلْبِ لمْ يَبِـنِ

كَاسِي ضَوافِي العوافِي من به علقُـوا ... في ازمُنٍ جُلِّلـــتْ جـلابِبَ الفتَـــنِ

حاميهمُ والحِـــمَى الاَّ المصُونَ بِـــهِ ... عن حد أعترةِ العـــادين لمْ يُصَـــنِ

هَاديهمُ والهُدَى هَـــدَّتْ معَالِمَـــهُ ... هوادِمُ البدَعِ المُغْـــرَاةُ بالسُّنَـــنِ

جَادِيهِمُ والجدَا وما تجُـــودُ بِهَـــا ... كَفُّ الجوادِ وجـــودُ المُزْنِ فِي وَهَـنِ

آسِيهِمُ ومساوِي النفْـــسِ داهِيَـــةٌ ... من كل داءٍ دهـــى بالروحِ والبـدَنِ

سَاقِيهِمُ وسواقِي الغـــيْرِ غَائـــرَةٌ ... من المعارف صفـــواً غيرَ ذِي أسَـــنِ

من كانَ يعْبُد معبـــوداً وليس لـــهُ ... من رشفة من حُمَيَّـــاهُ أخُو وثَـــنِ

سَوَالِحُ السُّفْنِ فِي بحـــرِ السُّلُوكِ لَهَا ... مخَافَةَ الغصبِ منـــه خارقُ السُّفُنِ

مازال يَفْرِي فَرِيَّ القـــرم منتزِعًـــا ... دلوَ الحَقَائقِ لمْ يَكْلِـــلْ ولَمْ يخنِ

حتى غدَا كُلُّ صـــادٍ في مصائـــده ... حالَ الخلاَفَة خلفَ الضـــربِ بالعطَنِ

ريان بين حِياضِ العِلْـــمِ مُغترِفًـــا ... من لُجِّ بحرٍ خِضَمٍّ طـــافحٍ لـــدُنِي

يَرْمِي نقَائـــسَ دُرٍّ مَا لجـــوْهَرِهَا ... من الجَواهرِ والاعْـــراضِ من ثمـــنِ

حباه ربُّ العُلاَ من حَلْيِـــهِ بحُـلَى ... لَمَّا حباهُ من الحوبَـــاءِ بالرَّسَـــنِ

حُلاً بواهِرَ لمْ يُنعـــتْ مخَوِّلُهَـــا ... إلاَّ بنعت الولي الكامـــل اليقِـــنِ

من دافعَ اللّهُ دَهْيَـــاءَ الدُّهُورِ بـــهِ ... عمَّن تحنثَ من بـــادٍ ومن مدَنِـــي

ومن على كنز أســـرار العليم طوى ... كَشْحيْ أمـــينٍ على الأسرارِ مُؤتمَنِ

---

1 - جمع دبنة بالضم اللقمة الكبيرة.

2 - لغة في الدخان.

ومن لسدرةِ مُنتهى الـــــوَلا صعِدَتْ ... به العنايـــــةُ بلْ في مستواهُ غنَـــي

لَه تَرَاءَتْ فأبدتْ من ســـــرائرهَـــا ... بينَ السُّجـــــوفِ ذواتُ الخدرِ والسُّدَنِ

إذا تصعَّبتِ الحوْجَـــــاءُ ذَلَّلهَـــا ... بصـــــارمٍ ذكَرٍ من فهمه اللقـــنِ

غوثٌ بجالٌ مهيـــــبٌ عُظمُ هيبتـــه ... يُصَيِّرُ الطـــــرفَ والأطراف في قَـرَنِ

قد عامل الحق بالتحقيـــــقِ عَاملَـهُ ... وَالخلْقَ خالقـــــهُ بخُلقه الحســـــنِ

لافرقَ بيْنَ أخِـــــي قُربَى وذِي بُعُـــدٍ ... وبين من كـــــان ذي وُدٌّ وذي إحَـــنِ

لكـــل ذي زورة منـــهُ مُخَالقَـــــــةٌ ... يَرَى الـــــورَى أنها للغيْرِ لمْ تكُـــنِ

أبَتْ شمائلهُ الْحُسْنـــــــى لذِي نظـــرٍ ... أنْ يعلمَ الغـــــثُّ منا من ذوي السِّمَنِ

كلِ الفواضل من كل الأفَاضِـــــــلِ فِي ... جَنبِ الفَواضِـــــلِ منهُ كَالفُضُولِ دَنِي

لوْ كَانَ فِي كِفَّةٍ وَالنَّـــــاسُ قَاطبـــةً ... في كفةٍ لمْ تُعـــــــادِلهُ ولمْ تـــزِنِ

فردٌ تَجَمَّـــعَ افْرَادُ الْجَميـــــــعِ بِهِ ... فكلُّ اصلٍ لهُ كَالفَـــــرْعِ والغُصُـــنِ

جَوْفُ الفرَى فِيهِ كلُّ الصيدِ مـــــندرجٌ ... كالغَوْثِ أدْرِجَ في سَنَـــــاهُ كُلُّ سنِي

يقصر ممدوه مدَى المـــــديحِ غـــدتْ ... كألسُنِ الخُرسِ فيه ألْسُـــــنُ اللُّسُـــنِ

وكَونُهُ فوقَ أطوارِ العقُـــــولِ قَضَى ... فيه بعزلِ قضاةِ العقْـــــلِ والفِطَـــنِ

وليسَ يمدَحُهُ مثـــــــــلُ الْمُقِرِّ لَـــهُ ... بالعَجْزِعن وصلِ أدْنَى مدْحِـــــهِ القَمِنِ

تُراثُ خيرِ أبٍ عَنْ خَيْرِ منبعـــــــثٍ ... محمدٍ مثلُه في الخَلْـــقِ لمْ يكُـــنِ

في آلهِ الغر والصحبِ الكـــــرام ومنْ ... يجْرِي مجَارِيَ جاريهـــمْ عَلى السُّنَنِ.

كما نص في هذه القصيدة على انها قيلت يوم عيد الأضحى والظاهر أن الفطر السابق ذكره وعيد الأضحى الحاضر هما أول فطر وأضحى مرا على قائل الأبيات والقصيدة بعد وفاة الشيخ سيدي المختار مع خليفته الشيخ سيدي محمد.

ويكتب الشيخ سيديّ في الورقة الأخيرة من كتاب جنة المريد مالفظه: "ليعلم الواقف عليه أني اعرت كتابي هذا جنة المريد لأخي في الله وفي التربية وخليلي وصديقي وحبيبي محمد بن اعْل بن المعلومْ ولو

كنت أملكه لأحد لملكته إياه والسلام". ولعله هو الذي يعني بهذه الأبيات وهي:

يامستغيراً من يدي جُنَّتي ... دون مَريد الإنس والجِنَّة

حَيَّهَلاً بها فإني على ... رسم جهاده إلى الجَنَّة

فلا تدعني لاعدمتَ الوفا ... أزحفُ للعِدَى بلاجُنَّة

ويكتب كاتب آخر في منتصف البحث الثالث في أسفل ورقة مالفظه: أودعت هنا شهادة أن لاإله إلا الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم قالَ بن الطالب اعْمر غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات، فلعل هذا الرجل الذي سمى نفسه هو المستعير المعني بالأبيات أو ممن أعان في نقله والله تعلى اعلم .

ويقول الشيخ سيدي المترجم لشيخه الشيخ سيدي محمد بعد القصيدة الدالية المتقدمة هذه القصيدة الفائقة الرائقة وهي هذه:

أيا جُنتي دون المريد وجَنَّتي ... وبدْرَ جَنَاني عند كلِّ دُجُنَّة

تفرَّعْتَ من فيض الإله ونفحه ... بما لم يكن في طوْق إنس وجِنَّة

مُريدوكَ إذ رام المَريد ارتدادهم ... وإبدالهم ناراً تَلظَّى بجَنَّة

تَمَعَّرْتَ من كيد اللعين وفتكه ... فقمت لهم دون المريد بجُنَّة

وأبديتَ صمصام العناية باتراً ... فولّى طريدا من طوايا الأجِنَّة

وباء بسخْط جندُهُ وحُشوده ... خزايا ولم تظفر بما قد تمنت

ولو لم يكن منك اعتناءٌ وهمّةٌ ... لأوبَقَ جنسي ما الضمائرُ جَنَّت

جزاك إله العرش مَا انت أهلُهُ ... وما هُوَ أهلٌ من جزا أيّ منة

فككْتَ أسارَى من وَثاق عدوهم ... وصنت حَبالى عن سقوط الأجنة

وأنقذت هلكى من مهـــاوي هواهـــمُ ... وعدت منار السنة المُسْتَنَـــــة[1]

كذالك يسعى الغـــوثُ إذ ما تألمـت ... بما حل حالُ المستغيث وأنَـــــت

وجَلّت خطوبُ المُستجيـــــر وجللتْ ... وريمَ الحِمى هضمًا برغمِ المَخفَّـــة[2]

على حين لاتغني الرمـــــاح قُلامـــة ... ولا البيض في أيدي عظـــام الغُدُنَّة[3]

سوى من سيوفُ الله ســـــلت لنصره ... وأوتارُه شُـــدت لذاك ورنـــت

ومَن عَوَّد الفعلَ المحمَّـــدَ نفسَـــه ... بإمساكها عن طفحهـــا بالاعنـــة

وإقحامِها في هول كـــــل كريهـــة ... لترفوَ ما أيدي المفاســـد خنـــت[4]

ومن خصه رب الـــــبرية دونهـــا ... بما خصه من سَمْكِ أسمـــك سنـــة

فأشهد مكنونَ المعـــــاني بعينـــه ... وأتحف بالزلفى وخـــــرق الأكنـــة

وجُمِّعَ اجناسُ الفضائـــــل كلهَـــا ... بمُفرده من بِكـــــرها والمُسِنَّـــة

فيالك من فرد يتـــــاهد ســـرُّه ... ظواهر أجناد الغـــــويِّ المعنـــت[5]

يشاهَد فردا والمعـــــــاني جماعـــةٌ ... يخرُّ لكمـــلٍّ كِـــــلُّ طود وقُنـــة[6]

مـــلائك رب العـــــز دانت لعـــزه ... وطاع ملـــوك الأرض طوْع الأقنـــة[7]

وذل بحمـــد اللـــــــه جل جلالـــه ... بطلعته كل الطغـــاة المُصنـــة[8]

وغَضَّ على وَخْزِ السفـــــا كلُّ حاقـدٍ ... وجاهد كتْم الضَّغـــن خوف المظنـــة

---

1 - القديمة

2 - الأنف.

3 - لحمة غليظة في اللهازم.

4 - أفسدت

5 - المشاقق، عنته تعنيتا شدد عليه والزمه مايصعب عليه أداؤه، من القاموس.

6 - رأس الجبل

7 - جمع قنان جمع قن

8 - أصمن شمخ بأنفه

وحالت بمحض اليمـــــن منه محاسنًا ... قبائحُ أرباب النفوس المُعنَّـــــــةِ[1]

إذا ما العصور الدهم عبَّس جَهدُهـــا ... وُجـوهَ الورى ألفيته طلـــق سنـــةِ[2]

يُخَـوِّل كُـــلاً من غوالي تِـــلاده ... ويكفيهمُ دفع الدواهي المُرِنَّـــــةِ[3]

إمـــام على تمكينـــــه حلفُ عَبـرة ... همامٌ على سلطانه عبد سنـــــــةِ[4]

تُقاه وحسنُ الظن بالنـــــاس والوفا ... أَبَيْنَ له إيجاد نفس مُزَنَّـــــــةِ[5]

له في مجـال الحـــــق أبدعُ غيـرةٍ ... وأحمدُ إقدام وأصفى غُدُنَّـــــــةِ[6]

يبـادر منـه فـــارطٌ متشمـــــــرٌ ... إذا ماعلى الدين الاغارة شُنَّـــــت

يهز قضيـب الحق بالله صائـــــلاً ... على متن جَرْدًا من كتاب وسُنَّـــــةِ

بثاقـب فهـم لايبـــارَى جـــواده ... به تنجلي العوصاء مهمى استجنـت

على باب حد اللـه دام عكوفُـــــه ... ولوكان دون الحد حدُّ الأسنـــــــةِ

فحـاز بحفـظ الحد كُنْهَ رسومـــــه ... وراح بحوز الكنه علقَ المضنـــــةِ

تحن إلى علق النفـائس نفـــــه ... وكم نفسٌ علق للنفائس ضَنَّـــت

يفوز به من سلـــم الأمر صـادقًـا ... وفوضـه من غير ما مستكِنَّـــــةِ

ويشقى به من خامر الخُـــلف قلبَهُ ... مُبينًا سوى ما نفسه قد أجنـــت

لئن كلأ الدِّينَ القـويـــم وأهلـه ... بسورِ عنـايات الحفيـظ وعُنَّـــت[7]

فلا غرو أن يحمي الفنيـــــقُ سَرَاتَه ... ويدرأ عنهـا بانتيـاب الأسنـــةِ[8]

---

1 - المشتغلة بمالا يعني

2 - الوجه

3 - المصوتة

4 - أي دين النبي صلى الله عليه وسلم

5 - متهمة

6 - النعمة واللين، من القاموس

7 - الحظيرة

8 - جمع اسنان جمع سن على غير قياس.

ويعدو هِزَبْرُ الغيْض من دون شِبْـــــلِه ... بحمر المثاقي في هـــرير وهَنـــة[1]

سجايا عرانينٍ تسلـــسل إرثُهَـــا ... وتجديدهـــا عن فَنـــة بعـــد فَنـــة[2]

جهـــابذة فِيحُ الميـــادين قـادةٌ ... ذوو كـــرم في أنفـــس مطمئنـة

أيا سيـدي يامن ســـواجع حالـه ... على فَنَنِ الزُّلفى بسعـــداد غنَّـت

أفدني من العـرفـــان بالله جِـذوةً ... تُجَلي دُجى ليل الريون المُبنَّـــة[3]

ويَكشفُ لي سرَّ الحقـــائق ضوءُهـا ... وأغدو بها في الكون شِمْـرَاخَ[4] قُنَّـة

فَنَـقٌ وربِّبْ ثـــم رَوِّ وراعنـي ... بِمُقلـة ذي رحمـــى وحلم وحِنـة

ولا تلتفـت عني لقبـــح معـائب ... مرايا فُؤادي من صـداها تسنـــت[5]

ويارب يا رحمان بالغـــوث ربِّنـي ... وحقـق لنفـسي عنده ماتمنـــت

وصلِّ وسلم ما اجتدى متكفـــفٌ ... حزين بخـديه المـدامع سُنـــت[6]

على خاتم الرسل الكـرام وآلـــه ... وأصحابه أسد العدا حيثُ عنـــت[7]

وكتب الشيخ سيدي إلى شيخه الشيخ سيدي محمد رسالة أخرى وقفت عليها بخط يده المباركة وصورة مافيها: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تحية عبد خسيس ذليل إلى سيد كامل جليل بحكم التباين بين من صلحت به العادة والعبادة وبين من لم يصلح للعبادة ولا للعادة:

---

1 - ترداد الصوت في الصدر

2 - ساعة بعد ساعة.

3 - القيمة الثابتة.

4 - مصباح

5 - تغيرت

6 - صبت عليه من الماء صبة.

7 - عرضت

أعجوبةٌ في طي أضحوكة كمثلها الاعين لم تبصرِ

جرمٌ كبيرٌ عند رؤيته ومسمعَ ذا أصغرُ من جوْهَرِ

يخاله من ليْسَ يدري به بَعْضَ رِجالِ المنصبِ الأكْبَرِ

سُبْحَانَ منْ يستر من عُجَر أبجَر ما لولاهُ لمْ يستترِ

وبعد فخير الكلام ماقل وأفاد والفاعل المختار يفعل ما اختار وأراد إذ كلف بمابه كلف ثم وفق بعضا وبعضا والعياذ بالله صرف وشرط في التكليف وجود قدرتنا الحادثة المخلوقة له تعلى مقترنة بأفعالنا وبذلك الاقتران وهو الاختيار المسمى بالكسب والاكتساب أضاف إلينا الأفعال وأثاب وعاقب وعدا ووعيدا وتفضل باسقاط التكليف عند عدمه وهو حالة الجبر والاضطرار {**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**} و{**لايكلف الله نفسا إلا وسعها**} ولا اثر قطعا لقدرتنا في شيء من حركاتنا وسكناتنا وقيامنا وقعودنا وركوعنا وسجودنا ومجاهدتنا وذكرنا ولافي شيء من أمرنا كما لا أثر لشيء من الأسباب في شيء من المسببات بل عندها لابها بحسب العادة التي أجرى تعلى وقوع الفعل عندها وأما الاختراع فمن خواصه تعلى لايشاركه فيه شيء سواه وقد أمرنا سبحانه ونهانا بأشياء وعن اشياء جزم في بعضها ولم يجزم في بعضها وأكد في كلا القسمين بعضا على بعض ولاعلم لنا بشيء من ذلك كله إلا بما بينه لنا على لسان خيرته من خلقه الصادق المصدوق {**وما ءاتيكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهو**} فكل ما أتى به صلى الله عليه وسلم من أمر امتثلناه وكل ما أتى به من نهي اجتنبناه حيث علمنا ذلك أو من علمه منا وإن جهلناه أو من جهله منا سألنا عنه العالم به إذ السؤال من جملة ما أتى به {**فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون**} وكل ماكان آكد في الأمر أو النهي قدمناه على مادونه بمقتضى الأكدية وقد وصل إلى سنام ذلك المقام رجال بمحض اختياره تعلى وفضله لابجدهم واجتهادهم ولا بقوتهم في ارتيادهم وإن كانت المجاهدة في ذلك هي السبب لبعضهم والمكابدة هي الموجب لما المجلب من غرضهم {**والله خلقكم وما تعملون**} وانحط عنه آخرون لم يكونوا دونهم في الجد ولم يقصروا عن درجتهم في الكد ثم آخرون عن هؤلاء كذلك ثم آخرون عن هؤلاء كذلك وهلم جرا كل ذلك بمحض الاختيار والفضل والعدل منه سبحانه {**لايسئل عما يفعل وهم يسألون**} يفضل من شاء بما شاء كيف شاء ويعطي ويمنع من شاء

ماشاء كيف شاء وقد جعل لأهل كل درجة من الدرجات السفلى حقا على من فوقهم بالوفاء به تتبين الافضلية وبالتقصير فيه تنتفي المزية، انتهى لفظ ما في الرسالة المذكورة بحروفه ولم أجد جوابها بعد ولم اتبين بوضوح سببها حق التبين.

ورأيت بخطه بعد دعاء كان يدعو به عيسى عليه الصلاة والسلام قال إنه نقله من خط شيخنا سيدي محمد بن شيخنا سيدي المختار مالفظه:

لفقير مولاه سيدي بن المختار بن الهيب كان الله للجميع:

ليت شعري وغيركم لانهَـــــــنَّا ... برضاه سوى رضي الله عنُّـــــا

هل لنا منكمَ القبول ففضـــــــلٌ ... يقتضي شكرَ من بإسداهُ منُّـــــا

أم لنا الردُّ منكـمُ فمعـــاذَ الـــــــلّه من عدلِه وان نتعنّـــــــا

ومن العـــار أيها الســـادةُ الشـــــــمُّ عليكُمْ وقد صحبنـا ودنّـــــا

أن نـولّـي ولمْ نُشَيِّـعْ بِـــــا نرْ ... جُوهُ من عندكُم ومَا نتمنّـــــــا

أنتـم ســـادةٌ ونحـــن عبيـــــدٌ ... لكـمُ دائمًـا هنـاكَ وهنـــــا

أنتم آبَاؤنـا ونحـــنُ بَنُوكُـــــمْ ... وَعَلى الأبِّ عار من قد تبنّـــــا.

وكان سيدي البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار يقرأ جامع المختار بن بون الجكني المسمى الجامع بين التسهيل والخلاصه المانع من الحشو والخَصَاصَهْ على الشيخ سيدي المترجم له وكان ماهرا به غاية كما تقدم فقد أخذه عن استاذه حرم المتقدم ذكره وحرم أخذه عن ابن بُونَ نفسه وقد جمعته الحياة مع صاحب الترجمة فقد توفي ابن بون عام ثلاثين ومائتين والف عن سن عالية لأنه رثى الشيخ سيدي المختاربقافيته التي مطلعها:

صدق الزمان إذا تـراه كاذبًـــــا ... وبنات غيرٍ صدقُه إن يصـــــدُقِ

إلى آخرها وهي في غاية الجودة وقد علم تاريخ وفاة المرثي بها، وقد فرغ من نظمه في المنطق في ربيع الأول عام 1171 وفي ذلك يقول:

وافـي ختـام جمْعِ ذا المهـــــذب ... في أعقش أيام مولد النبـــــي.

صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم أن الشيخ سيدي فرغ من كتابة المساعد على تسهيل الفوائد في شوال عام تسعة عشر ومائتين والف.

وقد وعد الشيخ سيدي محمد الشيخ سيديّ بعدة من امور المشائخ فلما بلغ سيدي البكاي إلى نصف الجامع قال له الشيخ سيديّ ارجع إلى والدك فقل له إني لست مقرئا لك حتى اجد ماوعدني به فقال سيدي البكاي هذه الأبيات لوالده:

ياسيدي نصف الخلاصة لابن مـــا	لك الامام محمد أكملتـــهُ
وعلمتمُوا ما العادُ إلاّ أنني	لاتم فائد عادةٍ حوّلتـــهُ
والفضل والاحسانُ منكم والجدا	أسّلتُمه ورعيْتُمه وسألتُـــهُ
فلمقرئي ولمدوّلتيّ ولي بـــدا	بل كلّنا فالفضلُ ما استقللتُـــهُ
ويكون ذلك عن كتاب منكُـــمُ	أن الذي أملتُمه قد نلتُـــهُ
ولقد وعدتُ بمثل ذاسيـــديّ	وعْد الخَيْر قد عَرَضْتُه وأطلْتُـــهُ
وعْدا تحقّق صدْقه لمّـــا دَرى	أني عليكم ماوعدتُ أحلْتُـــهُ
وإذا وعدتُ عليْكمُ برغيبـــةٍ	أيّ امرئٍ فكأنّني نوّلتُـــهُ

فأجابه الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه بقوله:

لك ناجزُ الوعد الذي املْتَـــهُ	لمن يحقق ماعليه أحلتَـــهُ
ولمقرئٍ ولمدولة وملاكـــر	ولمن بعروة الانتساب وصَلْتَـــهُ
ولمن أتى متوردا وردَ الصَّفـــا	فسقيته وحضنته وكفلْتَـــه
وضربتُ دون مصاده حصْنًا حمّـــى	مما يخاف وبالرّوا أنْهَلْتُـــهُ
وصرمتُ من شيطانهُ أشْطانَـــهُ	وهزمتُ جندَ عدوه وغللتـــهُ
وغسلتُ جوهر سره بمطهّـــر	عذب منير باعثٍ رغسلتُـــهُ
أجنيته قطفَ المعارف دانيًـــا	ورعيتـــه ورفوته ورفلتـــهُ
وأقلتُـــه وأقمتُه وأقتُـــهُ	وحميتُـــه وحبوتُه وحملتُـــهُ
وأعـــرتُه طرفًا أراهُ حقيقـــةً	من دون لاثمها الغطاءُ سبلْتُـــهُ

فيها رعاها والعناية ركنُـــــهُ ... وأنا الذي بمكاحلي أكحلتُـــهُ

فغدا بصيرا بالبصيرة عنـــدهُ ... مكنوزُ ما أودعتـه وأنلتُـــهُ

تخفى الاهلةُ ما استهلّت بينَـــهَا ... شمسٌ سمكتُ سماءها وحَلَلْتُـــهُ

وأدرتُ أقطابا بها ودوالبًـــا ... وبسطحِها أنزلتُ مانزّلتُـــهُ

وكذا الرِّقاعُ السبْعُ قمتُ بدَوْرِهَـــا ... فعلوْتُ دائرَ قوسِها وسَفَلْتُـــهُ

ورفوت منها ما وهَى ورقعتُ مـــا ... خرق الجفى وعزوتُه وعزلْتُـــهُ

من شاء فليومن ومن يـك كافـــراً ... فالحق ياذا اللبِّ ماقد قلتـــهُ.

ويحكى أن الشيخ سيدي محمد لما سمع هذه الأبيات سأل عن قائلها فقيل له إنه هو فقال إنه قالها وهو غائب عن حسه العادي.

وكان **البكاي** هذا كثيرا مايكتب **للشيخ** سيدي إذا كان متغيبا عن حضرة والده. فمن رسائله إليه هذه الرسالة الظريفة ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على من لانبي بعده من عبدربه البكاي بن محمد بن المختار بن أبي بكر إلى سيدي بن المختار بن الهيب بالسلام والاكرام والرحمة والبركة وبعد فمع حامل الكتاب كتاب إلى الشيخ أوصله إليه أنت لاغيرك على خلوة معه وإن استطعت أن لايرى الكتاب غيره فافعل واحرزه عندك واذكرله مايذكر لك سيدي احمد ولد سيد أَبُوبَكْ من حالنا وحال الناس الاعداء معنا واجتهد في تعجيل رسول إلينا وليكن حبيب الله الداب الحسني فليس معي أحد ممن ينتسب إلى علم وقل لسيدي لافراق مع تَدْمَكْتْ ولا البرابيش على هذه الحالة ولو دامت ولن أعود إلى أهلة حتى يفتح الله فيهم فتحا والسلام عليكم ورحمت الله وبركاته" انتهى لفظ الرسالة وعلى ظهرها ما لفظه: "تصل بيد سيدي بن المختار إن شاء الله م.ع.ر.و.ف". ويكتب إليه أيضا مالفظ المراد منه:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من عبد ربه البكاي بن محمد بن المختار بن احمد بن أبي بكر إلى معلمه واستاذه السيد الفاضل سيدي بن المختار باكمل السلام ورحمته وأبلغه في الكمال واعمله -إلى أن يقول في آخرها- ويسلم عليك أيها السيد النجيب

والقرين الحبيب أخوك ومحبك حقيقة الاخوة والحب وقرينك تفاؤلا واقتداء بكلمة القطب اكمل السلام واعلاه -إلى أن يقول له مالفظه-: واذكرني عند الشيخ ابقاه الله ورضي عنه وأرضاه". وفي آخر هذه الرسالة هذه الأبيات:

مني السلام إلى الأحبة بلغنن ... ياخير مبرود لخير مفضّل
فاذا انخت ببابه فاسرع له ... وأبلغه أكثر مايكون وعلل
باب الفضائل والمواهب بابُهُ ... نقل الفؤاد لمنزل من منزل
وأبلغه غاية مبلغ الحد الذي ... لا حد يعلوه كما في الأول
لِلدُّوْلَ من دلت عليك طبائعٌ ... حسُنَ الزمان بحسنها المتهلل .

وما بعد حرف بامن آخر الشطر الأول من البيت الثالث لم اقرأه بعد فعسى الله أن يفتح لي فيه وفي غيره آمين.

وكتب إليه مالفظه:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم الحمد لله أكمل الحمد وأوفاه وسبحانه ما اقربه إلى من تولاه وصلاته وسلامه أسناها وأسناه على سيد خلقه محمد رسول الله وصحبه ومن دان بدينه عارعاه إنه من عبد ربه احمد البكاي بن محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر إلى الاخوة الكرام الجهبا بذة الاعلام سيدي بن المختار والسيد الخاشع ومحمد بن محمد بن عشاي واحمد بن علي بن اعمر وقرة عيني وشطر قلبي محمد المختارين مسك أخي ودولتي وسائر التلامذة أيدهم الله وأمدهم بابلغ السلام -إلى أن كتب في آخرها هذه الأبيات-:

جعل الهوى معتاده فاعتادهُ ... ورءا اللقاء مراده فأرادهُ
فاذا ترقُّب سائرٌ ماشقَّهُ ... وإذا تألق بارق ما زادهُ
لوكان يمكن أن يعيد لنفسه ... كاليوم من أيامكم لأعادهُ
مالمتُ قلبًا في الهوى لفراقكم ... علم الأسى بفراقكم فأجادهُ
وحللتَ منه يابن عَشّاء بلا ... ريْب سواداً كنت فيه سوادَهُ

ويسلم عليكم سيدي محمد بن حبيب الله بن سيدي محمد بن الحاج ويقول اسئلوا له الدعاء من الشيخ".

وكتب إليه أيضا بما لفظه:

"الحمد لله المتن بهباته الجواد بالوفاء بهداته وخير سلامه وصلاته على خير من تخلق بأسمائه وصفاته سيدنا محمد وعلى أصحابه وآله وبنيه وبناته إنه من عبد ربه احمد البكاي بن محمد بن المختار بن احمد بن أبي بكر إلى الأخوين السيدين الأكرمين الأرضيين الكائنين من قلبي همه والعائدين من اهمَّه أهمَّه مقرئي سيدي ومذاكري سيدي محمد بن سيدي الأمين سلامان سليمان يزيدان فلايبيدان وتحيتان محييتان لامعييتان ولامفنيتان ولا أذكر شوقي فهو اكثر مما يذكر ولا انكر وجدي فهو أشهر مما ينكر -إلى أن يقول- واذكراني عند سيد كما ولاتنسياني بالذكر عند كما"، إلى آخرها. وعلى ظهرها مالفظه:

"تصل إن شاء الله بيدي اخواي وعيني سيدي ومحمد بجاه م ع ر وف". وقد جاء في آخر هذه الرسالة مالفظه:

"ويسلم عليكم اخونا الرشيد الرشيد بن محمد المصطفى ويسئلكم تزويره والدعاء له واعلامه بما يفعل من المسير إلى أرضه المجازية وأهله الجديدين أو التوجه إليكم أو المقام في انتظاركم والسلام مني إليكم أيضا".

وجاء في رسالة كبيرة منه أيضا بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وديباجة حسنة من السَّجع:

"إلى السيِّد المبجَّل والأخ المفضَّل ذي المجد المأثل والفخر المعجل والمأجل صاحب الانوار والاسرار سيدي بن المختار والاخ الاروع الارفع والدواء الانجع الانفع ذي الشرف المتين المكين والمجد الأصيل المبين سيدي محمد بن سيدي الأمين" يطلب منهما أن يسئلا له الدعاء الصالح من عبد ربه الغني به القوي بسببه شيخ الاسلام وعلم الاعلام يعني والده الشيخ سيدي محمد وفيها خبر تَدْمكَّتْ ولبْرابيش وأهل تنبكت والرَّمَ ويقول لهما مالفظه: وهذا كلام أورده احب أن لايطلع عليه غيركما ما استطعتما وهو أنه هواي وأربي أن لايقدم الشيخ الآن على هذه الأرض لفساد أهلها الا أن يكون أراد ذلك فنهر

خير وهو أعلم فإنه يرى بنور الله مالا نراه ويسلم في آخرها على دولته محمد بن محمد بن عشّايْ وأخيه أحمد بن علي بن اعْمر.

وكتب كاتب عن تلاميذ أهل الشيخ سيد المختار رسالة وجهها إلى مُحَمْد بن مِسْكَ وحبيب الله جاء فيها مالفظه: "وبلغ سلامي لكل التلاميذ وبخص شمسَهم سيدي ومطلع انسهم سيد المختار بن سيدي واظرفهم احمدْ لُولِ إلى آخرها وهي رسالة مُمْتِعَةٌ تجمع بين الشعر العربي والْمَلْحُونِ الحساني الظريف.

وجاء في رسالة المختار غال بن الختار بن احمد تلمود البساتي إلى الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار بعد نشرها وشعرها مالفظه الغرض منه: والسلام على من هنالك جميعا وعلى اخينا سيدِيًّا أيده الله تعلى".

وكتب إليه احمد محمود بن محمد بن غَيْرِ بن بِنْ عَفَّانْ التندغي رسالة أولها: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الخلق وجعل منهم المعينين لعبادهْ معانين من جهته ومُأيَّدين بارشادهْ والصلاة والسلام على المخبر بأن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيهْ الذي أخبرنا وارثه بأن صلاح العبد يبقى بركةٌ في ذريته وبنيهْ هذا وإنه إلى الاب الشفيقْ والأخ الشقيقْ الوالد الرفيقْ الحبيب الصديقْ السيد الفائقْ القائد السائقْ غُرَّتِنَا وقرة أعيننا وناصرنا وساترنا ومعيننا وحامل كَدِّنا ورفدنا وعمدتنا عند شيخنا سيدي بن المختار بن الهيب من أخيه وشقيقهْ وصديقه وحبيبه ورفيقهْ من يرجو من الله أن يكون عنده كاسمه أحمد محمود السلام عليك ورحمة الله وبركاته هذا وقد بلغني ماصنعت من بذل الجهد وكمال الجد ودوام السعي آناء الليل وأطراف النهار في نصري وإعانتي واستعطاف الشيخ علي فالله سبحانه يجاه كل مصطفى عنده ومُجْتَبَى يجازيك ويكافيك بما هو أهله" إلى آخرها.

وكتب في جوانبها ثلاث مرات مالفظه: "اعلم ياسِيدِيْ أني مازرت الشيخين قطُّ الاصَرَّحْتُ باسمك واسم أبيك وجدك ودعوت لك بأمور كثيرة من مصالح الدارين وإن ثوابك عليَّ من ذلك لأكبر واكبر وأكبر".

وكتب إليه رسالة أخرى وجمع معه آخر جاء فيها بعد البسملة وحمد الله تعلى مالفظه: "هذا وإنه إلى الاخويْن الصالحيْن الاعلميْن الافقهيْن": الانصحين وفي هذه الرسالة مسألة عقار الحاج عبد الله وفيها: "وقد اخبرتك أيها الأخ سيدِيٌ بمارأيت من كتابة خصم الحاج عبد الله في ذلك واخبرتك أنه ألجأني قَبْلُ إلى كتابة ما لايُجْدِي" ويذكر كثرة تردد الحاج عبد الله عليه ليكتب له في العقار المذكور ويكتب في ذلك مالفظه: "فمن بعض أيامه يوم اتيانك لي يَاسِيدِيٌ بشرح مبارة على أبي عاصم ووجدته جالسا عندي". وختم هذه الرسالة بقول الله تعلى [**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**].

وكتب إليه رسالة أخرى جاء فيها بعد البسملة وحمد الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مالفظه: "هذا وإنه إلى الأخ الافضل والاحب الاجمل والزكي الحبيب والذكي اللبيب الصالح الناصر الناصح الساتر سيدي بن المختار بن الهيب من أخيه وصديقه وحبيبه وشقيقه احمد محمود بن محمد السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فإني جاعلك واسطة بيني وبين وسيلتي إلى ربي وحجتي عنده وموكّل لك في ذلك وكالة مفوّضَةً فاصنع مابدالك في ذلك"، إلى آخرها.

وكتب إليه في رسالة أخرى جمع معه فيها محمد بن سيد الامين مالفظه بعد المقدمة العادية: "هذا وإنه من الكويْتِب احمد محمود إلى أخويه الصالحيْن العالميْن التقييْن النقييْن الطاهريْن اللبيبيْن الحاذقيْن الماهريْن النبيهيْن الافقهيْن النحويْن اللغويْن المفلقيْن الافضليْن الاكرميْن الاورعيْن الازهديْن سيدِيٌ ومحمد بن سيد الامين"، وهي رسالة طويلة فيها تتميمه لمؤلف له في الغاز موجهة من السُّوقِيِّيْنَ أو إكِلاَدْ اجاب عنها احسن جواب وأردفها بالغاز جمعها هو وأجاب عنها لما لم يجبها من وجهت إليهمْ. ويظهر في تأليفه هذا أنه من العلماء الراسخين في كل فن: ففي هذه الالغاز القرءان والحديث والفقه والاصول والمنطق. وذكر احمد محمود هذا أنه قرأ المنطق على محنض باب بن اعْبَيْد وذكر كثيرا من الشيوخ في كتابه هذا وذكر أن شيخَ اشْفغ الخطَّاطْ البَرْتَلِيٌ هو انْجُبْنَانْ اليَعْقُوبِيٌ وأن سيد بن انجبنان هداله تفسيرا للقرآن العظيم نقل منه احمد محمود اوجه الاحتباك في قوله تعلى: [**يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لاوزر إلى ربك يومئذ المستقر**] وبينها بيانا شافيا وذكر قبيل إنهائه لكتابه هذا أنه أجاب عن بعض الالغاز المذكورة "باستحسان من عنده اصحب الأخ العالم الصالح

الحاذق الماهرالنبيه النحوي اللغوي المفلق في الشعر سيدي ومن أين لمثلي أن يستحسن استحسانا يعجب مثل هذا الاخ لولا جميل ستر الله تعلى".

وذكر احمد محمود في تتميمه المذكور في مسألة منه أنه وقف عليها في عبد الباقي في الشركة عند آل سيد امْحَمَّدْ الْكُنْتِيِّينَ بِتَادْرَارْ حين كان مقيما عند الامامْ بن الْعِنَايَةِ مريداً وأنه إذ ذاك أي حين مطالعته لهذا في عبد الباقي جالس على حصير جاعل وجهه إلى جهة المشرق وقت الهاجرة إلى اخرها وهي رسالة مشحونة بالعلم ويدعو الله كثيرا فيها للمرسلة إليهما.

وذكر احمد محمود هذا في رسالته التي كتب في عقار الحاج عبد الله الذي باثْوَاتْ بامر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار أنَّ الشيخ سيدي محمد صرح في كتابه الطرائف والتلائد بأن محققي الأولياء لايعملون بشيء مما يلوح لهم حتى يعرضوه على الظاهر إلى آخر كلامه.

واحمد محمود هذا من اجلاء مريدي الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار وذكر ذلك في أول تأليفه في الالغاز الذي تقدم ذكره وفي بعض رسائله مايفهم منه أن شيخه الشيخ سيدي محمد نصبه للقضاء والإفتاء والإقراء في بعض الازمنه وذكر في بعض رسائله ايضا تكدره في بعض الاوقات من ذلك.

وجاء **في بعض المراسلات بين الشيخ سيدي المختار الصغير وبين والده الشيخ سيدي** محمد مامحصله أن الشيخ سيدي المختار الصغير المذكور كتب له والده الشيخ سيدي محمد شيئا في لَوْحٍ فسأله بما لفظه: هل ماسطر في اللوح سواء فيه كل من اراد نَسْخَه منه ام هو خاصة بعبيْدكم الفقير، فأجابه بما نصه: "إنَّمَا يَنْسَخه من إخوانك التلاميذ الخاصُّ منهم كرَفِيقيْكَ وسيدِيَّ ومحمد بن سيدي الامين ومن في طبقتهم ممن يصونه كل الصيانة فإنه من الاسرار المكنونة التي لاتودع الا في قبور الصدور والسلام" انتهى بلفظه من المراسلات المذكورة.

وكتب إليه بعض تلاميذ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار ولم يسَمِّ اسمه بما لفظه:

"بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن أمر بالتعاونْ ونزه الكرام عن التهاونْ وأفضل الصلاة والسلامْ على من ءاخى بين اصحابه الكرامْ وعلى آله وصحبه الأعلامْ أما بعد فإلى رئيس التلامذهْ وسيد الجهابذهْ الآخذ من الشيخ الحظ الأوفى والشارب من كأسه الأصْفَى الموقَن له بالإجادَهْ بدلالة اسمه على السيادهْ سيدِيِّ المريد الصادقْ المؤيد الذائقْ ارفع سلام من الله الرؤوفْ ثم من خِلْصِه كاتب الحروفْ يعمِّر بالحب مابيننا من الفراغْ ويقضي الحاجة بمجرد البلاغْ يخلفني في المخاطبهْ ويواجهك بالمطالبهْ بأني أريد من الله ثم منك أن تستعطف على شيخنا وتتلطف له في أن يعجل لي جواب مسائل أرسلتها إليه ستبلغكم إن شاء الله وتقوم لي بذلك أحسن القيام حتى يتحصل الجواب فإذا حصل فليكن تحت يدك والتمس من تبعثه إلى معه ممن تثق به وتوقن أنه يبلغه إلى وعلى الله أجْرُكَ ونَصْرُكَ وأريد منك أيضا أن تسأل الشيخ أن يرسل لي بالورد والاجازة فيه كما سألته ذالك مرتين إن استصوبت ذلك ولم يكن فيه عندكم سوء أدب مع الشيخ فإني سمعت أن الورد يوتى ولاياتي فإن كان ماسمعت حقا ولم يروجه لإرساله إلى من تعذَّر عليه المشي إليه لما نع فلكم العذر في عدم إرساله ولي العذر في سؤاله فإني قد سألته قبل أن اسمع ماسمعت وإن كان إرساله ممكنا في بعض الحالات فحالتي تلك الحالة فالله الله احتل كل الاحتيال في تَزْيين إرساله الى وجد في ذلك غاية الجد

فَالْمَرْءُ يَحْتَالُ إِنْ أُعْيَتْ مَذَاهِبُـــــهُ فَطَالَمَا نَفَعَتْ أَرْبَابَهَا الْحِيَـــــــلُ.

وإنك بنعمة ربك على بال من الله ومن شيخك وفي يقيني أنك إذا سألته شيئا ممكنا أجابك وبلغك مرادك فيما سألت فاسل لي منه كلما أردتُ أن تسأله لي معونة منك وقرضا إلى:

تَكُنْ لَكَ فِي قَوْمِي يَدٌ يَشْكُرُونَهَـــــا وَأَيْدِي النَّدَى فِي الصَّالِحِينَ قُـــــرُوضُ.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته". وكتب على ظهرها مالفظه: "بيد سيدِيِّ حفظنا الله وإياه من المكاره امين."

وفي هذا كفاية من الاستدلال على ماتقدم من كونه صار معروفا هنالك غاية: فقد رأيت كتابة ابن شيخه إليه ورأيت رسائل انواع التلاميذ في سائر اغراضهم وحتى رأيت الشيخ سيدي محمد نَفْسَه عدَّه في جملة الخاص من التلاميذ مع كثير غير هذا. وفيما ذكر كفاية ودلالة على غيره.

ولْنذكر بعض عايخاطب به الشيخُ سيدِيٌّ ابناء مشائخه، فمن ذلك ماكتب به اعتذارا وتحية وتهنئة ودعاء لريحانة غوث الوجود وبدر السعود عابدين بن شيخنا سيدي محمد رضي الله عنهما:

لئن عاق جسمي عن وصالكمُ شغْـــلي ... فقلبي إلى ناديكمُ دائـــم الوصـــل
على أنني أهدي إليكم تحيـــــة ... تقوم مقام السعي منِّيَ بالرِّجـــــل
وتهنئةً يهنو السرور لمن بهـــــا ... يُهَنَّى إذ التزويج من سُنَّةِ الرُّسْـــل
وسبعون شَفْعًا من خَلِيٍّ بفوقـــها ... كما جاء نَصًا ركْعَتَانِ لذي أهـــل
ومن فضله تنكيل إبليس بالبكـــا ... وإحراز ثُلُثَيْ دين ذلكم البعـــل
لقد سرنا هذا النكاح لأنـــه ... حقيقةُ غَرسِ الطِّيبِ في الطيب الأصل
ويخرجَ بقل الطيبات لطيبهـــا ... وليس من الأنكاد يخرج من بقـــل
فيا أهل هذا الدُّفِّ لازلتمـــا على ... مر الليالي حائزيْن مدى الخصـــل
وخُوِّلتمـا بعد المودة والرِّفـــا ... كرام البنين الصالحين ذوي الفضـــل
وأنجبتمـا إنجاب من نَجَلاكُمَـــا ... وحسبكما إنجاب ناجِلِي النجـــل
ولازال كل الخير من فضل ربنـــا ... بشملكما المنظوم منتظَمَ الشمـــل
فلا تنسياني من دعائكما فمـــا ... نصيبي بمتروكٍ من الفرع والأصـــل.

ويقول له أيضا:

أبلغ نتيجة نخبة الأعـــلام ... وسليل وارث منبع الأحكـــام
ريحانةَ الغوث المجدد ذا التقـــى ... والبر زينَ العابدين سلامـــي
وتحية بالمسك أزْرِيَ عَرْفُـــها ... والروضِ بَسْمَه نجيب غمـــام
شنِّف مسامعه وقرِّطها بهـــا ... قبل السلام وقبل كل كـــلام

وأدر على وفد الاحبة كلّه ... من صرف صَرْخَدِهَا ألَذّ مُدام
واجْبَهْ جِبَاهَهُمُ بأنّا بعدهم ... مذ فارقوا في لوعة وغرام
فعسى إله العرش يطلع سعدنا ... بطلوعهمُ في أسعد الأيام.

وقال أيضا يخاطب سواد العيون ونزهة القلوب والذهون **البكاي** بن شيخه إنسان السواد وثمرة الفؤاد يحضه على الصبرْ ويذكره شيئا من احوال الدهرْ ثم تخلص من ذلك إلى مدح الشيخ وجعله خاتمةْ راجيا بذلك تحقيق المنى وحسن الخاتمةْ وذلك انهما مشيا ذات يوم خلف الشيخ راكبا والناس على رجْلةٍ حتى اشتكى الصغير تعب الظهر مع أن الكبير كاد يكون مثله:

تكلفْ جميل الصبر في كل حين ... وعوِّده نفسا في اشْتِدَادٍ ولين
وكُن كالحسام العضب في كف بُهمة ... يذيق به الشجعانَ طعمَ المنون
وعفٌّ ذَلولَ النفْس وامتط صعبها ... وَذَرِّبْهُ حتى مالهَا من حَرُون
وحتى تُساوِي المدحَ عندكَ سُبّةٌ ... وحتى ترى التحريك مثل السكون
تَنلْ كل مافي نيْله أنت راغبٌ ... وتعْظُمْ سوادا ياسواد العيون
ويحلو لك الامرُ الذي كان حنظلاً ... ويغدو لديك الدهر خير قرين
بل إن قرين الدهر من بين أن يُرى ... نديمَ سرور أو نديمَ شجون
تُجَرِّبُهُ الأيام بالوصل والجفا ... وصحبة ندب ثم صحبة دون
وتحمله طوراً على خير مركب ... وطوْرا على شر الرِّكاب خَئُون
فيومًا على أكتاد أبْرَدَ سابح ... وثيق العُجا رَحْبِ اللّبان صفُون
ويومًا يفتل المرافق بازلٍ ... صحيح القرا ضخم السّنام سمين
لصولته قصوى المسافة تنطوي ... ويَكْشِفُ غَمَّ المستهام المزمن
بموكب فتْيانٍ لدِينَ أحبّة ... يُعاطُونَ انباءَ الهنَا والفنون
تلاحظُهم دُعْجُ اللواحظ حُورُهَا ... وتمنحُهم صرف الوداد المصُون
ويومًا على رغْو الجحافل ناهِقٍ ... حريصٍ على المرْعى بطيء حَرُون

بِرِفْقَـةِ أَوْغَادٍ رقيـق وإمَّـــــعٍ ... ذَوي خُلُـقٍ فَـظٍّ وجِلْفٍ هَجِيـــنِ

ويومًا على رجلٍ مُوَفَّنَةِ القُـــوَى ... تُؤَمِّـلُ عَـوْنًا مـن قَوِي متيـــنِ

وهمـةِ غـوْثٍ بالمَكُونة كـافـــلٍ ... وذي قوَّةٍ عنـد المتيـن مكـــينِ

يُغيثُ جميعَ الخلقِ في كلِّ مَفْـــزَعٍ ... ولو لم يناداوا بالغَـوْثِ معـــينِ

وحَاطَهُـمْ طـرا بسور عنـــايةٍ ... وحِفظٍ من أسوار الحفيظ حَصِـــينِ

بِمَشْهَـد تُلْفَ البُغـاثُ أعِـــزَّةً ... والاسْدُ الضواري مُطرقاتُ الجُفُـــونِ

ولاشَرٌّ موجودٌ بإقبـال وجْهِـــهِ ... ولاَ خَيْرَ مَفْقُـودٌ بذاك الجَنَـــينِ

سِرَاجُ الدياجِي حجَّـةُ اللَّهِ صَـــارمٌ ... فَرِي من رقاب الحيْفِ كلَّ وتِـــينِ

جَحِيمٌ لمن يعدو نَعِيـمٌ وجَنَّـــةٌ ... لمستَسْلِمٍ مُسْتَيْقِنٍ مُسْتَلِـــينِ

وعَيْبَـةُ أسـرارِ الإلهِ وكنـــزُهُ ... ولُجْةُ قَامُوسِ العُلوم المَعِـــينِ

ولاعَيْـبَ فيـه غيْر أنَّ بَنانَـــهُ ... يَطُمُّ نَداها مُدْمِنَاتِ الهُتُـــونِ

تُعِفُّ على مرِّ اللَّيَـــالي وَعَوْدِهَا ... سِوَى لازمي مَلْزُومه حرفَ شِـــينِ

يَضِيقُ بمعْنَاهُ المَقَـالُ وحَمْـــالُهُ ... عَنِ القَوْلِ يكْفِي مَن نجا من جُنُـــونِ

فَلَسْتُ لأدْنَى ذرةٍ منْهُ واصِـــلاً ... ولو دُرْتُ كالمَجْنُونِ والمنجَنُـــونِ

فمبلغُ علْمِي أنهُ محضُ كَامِـــلٍ ... مجدِّد مَسْنُـونِ الأمِينِ أمِـــينِ

به قَامت الدُّنْيَا وقامتْ رحاؤُهَـــا ... ولاحتْ شُمُوسُ الحقِّ للمُسْتَبِـــينِ

ومَا مثلُهُ فِي الخَلْقِ من متغَـــوِّثٍ ... ولستُ أُحَاشِي منهُم من ضَنِـــينِ

مُظِلٌّ مُقِـلٌّ سيـد ومحمـــدٍ ... ووارثِـه فِي كُـل دُنْيَا ودِيـــنِ

عليْهِ صَلاةُ اللَّـهِ مـا أنَّ كَامِـــلاً ... يُكمِّلُ منقُـوصًا بوقتٍ وَحِـــينِ

وآلٍ وصحْبٍ كمَّلَ الحقُّ نَصْرُهُـــمْ ... وكُـلٌّ وَفِيٌّ بالصَّـلاةِ قمِـــينِ.

وله يخاطب **البكاي وحماد ابني باب احمد بن الشيخ سيدي المختار** ورأيت هذه الأبيات بكتابة العصر والمكان الذي قيلت فيه وقبلها مالفظه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا

سحمد وآله وصحبه وسلم ولأبي الانوار والأسرار سيدي بن المختار، وفي بعض نسخ ديوان الشيخ سيدي أنه يخاطب بهذه الأبيات البكاي بن الشيخ سيدي محمد وحماد بن سيد اعمر:

إن تملا العينَ من إنسانها البَـــــادِي ... وعينُ إنسانهَا البَكَّا وَحَمَّـــــادِ

فامْلأْ شُدُرَقَكَ من أسْنَى السَّـــلام علَـى ... كِلا الْحَبِيبَيْـــنِ فِي جمْـعٍ وإفْـــرَادِ

وقُلْ وخَيْرُ مقال المرْء أصْدَقُـــــــهُ ... هُنَا صَدِيقٌ إلى لُقْياكما صَـــــــادِ

قَدِ اكْتَسَى من بُرُود الهم بعْدَ كُمَـــــا ... بُرْداً مُوَشًّى بأنكادٍ وأكْمَـــــــادِ

ونَكَّرَ النَّاسَ فِي عيْنَيْهِ إذْ عَطِلُـــــوا ... مِنْ حَلْيِ عِلْقَيْكَمَا تَعْطِيل أجْيَـــــادِ

لازِلْتُمَـا فِي أمَانٍ لايُمَـــــنُّ وَفِي ... سِـــرْءٍ دام دَاهَا ذاتِ أُمْـــــدَادِ

ثمَّ السَّلاَمُ على صحْبٍ جهَابِـــــذَةٍ ... صِدْقِ الْوِدَادِ لنَا هُنَـاكَ أمْجَـــادِ

كل بأحْمَـدِ سِمَـاهُ وأخْيَرِهَـــــا ... وأرْشَدِ اسْـمٍ لهُ يُومِي بِإسْعَـــــادِ

وله في خطار ولفظة خطار تغيير للمختار ولا أدري هل يخاطب المختار ابن سيدي حبيب الله بن الشيخ سيدي المختار أو يعني سيدي المختار بن سيدي البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار أو خطار بن عم الأمين بن الشيخ سيدي المختار[2]:

خطَّارِ جُبْتَ مخـــاوِنَ الأقْطَـــــارِ ... بِخُفَارَةِ الْمُنجِـي من الأخْطَـــــارِ

وعِنَايَةٍ تُبْـدِي سُعُـودَ سعَـــــادة ... ينْهَلُّ واكِفُهـــا بِلاَ اسْتِمْطَـــــارِ

وكِفَايَة تَكْفِي الهُمُومَ جَمِيعهَـــــا ... وتَرُدُّ كَيْـــدَ الحَـاسِدِ الْبَطَّـــــارِ[3]

تنجُو على أكْتَـــادِهَا مُتقلِّـــــداً ... من نصـــرِها بِمُهَنَّـــدٍ سَطَّـــــارِ

ومدرِّعًا من حِفْظِهَـا بوضِينَـــــةٍ ... يَنبو لهَـا حَدُّ الْحَـزِيبِ الطَّـــــارِ

ومُظَلِّلاً من عَطْفِهَـا بِسُـــــرَادِقٍ ... ومُدَفِّئًا من لُطْفِهَـا بِإطَـــــارِ

1- يقطع

2- قف: المعني المخاطب هو خطار بن سيد احمد البكاي بن الشيخ سيد المختار

3- قطاع

وَرَجَعْتَ مُبْتَهِجَ الْجَبِينِ مُسَـــــرْبَلاً ... بنفَائسِ الأطْـــوَارِ والأوْطَـــــارِ

يَهْنِيكَ أنَّكَ صَفْـــوةٌ من سَـــــادَةٍ ... أغْنَى وأجْدَى من جَدى الأمْطَـــــارِ

لهُـمُ على كـــلِّ الأنامِ يَدٌ دَعَـــــتْ ... للّهِ أهْـلَ الصَّـــوْمِ والإفْطَـــــارِ

وأن اصْطَفَاكَ لما تَرَى غَوْثُ الـــــوَرَى ... دُونَ اللّدِينَ الشَّامِخِي الأخْطَـــــارِ

فَلمـوكِبٌ يَـزْدَانُ منك بماجِـــــدٍ ... حُلْوِ المذَاقِ مُصَـــــوَّرٍ فَطَّـــــارِ

قَمِنٌ بـكل فضـيلةٍ وجَميلـــــةٍ ... وكَرَامةٍ مَصْقُـــوفَةِ الأسْطَـــــارِ

ولَمَوْطِنٌ أعْرَاهُ مـنكَ تَغَيُّـــــبٌ ... مستَبْدِلُ الإئْتَـانِ بالإعْطَـــــار[2]

من لم يُشَطَّرْ فِي نَوَاكَ فإنَّنِـــــي ... فِيهَـا عليْك مُشَـطَّرُ الأشْطَـــــارِ

يَانُزْهَةَ الألْبَابِ يَالُبَّ الحِجَـــــا ... ياقُـــرَّةَ العيْنَيْـن يَاخَطَّـــــارِ

وله في **زين العابدين بن الشيخ سيدي محمد** بن الشيخ سيدي المختار الذي تقدم ذكره له بقوله لئن عاق جسمي عن وصالكمُ شغلي، وبقوله: ابلغ نتيجة نخبة الاعلام:

وفْدَ الاحبَّـةِ سرتُم بفـــــؤادِي ... وتَعِلَّتِـي في نوْمتِـي وسُهَـــادِي

وأثرْتُـمُ من لـوْعَةٍ وكَتَابَـــــةٍ ... باليَـنِ مايربُو علـى التَّعْـــدَادِ

وبلغْتُ من لذْعِ التَّشَوُّقِ فيكُـــــمُ ... وأجِبعـــهِ مَاليْـسَ بالْمُـــــزْدَادِ

لاتحْسبُـوا وَجْدِي بكُمْ وَجْداً لـــــهُ ... فيمَـا مَضَـى نِدٌّ مـن الأوْجَـــادِ

اللّهُ يَجْمعُنَـا بكم ويحُوطُكُـــــم ... بالأمْـن والتَّوْفِيـقِ والإسْعَـــادِ.

وقال أيضا في **البكاي** بن الشيخ سيدي محمد:

عمادُ الصبر منك[3] أيـا سَـــــوَادُ ... عَراه بِصَـدْمِ فُرْقَتِـك انْهِـــــدَادُ

وشمْـلُ الأنْـسِ بعْدكَ ليْـــسَ إلاَّ ... رَمَـادَاً للـرِّياحِ به اشْتِـــــدَادُ

وبُعْدُكَ لايِـدت ولا استبـــــدَّتْ ... بحَضْـرِكَ التَّنَـائفُ والبِعَـــــادُ

1- ككتفـ: خليق

2- وفي نسخة: بالتعطار

3- وفي نسخة: بعدك ياسواد

أحلّ مَن انتَ منْـهُ سوادُ عَيْـــــنٍ ... محلّ العيْن فـارقَهَا السّـــــوادُ
وأجّج بالفُـؤَادِ سعِـيرَ شَجْـــــوٍ ... تَعَـــزّقَ منْـــه بالوقدِ الـــفُـــؤَادِ
سلكْتَ سبيلَ قصـدٍ لاَ اعْوِجَـــاجٌ ... يَشِينُ الوَجْـهَ منْه ولا انسِـــــدَادُ
ورَافَقَـك الرّقِيـب بعيْن حِفْـــظٍ ... تُرافقُهَـــا الكَرَامـةُ والرّشَـــــادُ.

ولنذكر أيضا بعض ما **يقول على ألسنة بعض مريدي شيخه** الشيخ سيدي محمد استدلالا على شفقته ومحبته لهم ودليلا على تعظيمهم له واقرارهم بتقدمه عليهم. فمن ذلك مايقول على لسان أخيه في الشيخ الحاج عبد الله وهو صاحب العقار الذي ورد ذكره في مكاتيب احمد محمود بن محمد بن خيري بن بن عفان:

أيا مَن بِيُمْنَـاه زِمـامُ الأمَـــــانِي ... ومَن بسَنَـاه أشْـرق الملـــــوَانِ
ومَن هُو في عِقْد الزّمانِ فَريـــــدةٌ ... بِهَا جِيـدُهُ في زهْوَةٍ وازْدِيَـــــانِ
ومَن هُو غوْثُ المُسْتغيثِ إذَا دَعَـــا ... ونَادَى بأعْلَى الصّوْتِ للحدَثَـــانِ
تَعطّفْ رعَاك اللّهُ واسمَـــحْ ببُغْيَتِي ... فإن لســان الحال جهراً دَعَـــانِي
دَعَانِي وداعِي الحال أصدقُ مُخْـــبِرٍ ... ومَالِي بمَا يَدْعُـو إليْه يـــدَانِ
على أنّ مَن يرْمِي بمَا كانَ عنـــــدهُ ... أعَادِيـه في الحـرْبِ غيْرُ جبَـــانِ
فلمّا دَعـانِي للقُـدوم تَشبّثَـــــتْ ... قَواطِنُ حوْجَائي بسلَيْلِ جَنَـــانِي
تَجاذَبَنِي هـذا وهـذا كِلاهُمَـــا ... وقدْ حِيل بيْن الغَيْـر والنـــــزَوَانِ
فَهَا أنَا مَصْدُومُ الفُـؤَادِ بمُرْجِـــفٍ ... به ضَاقَ عن جُرْمِي فَسِيحُ المَكَـــانِ
حَنانيكُـمُ لاتَتْرُكُـونِي هكَـــذَا ... أُدَاوَلُ بيْـن اثْنيْـن يجْتَذِبَـــانِي
فخلُّوا سبيلِي باستعارة مُهْجَـــتِي ... وفكُّوا إسَارِي بانتقَـاذِ لِبَـــانِي
فأنْتُم لجَائِي واعْتمادِي عَليْكُـــمُ ... وليْس لكُم في الحُب عندي مُسَـــدانِ
فَلازِلْتُمُ تُشْكَرُون من كان شَاكِيَـــا ... ولاَزال مـن تحْمُـونَه في أمَـــانِ
ولاَ زَالَ محْسُوداً سناكم وعِزُّكُـــمْ ... وحابِـدُ كُـمْ في ذلّةٍ وهَـــوَانِ

بِجَـادِ نَبِيٍّ كُنتُـمُ باتِّبَاعِـــــهِ ومـوْرِثه مأوَى اقْتِطَـافِ الأمَـــانِ
عليــه صَـلاةُ اللهِ ثُمَّ سلامُـــــهُ وآلٍ وصحْبٍ[1] ماعنَى الغَوْثَ عَـــانِ
وما طبَّقَ البحْرُ الخِضَمُّ ابتِلاعَـــهُ وجادَ لغَـوَّاصٍ بِدُرٍّ حِسَـــانِ

وله أيضا على لسان أخيه في الشيخ احمد بن محمد بن الحاجّ الفلاليّ المعروف بالسُّوسي:

عَبْـدٌ تَـوَلاَّهُ الإلهُ وَحَبَّـــــهُ فكَفَـــاهُ مَايَعْنَـي بِهِ وَحَبَـــاهُ
من سرَّهُ أن ينثنِـي من ربِّـــــه بِولايَـة وَعِنَـايَـة تَرْعَـــاهُ
وسعَـادة أبديـة وسيـــــادة قعْسَاء يُحْمد عندها مَسْعَـــاهُ
ومكانة يسْمُـو بها بيْن الـــــوَرَى وصيـانَة عن كلِّ مايَخْشَـــاهُ
فلْيَسْعَ فِي مَرْضَاتِه فَاللَّـــــهُ مَا أرْضَى الْمُقَـرَّبَ عنده أرْضَـــاهُ
وَمن انثنى برِضَا الإلهِ فَحَسْبُـــــهُ وكفـاهُ ما حَظِيَـتْ به كَفَّـــاهُ
إنَّ السعيدَ وأرتَجِي أنْ أكُونَـــــه لحَبِيبِهِ عَبْـدٍ عَبَّـه مَـــــوْلاَهُ
فاللَّهُ يَجْعَلُ حُبَّنَـا ورِضَانَـــــا فِيمَا يُحَـوِّلُ حُبَّهُ ورِضَـــاهُ.

ومع هذه الأبيات رسالة فائقة من ثلاث صفحات من انشاء قائل الأبيات أيضا على لسان ابن الحاج وقفت عليها بخط منشئها.

وقال في رجل يقال له عبد العزيز من تلاميذ مشائخه رضي الله عنهم آمين ماعدا البيت الأول من القصيدة فقد لُقِّنَهُ الرائي وحفظه في المنام، وهو عبد العزيز فقد رأى في المنام قائلا يقول:

(طُوبَى لعبد العَزِيز من رجُـــــلٍ طُوبَى لَهُ إنهُ هو الرجُـــــلُ)
طُـوبَى لـه من سعيدٍ سابقَـــــةٍ عنْهُ بها وسْمُ الشَّر منْحَـــــزِلُ
حَبَتْهُ نوْعـا من المفَـاخِرِ لَـــــمْ يَحُزْه من قبْلِ حوْزه رَجُـــــلُ
يبجل الشيْـخ والْمُريدَ معًـــــا وكـلُّ ما حمَّـلاهُ يحْتَمِـــــلُ
ويَمْنَـحُ الخلْـق كُله خُلُقًـــــا بحُسْنِـه كَاد يُضْرَبُ المَثَـــــلُ

---

[1] - وفي نسخة: وءالا وصحبا

كفاهُ أنّ الإلـهَ خَـوّلَـنـي ... صُحْبَةَ اصحابه الألى فَضِلُوا

من ليْس يَشقَى جليسُهمْ بهمُ ... ومن بِهِمْ ذُو الفِصال يتّصِلُ

وأن خيْـر النِّسـاء قاطِبَـةً ... ربتْ ومنْهَا الرُّحمى له تَصِلُ

كَفعْلِهَـا في الحيـاة لاعُدِمَـتْ ... وَلا عَدَاها السُّرور والجَـذَلُ

وَأنهُ قَـد سقـاه من يُسـعِده ... غوْثُ الورَى والخَليفةُ النجَـلُ

فكـان من سـالفٍ له نَهَـلٌ ... وكان من خَالفٍ لـه عَلَـلُ

وَآض مـن سَقْيِـه بِمحْضِهِمَـا ... لربه منْه يُمْحَـضُ العَسَـلُ

ومن يكن هكـذَا يُخَـصُّ بِمَـا ... به تُسَرُّ القُلُوبُ والمُقَـلُ

بحرْيْن أجْرَاهُمـا الكَريمُ عُـلاً ... لمن لَـدى بَاب فَضْلِـه نَزَلُوا

كِلاهُمـا يَسْتفِيـد غَائِصُـهُ ... كَنزاً من الفَضْل مَالـهُ مَثَـلُ

وَينْتَهِي في الصُّعُـود سَالِكُـهُ ... إلى مقامَات دُونَهَـا زُحَـلُ

حَتـى يُرَى فَرْدَ عِقْـد أزْمُنِـه ... يُنْفَى بِهِ عن جُيُـودِهَا الْعَطَـلُ

وَبـدْرَ تـمٍّ لجَـوِّه جَلَـحٌ ... به دُجَى الجَاهلِـين تَنْفَـزِلُ

وصَارما يُصْرَمُ الْفُسُوقُ بِـه ... وَيَضْمَحِـلُّ الْمِـراءُ والْجَـدَلُ

وَمَفْزَعًا يَفْـزَعُ الْمَـرُوعُ لَـهُ ... إذَا رَمتْه الحـوادِثُ الْجُلُـلُ

وخِضْرِمًا يَقْـذِفُ النُّضَـارَ إلى ... ساحِله موجُـهُ وَيَنْتَشِـلُ

وَمُسْبِلا يُصْبِـحُ الْجَدِيبُ لَـهُ ... من بعْد مَحْلٍ وروضُه خَضِـلُ

وَسَيِّـداً قَائـداً لسَيِّـده ... من ضَلَّ من خَلقه ومَنْ عَـدلُوا

وجِهْبِـذاً عارِفًا بِخَـالقِـه ... له به عـن سواه مُشْتَغَـلُ

بِحُسْـن أخْلاقه يهـذِّبُ مَـن ... قَدْ مَنَحُوه القِيَادَ وامْتَثَـلُوا

هَـذِي لعَمْـرِي هي المَفَاخِـرُ لا ... جُرْدُ الْفُحُول الْجِيَادُ والبُـزُلُ

ولا غَـوَانٍ تُـزَفُّ نَاعِمَـةٌ ... فِي حَلْيِهَا والحِلال تَرْتَفِـلُ

وَلا جَـوار تَـرُوقُ بَارِعَـةٌ ... جَمِيعُهـا بِالْجَمال مُعْتَقِـلُ

ولادُثُـورٌ تصَـانَ مُـونِقَـــــةٌ أوْ وِلْـدَةٌ عَسْكَرٌ له زَجَـــــــلُ

شَتَّـانَ مَابيْـن ذي وَذي شرَفًـــــا وبيْـن أهْليهمَا إذَا انجَـــــــدلُوا

قَلَّ متَـــاعُ الـدُّنَا وزِينَتُهَـــــــا وَالبَاقِيَاتُ الأخْرَى هي الفُضَـــــــلُ

فنَسْئل اللَّـــــــه جَلَّ مُوجِـدَنَـــا بحـــقِّ مَاقد أتَتْ بِه الرُّسُـــــلُ

من طيـب الخَـــــــق أنْ يطيبنـــا بما به طابَ أصْلُنَـا الأصِـــــــلُ

فَالسَّـادَةُ الطَّيِّبُـــــــونَ تالْفُهُـمْ فتَسْرِقُ الطِّبْعَ مِنْهُمُ الخَـــــــولُ

وطيب أصْـل الفُـــــــرُوعِ مُلْتَـزِمٌ لطيب ماهـو عنْه مُنفصِـــــــلُ

وأن يُجَـازِيَهم بـــــا فَعلُـــوا جزاء مَن وصلُوا من انفصَـــــلُوا

وإن يُعـافِيَهـــــــمْ ويُنـزِلَهـم حصْنًا من العز فَوقَ ما نـــــزَلُوا

بألْـفِ آلاَف ألْـــــــف منـزِلـةٍ وضِعْف أضعافها كما انتخـــلُوا

وأن يبـــالي بنـــــــا فيقبَلَنـا قولا وفعـلا كما هم قُبِـــــلُوا

وأن يبـــاهـــــــي بنا فيمنحَنَـا ستْـرا جَميـلا مَمَّا به جُمِـــــلُوا

وحُلَّـةً من لبـــــاس خَوْفِهِـــمُ فيهـا عن المُوبِقَـات تَشْتَمِـــــلُ

وحِلْيَـةً من نُضَـــــار طبْعِهِـــمُ بحُسْنِهـا في اللقـاء تَحْتَفِـــــلُ

وهمـةً في الشُّمُـــــــوحِ قاصِيَـةً بهـا لأقْصَى المقـام ننتَقِـــــلُ

ومحْتَمـا باتبـــــــاع سُنةِ مَـن بإرْثِـه الكاملُـونَ قدْ كمُـــــلُوا

صلَّـى عليْـه الإلـــــهُ باعِثُـهُ مادَامَ فى فَضْلِـه لـه أمَـــــلُ

والآلِ والصَّحْـبِ والـــــذينَ هُـمُ على انتهاجِ السَّبِيل قدْ جُبِـــــلُوا.

ويظهر من قول صاحب القصيدة:

فَكَانَ مِن سَالِـفٍ لَهُ نَهَـــــــلٌ وكَانَ مِنْ خَالِـفٍ لَهُ عَـــــــلَلُ

أن عبد العزيز هذا كان مع الشيخ سيدي المختار في حياته وحياة الشيخة ويدل على ذلك أيضا ويوضحه قوله:

كَفَـــاءُ أَنَّ الْإِلَـهَ خَـــوَّلَـهُ، إلى قوله: وَأَنَّهُ قَدْ سَقَاهُ مِنْ يَدِهِ غَوْثُ الْوَرَى. وكونه بقي مع الخليفة الشيخ سيدي محمد لايحتاج بيانا.

ولعل عبد العزيز هذا هو اعْزِيزْ بن العالم بن محمد بن سيد الأمين الأزرق الذي كتب له الشيخ سيدي محمد دعوة وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ.

وقد قال فيه:

أبشر بفتح من المولى وإتحـــــــاف ... وربح مسعى وتنويه وإسعـــــــاف

وأحسن الظـــن بالمولى فإن لـــــــه ... كفّا سموحا بتنويل وألطـــــــاف

وأنه عند ظن العبد فاعْـــــــجْ بِهِ ... لُطْفًا وبرًا وإفضالا على العـــــافي

وأسألُ اللهَ وهو الْمُستَجِيـــــــبُ دُعَا ... ذِي الاضْطِرار الْمُنِيبِ البائس الـــوافي

لكَ البلوغَ إلى أسْنَى مبَالـــــغ من ... سُقُوا شَرَابَ الوِصال المنعْشِ الشَّـــافِي.

وقد رأيتُ ورقة مما كان في المجموعات التي انقل منها كتابة فوق قصيدة الشيخ سيدي التي يمدح بها شيخه الشيخ سيدي محمد التي ستاتي إن شاء الله مالفظه: "حمدا لمن بدل الاحزان والاتراحْ بالسرور والأفراحْ والصلاة والسلام على افضل من ضرب بالصفاحْ واسعف طالبه بالانجاحْ وعلى آله وصحابته الهداة الصحاحْ هذا وإنه من كاتبه وأسير ذنبه عبيد ربه محمد اعْزِيزْ بن احمد العالم سلام ألذُّ من التسنيمْ وابرد من النسيمْ أضوأ من اليواقيت للأبصارْ وأشهى للسائلين من قضاء الاوطارْ يقبل بشفتي المحبة والاقبالْ راحتي شيخ الطريقة والكمال سيدنا وابن سيدنا في المضي والحال ويعد فهذه قصيدة أتطفل بها على الحضرة لتحضرني في الهمة وجعلتها هدية لتكون لي توقية ورسمتها أسطارا ليقضي الله لي بكم الاوطار وهي هذه:

مَالِي أُكَابِدُ مِنْ دُنْيَايَ وَالدِّينِ"، إلى اخرها، فلعله انتحلها أو انشدها لأنها من شعر صاحب الترجمة بلاخلاف ولعل ما بينهما من الصلة هو الذي أدى به إلى انتحالها ويكون انتحاله لها هو السبب في قول المترجم له: طُوبَى لِعَبْدِ الْعَزِيزِ، القصيدة المتقدمة إلا أن الترجمة المبدوءة بلفظة: حمدا، المنتهية

عند لفظة الاوطار، بكتابة تخالف كتابة القصيدة مخالفة ظاهرة مما يقطع ناظرها بأن الكاتب للترجمة وكتابة القصيدة لايصح صدورهما من شخص واحد. ولفظة لتحضرني في الهمة مكتوب باللفظ الحساني بماصورته (لتْحظرن) والالف بعد لفظة: ورسمتها أسطار محذوف في الكتابة أيضا. وتبتدئ الكتابة المتناسقة من لفظة: وهي هذه.

فلعل الكاتب وجد هذه القصيدة ولم يعرف قائلها فكتبها عند انتهاء الرسالة المذكورة ولم يجد ماقال عبد العزيز أو عبد العزيز لم يقل شيئا أصلا ولكن اخذ قصيدة الشيخ سيدي انتحالا والله تعلى أعلم

وله ايضا في تقبيح ماصنعه بعض الطغام من مناهبة الطعام بين أيدي مشائخه الأعلام:

أشد ما قد جرى في سائر الأمم ... من الحروب ذوات الهرج والضرم

حربٌ تَوقَّدها حرصُ البُطُون على ... نيل المآكل من قفر ومُؤتَدِم

بيْن القصاع وبيْن مَن له شَرَهٌ ... من الأضاميم من عُرْبٍ ومن عجَم

حَرْبٌ يُعربُ عنْها كلُّ ذي نَظَرٍ ... صحّت عقائدُه وكل ذي كرَم

وكُلُّ مَن عطف النَّفْسَ الجموحَ على ... مَكْروهِها ليقيها كُلفةَ النَّدَم

وليْس يَرغَبُ فيها غيرُ مُمْتَثِل ... لأمْر حَوبَائه لله مُتَّهِم

من كلِّ فَظٍّ غَليظ القَلْب مُنتَهِك ... لم يَرْض ماقسَم الرحْمانُ في القِسَمِ[1]

ومَن يأرْذَل عيْش باعَ مُهْجَتَه ... من كلِّ هلْباجَةٍ سَبَهْلَل وخِم

ومَن يُرَى عابسًا عند الطَّوَى غضِبًا ... وفي التَّضلُّع ذَا بُشْرَي ومُبْتَسَم

قومًا كفَى بهمُ شُجْعانَ معْتَرك ... إذا العِدَى دَهمُوا في حالك الظُّلَم

يَبيتُ جَيْشُهمُ يَقظَانَ من حَذَرٍ ... والخَيْلُ مُسْرَجَةٌ عوالِكُ اللُّجُم

حتَّى إذَا مَا بَدا جَيْشُ القصاع لهمْ ... على مراكبَ من جَمَاجِم الحَشَم

أتَوْهُ في لَجَب من كلِّ نَاحيَةٍ ... وسيْفُ آنيَةٍ بكفٍّ كلِّهِم

---

1 - وفي نسخة: في القسم

فحاولَ الذّبَّ عنْه بعـــــضُ جِلتِهِـــمْ ... وشَاعَ هَاتِ سِهَادِفْ[1] فِي جميـــــع فَـم

فَشُتِّتَ الغارةُ الشّعْوَاءُ وارْتَجَسَـــــتْ ... رُعُودُ هَمْهمةِ الأبْطـــال والبُهَـــم

وفَلّقُوا قِحْفَ كُل مطعَـــــم بظُبَسى ... كُل حُسامٍ من الاقْـــداحِ مُصْطَلـــم

وشَتّتُوا شَمْله من بعْـــد مَا انتَشَرتْ ... أحْشَـــاؤُه بِقَنَـــــى أكُف كل كمِـي

وآبَ كلُّهمُ من بعـــد ما اعتَنَقُـــوا ... بِمَا أتِيحَ له في النَّهْـــبِ من قَسَـم

وكلُّ ذِي ظفَـر منهـــــمْ بواجـدةٍ ... من القِصاع حَمَاهـــا حِمْيَةَ الحُـرَم

لذَاكَ وقْتٌ يَبُوح الحِـــــرْصُ فيه بمَا ... قد كانَ مُكْتتمًا مـــن سيء الشّيَـم

إذَا تأمّلْـــتَ أكْلهـــــمْ وجدتهُـمْ ... مَابَيْن مُنتهِـــــشٍ وبيْنَ مُلْتَقِـم

أكْلَ اللّيُوثِ الضُـــــوَارِي وَهْي خَائفةٌ ... وَقَدْ مَضَى زَمَنٌ لهَـــا عَن الطُّعَـم

فَلا احْترام لمن تَحِـــــقُّ حُرْمَتُـــه ... ولا الْتِفَـــاتَ على من صَدَّ بِالْكَرَم

ولاسَمَـاعَ كأنهـــمْ ذَوُوا صَمَـمٍ ... ولاكَـلامَ كـأ نَّهـــمْ ذَوُوا بَكَـمِ

إلاّ بُغَامَ البَلاعِم المسُـــــومَةِ مَـا ... لايُسْتطاعُ من الإسْـــرَاف في اللُّقَـم

اللّهُ يَعْصِمُنـــــا من كلّ مُقْتَضَـحٍ ... في كلّ معْتَـــرَكٍ وكُل مُزْدَحَـــم

بِجَاهِ خَيْـــر نَبِي جَـــــاء مُنْبَجِسًا ... لِكلّ ذِي نِسْمَـــةٍ من سَائر الأمَـــم

صلّى عليْه إلَهُ العَرْشِ ماوقَـــــدَتْ ... حَرْبٌ موَقّدَةٌ من جَاحِـــد التُّخَـــم

وله ايضا هذه القطعة استغفارا من ذكر ماورد في هذه القصيدة:[2]

أستغْفرُ اللّهَ وقْت الجُوع والشّبَـــــع ... أسْتَغْفر اللّه وقْت الْيَأس والطّمَـــع

أستَغْفرُ اللّهَ منْ كُلّ الْحُقُـــــوق ومِنْ ... مَاقد جَنَيْتُ على الْمِسْكِين منْ جَـزَعِ

---

1 - المغرفة في لغة أهل تلك البلاد

2- وردت هذه القصيدة في الصفحة 194، من الدفتر الثاني من الكتاب، أي بعد 57 صفحة من هذا المكان وعلق المؤلف في إيراده لها بقوله: «وكان من حقها أن تكتب بعدها»، أي الميمية، فامتثلت رغبته، الناشر.

أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِن تَكْبِيـــــرٍ مُلْتَقِـــمٍ ... وَمِن تَكَلُّـفِ مَـــا يُزْرِي بِمُبْتَلِـــعِ

يَارَبِّ رِفْقًا إِذَا الأَيْـــــدِي قَد ازْدَحَمَتْ ... عَلَى الطَّعَامِ بِأَكْلٍ فَاضِـــحٍ شَنِـــعِ

يَارَبِّ رِفْقًا إِذَا مَا الْقَـــــومُ قَدْ بَذَلُوا ... أَجْهَادَهُم فِي وَغَى مَعَـــارِكِ الْجُـرَعِ

يَارَبِّ ثَبِّتْ إِذَا مَا الْقَـــــوْمُ قَد رَكِبُوا ... إِلَى النِّهَادِ جِيَادَ السَّـــلْعِ والْهَلِـــعِ

يَارَبِّ ثَبِّتْ مَقَالَتِـــــي إِذَا كَثُـــرَتْ ... عِندَ الطَّعَامِ أَغَالِيـــطُ ذَوِي الْجَشَـــعِ

وَعِنْدَ مَا عَرَّدَ الضَّعْـــــافُ مِن خَـــوَرٍ ... وعِند مَا اسْتَبَقَ الشُّجْعَـــانُ لِلنَّقَـــعِ

واخْتِم لَنَا زَمَنَ الْمَنْهَـــــى بِخَاتِمَـــةٍ ... تَقْضِي عَلَيْنَـــا بِأَنَّا من ذَوِي الْـوَرَعِ

ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى الْمُخْتَـــــارِ سَيِّدِنَـــا ... مَاصَدَّ ذُو الْغَبْنِ قَـــبل الْقَوم من شِبَعِ

وَالآلِ والصَّحْبِ ما تَشَوَّقَـــــتْ وَهَنًّا ... إِلَى الْوِلائِدِ نَفْسُ الْجَـــائِعِ الْجَشِـــعِ

وَالتَّابِعِين لَهُم مَاقَـــــال قَاسِمُنَـــا ... يَاقَوْمِ هَاتُوا لَنَا الْعِيـــــدَانَ لِلْفُـــرَعِ.

ولعل قوله: ياقوم هاتوا لنا العيدان يبين المراد بقوله السابق: وَشَاعَ هَاتِ سَهَادِفٌ فِي جَمِيعَ فَم والله تعلى أعلم.

ويكفي هذا من الدليل فيما يتعلق بالتلاميذ، فتكلم على السنتهم وزجرهم وقبح عليهم مايلزم تقبيحه وخاطب أبناء مشائخه بما ينبغي خطابهم به وحتى انتحلوا شعره معرفة منهم بسماحته لهم بذلك. وتظهر لنا قصيدته هذه مايذكر عن بلاد أزواد من صعب المعاش وكثرة من يجتمع في حضرة أشياخه من التلاميذ والأضياف وغير ذلك حتى ألجأ ماذكر التلاميذ إلى ما وُصف في القصيدة. وترى تعففه وكرم أخلاقه الجناه إلى قول ماقال.

وقد بلغنا أنه في شهر رمضان في بعض الأزمنة هو ورفيق معه لايجدان من المطعم إلا خُمُس نفقة من مذاق يصنع من دقيق إنيت وبنوي هو {**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**} ويري صاحبه أنه ياكل معه تطييبا لنفسه، وبلغنا أن رفيقه ربما فكر فيما يفكر فيه هو فإذا بما عندهما بحاله يتحاماه كل منهما، فلله درهما ما اكرمهما وأحسن شيمتهما.

وقف على قوله للتلاميذ في هذه الحال فيما ياتي إن شاء الله تعلى.

ولنذكر قليلا من **ترجمة الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار من الناحية العلمية** يستدل به الواقف عليه على مابلغ من الرسوخ في حياة والده مما أدى إلى كونه هو الخليفة بعده مع تأخر مولده عن بعض إخوته.

فقد جاء في بعض المراسلات التي جرت بينه وبين والده مالفظه بعد كلام من رسالة لوالده إليه: "فاشتغالك بالتعلم قبل فوت أوانه أهمُّ وأولى وأحبُّ إلي وأحلى فاجعلْ همك العلم بأحكام اللهْ وهمتك التقرب إلى الله باللهْ تنجح رغباتكْ وتربح تجاراتكْ والله أسئل أن يعينك ولا يبينكْ وإن يثبت عزمك ويقينكْ ويحقق صدقك وتمكينكْ وإني متطفل بك على موائد الحق وأرجولك القبولْ وأن تمنح السولْ فهو الذي لايخيب فيه الرجاءْ ولا يتعاظمه العطاءْ والسلام".

ويكتب الشيخ سيدي محمد في رسالته إلى والده بلصق لفظة والسلام مالفظه: "فعقدت لذلك مع الله عقدا أن لا أزايل طلب العلم والتعلق بأذيالكم مدة العيش مالم اتخرج على أيديكم أو اموت دون ذلك وأن لا انقطع عن الصحبة أو ينقطع مناط الروح من البدن فكنت على ذلك مدة من الزمن أكابد التعلم واستعمل الدرس والتفهم مع طلب الفتح وصالح النفح آناء اليل وأطراف النهار حتى حصل عن بركتكم وطيبات نفحاتكم ما الشكر لله ثم لكم عليه مما الفتح فيه من عنايتكم أتم وأقوى من أثر الكد في تحصيله".

وكتب إليه والده أيضا إثر الحمدلة والصلاة على المنتقى المحبوب: "أما بعد وفقك الله وأرشدك وأعانك إنه لاأهم بعد تحصيل فرض العين من الاشتغال بمعرفة علوم اللسان التي بها التوصل إلى معرفة معاني الحديث والقرآن فلتصرف الهمة إلى تحصيلها ثم بعد تحصيلها فاشتغل بعلم الحديث والتفسير فهو ما مضى عليه صنيع السلف ومر به عمل أعيان الخلف والخدمة إنما تكون حيث احتيج إليها بعد الفراغ من ذلك المهم مع أني متكفل لك بأوفى مانال خادم هذا الجناب فإياك أن يقطعك الالتفات إلى السُّرى أو يعوقك الميل إلى الشهوات والهوى فإن حاصل ماترى من هذه الدار الفانية سراب بقيعة يحسبه الظمآن الراقب شرابا حتى إذا جاءه الفناء عدما محضا وخرابا فاقطع النظر عنها وتوردع بقلبك منها والله أسأل لك العون والتوفيق والصدق الخالص والتحقيق والسلام".

ويكتب الشيخ سيدي محمد بلصق هذا مالفظه: "قصد هذا من تصميم العزم على الانقطاع إلى الخدمة تلك المدة وثني بعنان العزمة إلى الاشتغال بعلوم اللسان فأفرغت فيها الجهد وأعملت فيها الجد فساعدت بحمد الله العناية فجاء منها مالم يتهيأ بسببٍ ولم يحصل بكد ولاتعبٍ فاشتغلت بأخذ الحديث وروايته فأخذت النزهة والمواهب اللدنية وشفاء القاضي عياض وجامع السيوطي وصحيحي البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك كل ذلك قراءة بحث وتحقيق من أولها إلى آخرها ثم شرعت في التفسير سنة اثنين بعد المائتين والألف مفتتحا له يوم الاثنين سابع عشر رمضان المعظم تُملون في الآية واكتب غرائب التفسير وعيونه من فاتحة الكتاب إلى أن انتهى كتب الإملاء لآخر سورة يوسف عليه السلام لطروق السفر القاطع لإمكان الكتب وفي تلك المدة فرغنا من تفسير الكتاب العزيز ثم استامركم العميد فيم ياخذ فأشرتم بكتب القوم المؤلفة في علم طب النفوس وكيفية السير إلى الله عز وجل واحكام التصوف فقرأت جميع مؤلفاتكم الكفيلة في الفن بما لم يحم حول حماه حائم ثم قرأت كتب ابن عطاء الله كالحكم والتنوير وتاج العروس وغيرها وكتب الغزالي كالاحياء والمنهاج والتنبيه وكتب الشّعراني كالرياض والعهود وغيرهما وأجزتم في هذا وغيره من سائر مروياتكم إجازة بالسند مطلقة في هذا عامة في جميع مائجوز روايته وتحسن درايته مما صح به السند وثبت فيه النقل وذلك التاريخ سابع عشرين[1] ربيع النبي من عام ثمانية بعد المائتين والألف بعد إجازات خاصة في الاوراد والتوجهات منها ماوقع مفتتح القرن ومنها ماهو بعده".

وذكر الشيخ سيدي محمد في كتابه "إرشاد السالك إلى أقوم المسالك" أن والده لقنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين او تسع قبل اخذ الورد القادري وجعل ملزومه منها اثني عشر ألفا بالليل ومثلها بالنهار قال: "فرأيت لذلك من أنواع الفتوح والاسرار مالا أسمح بشرحه".

وجاء في هذه المراسلات أيضا في اثناء كتابة الشيخ سيدي المختار جوابا لأبنه الشيخ سيدي محمد مالفظه بعد كلام منهم: "والجواب عن ذلك أن معاملتك معنا بارك الله فيك وأرشدك من أحسن المعاملات نسئل الله تأييدك وتسديدك وأن يديم شكرك ويواصل مزيدك". وفي اخر هذا الجواب مالفظه: "فاعلم أني لم أزل أسئل لك الله عز وجل وأتطفل بك على موائده وأرغب إليه في أن يغمرك

---

1 - هكذا

يبحر عوائده فشق بالقبولْ وطب نفسا بنيل السولْ وتحقيق المامولْ فاقطع علاقة الاياسْ بحسن الظن برب الجنة والناسْ والسلام".

وجاء في الورقة الأخيرة منها التي هي عاشرتها مالفظه:

"ليعلم الواقف عليه أنني اجزت ابننا البار في أن يعطي الأوراد السلسلية والاذكار الإلهامية والمروية والاحزاب والتوجهات على وجه الصون والعون لأني رأيته أهلا أن يباشر ذلك بعد الامتحان والنظر والامعان والاستخارة وفق الاشارة حسبما هو مرقوم بيده والله اسئل أن يعينه ولا يبينه وأن يثبت عزمه ويقينه عبد ربه المختار بن أحمد بن أبي بكر".

"ومن خط الشيخين رضي الله عنهما نقلت"، هكذا في النسخة التي نقلت منها مباشرة ولله الحمد، مما جاء به جدنا الشيخ سيدي الكبير المترجم له من عند مشائخه اذ قد تقدم في طرف من خبره شدة اعتنائه بالحصول على كل مايصدر عنهم من كل شيء.

وقد قال الشيخ سيدي محمد لوالده في يوم الفطر عام ثمانية عشر بعد المائتين والألف قصيدته الرائقة التي مطلعها:

تَعْظِيمْ مَاعَظَّمَ الرَّحْمَنُ ذُو الْمِنَـــــنِ فَرْضٌ عَلَى مَنْ جَرَى دِينًا عَلَى سَنَـــنِ

وهي طويلة غاية وفي أعلى مرتبة من مراتب الجودة.

فنرى مما تقدم كثرة ماحصل من العلم في جميع الأنواع ويظهر ذلك في سرد **إجازاته** لمن أجاز في مختلف العلوم.

فمن ذلك إجازته لإبنه الشيخ سيدي المختار الصغير الملقب باد بتفخيم الباء التي جاءت في المراسلات الطويلة التي جرت بينهما في امور مهمة؛ فجاء في الورقة الأخيرة منها مالفظه: "وأما إعطاء الأوراد القادرية والاحزاب والتوجهات المختارية فقد أجزتك فيها بنحو ما أجازني به الشيخ الوالد رضوان الله عليه بالسند المتصل المسلسل إلى اشرف الرسل بشرطه المعروف وسننه المألوف خلفا عن سلف بنحو ماتراه مرسوما إثر الأحزاب على نحو ما كتبه الشيخ رضوان الله عليه بيده اليمين وقلمه الميمون والله

تعلى أسأل أن يعينك ولا يبينك وأن يثبت عزمك ويحقق تمكينك وكتب لتاريخ اليوم الثالث من شهر الله تعلى المحرم فاتح عام اثنتين وثلاثين بعد المائتين والألف عبد ربه الغني به محمد بن المختار بن احمد بن أبي بكر".

وللشيخ سيدي المختار هذا مع والده الشيخ سيدي محمد كثير من المراسلات النافعة الهامة. وكان ابنه عَلْوَاتْ معلما للصبيان وكان يراسل والده ايضا فيما يجوز من ضربهم وفي جوابه له عن هذه المسئلة آداب نافعة.

وإجازته للأخ اللبيب الالمعي الأديب محمد بن البركة الفقيه حَامْ في الفقه على مذهب الامام مالك بالسند إليه خصوصا من طريق الشيخين أبي عبد الله محمد بن أبي زيد القيرواني وأبي المودة خليل بن إسحاق بإسناد الرسالة والمختصر إليهما وإجازته للشيخ سيدي صالح بن الشيخ محمد الاغْظَفْ الْجَعْفَرِي نجارا الْبَاغْنِيْ وطنا ودارا في الاوراد القادرية والاحزاب والتوجهات المختارية وكتب في آخرها مالفظه: "أمدنا الله وإياكم بمدد التوفيقْ وسقانا وإياكم من رحيق التحقيقْ وجعلنا وإياكم ممن هدى سواء الطريق والله تعلى أسئل لك أيها الأخ الشفيقْ الكتب في ديوان خير فريقْ وأن يعينك ولا يبينك وأن يثبت عزمك ويحقق تمكينك إنه المتقبل للدعاء المتولى بنصره وعنايته حزب الاولياء. وكتب مجيزا عبد مولاه الغني به ممن سواه محمد بن المختار بن احمد بن أبي بكر كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا".

وإجازته للشيخ المختار بن الشيخ مولود وفي هذه الورقة ذكر أخيه الشيخ محمد والشيخ سيد من بعده والزم فيها إدْلَبَ الدخول تحت بيعته وكتب آمرا وحاكما بما سطر عبد ربه الغني به محمد بن المختار بن احمد بن أبي بكر كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا.

وإجازته للطالب أبي بكر بن السَّيِّدِ الكُنَانِيِّ وألزم من كان تحت نيابة أبيه طاعته.

وإجازته لمريده سيدي علي بن سيد المختار العلوي في مروياته وسرد اكثرها في سائر مختلف العلوم في الفقه والاصول والنحو في ذي العقدة من عام 1231 .

وإجازته لمريده الصادق وصاحبه الفائق أبي الانوار محمودْ بن القَصْري إدَيْلْبِيِّ النَّعْمِيِّ في الرواية عنه مطلقا وإرواء جميع مروياته من الصحاح وغيرها وسرد سنده في صحيح البخاري وسنده في صحيح مسلم وسنده في الموطإ وسنده في الشفا وبقية الصحاح والمسانيد المعتبرة وكتب الحفاظ المدونة في الأخبار والآثار ككتب الحافظ جلال الدين السيوطي وكتب ابن الأثير أجازه في جميعها بالاسانيد المتصلة له بالرواية فيها إلى اصحابها ويصدُر سنده فيما ذكر جميعا بوالده الشيخ سيدي المختار ويصرح أنه قرأه عليه من أوله إلى آخره مع المناولة بشرطها المعروف وأرخ هذه الإجازة بأواخر رجب الفرد من عام اثنتين وثلاثين بعد المائتين والألف.

وإجازته لمريده سيدي احمد بن الحاج بن سيد أحمد بن الفغ الشريف السِّيداوِيِّ ثم الْغَلاَوِيِّ في الصحيحين وموطإ إمام دار الهجرة وشفاء القاضي عياض لتاريخ أوائل جمادى الأولى من شهور سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والألف.

وإجازته للمريد الأرضي والأخ المرتضى سيدي الحبيب بن سيد أحمد الجكني ثم السُوسَانِيِّ في إعطاء الاوراد القادرية والاحزاب إجازة مطلقة في جميع مروياته بأسانيدها رواية وإرواء لتاريخ أوائل جمادى الأولى من عام 1233 .

وإجازته لمريده سيدي محمد الْخَرْشِيِّ بن محمد العربي البِلِّيِّ بأواسط شهر الله المحرم مفتتح عام اربعة وثلاثين بعد المائتين والألف وهذه الاجازة افرد له فيها إجازة الحديث عن غيرها وقد اجملها له الشيخ سيدي المختار مع غيرها فطلب من الشيخ سيدي محمد إفرادها له فأفردها على نحو ما أجاز به سيدي احمد بن الحاج بن سيد احمد بن الفغ الشريف السيداوي الغلاوي .

وإجازته لمريده الصادق المهذب الأريب القدوة سيدي البخاري بن سيدي محمد الامين بن الطالب سيدي احمد بن البشير السُّوقي[1] البُوجَبيهِي في الطريقة القادرية والاحزاب والتوجهات بل في جميع ماتصح به الرواية عنه لتاريخ أوائل جمادى الأولى من شهور سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف .

---

1 - قف على ما سياتي في خبر السوقيين وقصرهم "بوجبيه"

وإجازته للأخ الأرضي والمريد الفائق المرتضى الأديب ذي المجد السامك العلي والسر الاسنى احمد الولي بن حبيب الله بن المختار الأبيري ثم اليَهَسِيِّ في إعطاء الاوراد القادرية والأحزاب والتوجهات المختارية وفي الصحاح وغيرها إلى آخر ما أجازبه مريده محمود بن القصري وأردفها بوصية سنية طويلة أوائل شهر الله جمادى الأولى من شهور عام خمسة وثلاثين ومائتين وألف.
وقف على شيء من ترجمة هذا الرجل في الكلام على اهل بُتّار وأهل بُگّ من أولاد موس بن اجهس.

وإجازته للشريف الأمين الگلگمي في جميع مروياته تفسيرا أوحديثا وفقها وتصوفا ونحوا وتصريفا وأصولا دينية وفقهية ومعاني وطبا ولغة وعروضا بعد الأوراد القادرية والتوجهات المختارية كل بالسند المتصل لتاريخ ثاني المحرم فاتح عام ستة وثلاثين ومائتين وألف.
وقد كتب له وصية كبيرة مفيدة جاء في آخرها مالفظه: "وقد سبكناك إبريزا خالصا وسوف تصوغك بحول الله ومشيئته تاجًا تتحلى به الرءوس وتتنافس فيه النفوس والسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته".

وإجازته لمريده الأصفى وأخيه الأوفى محمد المصطفى في إعطاء الأوراد القادرية والأحزاب والتوجهات المختارية وفي الصحاح وغيرها للتاريخ السابق على هذا وزاد بعدها وصية كالتي قبلها أيضا.

وإجازته لمريده الحاج احمد التُّرگُزِيِّ مجاورا التِّيشِيتِي داراً في استعمال الاسم الأعظم المستنبط من سراسم الجلالة وليعلم أن اسماء الحق كلها عظام وفي هذه الإجازة علم كثير كبير.

وإجازته لمريده الفائق وأخيه الصادق الذائق احمد طالب ابن محمد بن جِدُّ بن خَلِيفَةَ ابن الطالب المصطفى الْفَلاَّوِيِّ ثم الأحمدي فيما تصح به الرواية والارواء عنه والنيابة من اعطاء الاوراد القادرية والاحزاب والتوجهات المختارية ثم في صحيحي البخاري ومسلم وموطإ إمام دارالهجرة وشفاء القاضي عياض لتاريخ أوائل شهر الله شعبان من عام ثمان وثلاثين بعد المائتين والالف. وهذه الإجازة

في ورقتين كبيرتين وعند انتهائها مالفظه: "وكتب للتاريخ المذكورلشيخه وأخيه في الله وفيّ الشيخ سيديُّ بن سيد المختاربن الهيب أخوه وتلميذه محمد المختار بن مِسْكَ ابن محمد بن احمد بن عثمان التندغي كان الله للجميع وليا ونصيرا بمنه وكرمه آمين".

وقد كتب له أيضا رسائل الشيخ سيديّ محمد إلى الأمير أحمد بن محمد لُبُّ الفلاني ووصاياه له عصر السبت لخمس خلون من صفر عام تسعة وثلاثين بعد المائتين والألف.

وقد تقدم ذكر إجازته للمريد الصادق الأرضي سيد محمود بن الحاج احمد إجَيْجْبِيِّ النجار المُوْضِي الدار وهي عامة فيما يجازي فيه، ومتولى تسجيلها بأمر المجيز مريده سيديّ بن المختار بن الهيب الانتشائي، وكتب عند انتهاء التسجيل المذكور مالفظه: "اعلم بصحة الاجازة وأعمالها على النحو المسطورْ والسنن الماثورْ خلفا عن سلف في المجاز عنه آعلاه ومقلوباته المرسوم بما يعتقده راسمه من الرسوم، عبد ربه الغني به محمد بن المختار بن احمد بن أبي بكر الواقي ثم الكنتي كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا".

وإجازته للأخ الأديب البر الأريب السيد عبد القادر بن المعلوم بن احمد بن عبد الرحمن بن الأمين بن معم البُوسَيْفي فيما التمس الإجازة فيه. وفي هذه الإجازة مسئلة منح السر وما يتحصن به من مردة الجن والتسلط الإنتباهي والتحصن منهم عند المعالجة ومن أراد أن لايلقى عدوا ومايعمل به في دفع العدو والظالم وما يسترجع به المسروق وفيها أشياء غير ذلك.

وإجازته وتصديره لسيدي محمدٌ المحمود بن الولي عبد الرحمن بن الطالب سيدي احمد الكنتي البكريِّ في إعطاء الاوراد القادرية والأحزاب والتوجهات المختارية وإخلاء من أراد إخلاءه في عدة أوراق وفيها علوم جمة وفوائد كثيرة.

وكتب في نائرة محمد بُرْيّ بن سيدي مُحمد بن سيد مْحمّد بن احمد اگ ءادّ والشريف بن خاله الشيخ بن محمد بينهما وبين الشريف محمد بَكَيْكَيْ بن البكري، وحضر معه لاصلاح هذه النائرة أخوه الأرضي سيدي حبيب الله وأخوه الفاضل سيدي اعمر أبنا النسب لتاريخ تاسع عشر المحرم فاتح عام 1236.

وكتب للقاضي سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد بن علي اللمطي بزاوية آسْرِيرْ لماكتب إليه في أمر إبنه وأخيه وابن أخته سيدي احمد بن محمد بن الحاج مبارك الفلالي وكان تلميذا مجاهدا مقيما عندهم، وفي هذه الرسالة فوائد جمة.

وكتب إلى فريق ابناء هِنْدِ مُسْلِم ومن انحاز إليهم من السلالة المهدية الشريفة وفريق ابناء الامين بن الحاج ومن انضوى إليهم من مَاسِنَّة والمهاجرين وغيرهم ويعمم في هذه الرسالة أهل تيشيت قاطبة ويحضهم على الوفاق ويجيب حمى الله بن سيد المختار بن الفغ عن سؤاله المتعلق بالقبائل التي جمعها الاستيطان بقرية واحدة ويذكر نص سؤال أهل الأمين بن الحاج الذي فيه أن جمع تيشيت لاتضمه قبيلة ولا تؤويه فصيلة وفي اثناء هذه الرسالة يصرح الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار أنه قد تحصل عنده أن مَاسِنَّة هم أهل الدار والجدار وأن من سواهم من أهل تيشيت اليوم هم الطارئون عليهم وأن ماسنة هم أهل الدفع والجلب عن القرية ولها وأن من سواهم في النثرات بحكم التبع لهم فالذي يجب القول به ويتعين المصير إليه أن أعيان بني هند مسلم والشرفاء لهم حكم أولاد الامين بن الحاج ولمن انضاف إليهم حكم علائق أولاد الأمين بن الحاج عليهم ولمن انضاف إليهم حكم علائق أولاد الامين عليهم من المداراة ما عليهم دفعا عن بيضة القصر الذي هم في المطالبة بالدفع عنه على حد السّواء إلى آخرها، وهي في أربع ورقات لاباس بقدرهن وفيها علوم نافعة مهمة .

وفيما يتعلق بهذه المسئلة لابد من الوقوف على ماكتبه احمد بن حمى الله بن احمد بن احمد بن حمى الله بن محمد سِيرَ بن احمد بن حمى الله بن محمد الملقب باشقغ بن احمد بن اشقغ بن محمد بن محمد مسلم في الفصل الرابع من فتح القدوس في ابطال أسوس المكوس؛ وفي هذا الكتاب فقه وتاريخ كثيران مهمان. وقد فرغ منه مؤلفه ليلة الخميس ثانية عشر ذي القعدة عام ثمانية وخمسين ومائتين وألف .

وكتب لأولاد الناصر ومشظوف وعرفهم بقوله بعد صدر من الرسالة "موروث الجد الأعلى والمعدِّين عند الاسلاف للذاهبة الجُليّ يخص من اعيان الفريقين من حضر اسمه في الحين بكار بن احمد بن محمد بن بكار ومحمد بن إبراهيم قال واخوتهما ثم بَهْدَلْ ثم محمد بن شنوف وإخوته ومحمد بن إبراهيم بن اعمر الْعَيْوِرْ وعَبْدُ بن اعل بُزومَ ثم من أولاد عبد لكْرِيمْ بكار بن إبراهيم بن المختار بن اصَنَيْبَلْ وأولاد

احمد بن سيد احمد ولِنَبْيكُرْ والمختار بن بيّاتْ والبَيْ واعل بن هنونْ وبُزُومَ ثم الغادر بن البازْ ثم من مشظوف المختار ومحمد ابني لِمْخَيْصِيدْ والمختار ابن اعل بن ابراهيم وابن أخيه ويْسْ ومحمد بن النَّيدَ ثم محمد بن اعل بن المين وابناء عمه اعبيد وأولاد اعل هَرْيَ وابوبك بن سيد احمد بن عبد الله بن الاكحل" يذكرهم انهم ميراث خاتمة السلف وعين اعيان الخلف جده سيدي امحمد الكنتي الكبير ويخبر أولاد الناصر أنهم سيف جده الذي صال به على أخواله لمتونة وأنهم بالنسبة إليهم في ذلك الوقت شرذمة قليلون بقنة جبل حسان متلصصون. وذكر في هذه الرسالة خروج سيدي امحمد الكنتي عن لمتونة ونزوله ناحية عنهم وقدوم قوم أولاد الناصر على خيمته ليلاً ووجودهم للمرأة تصلي وهو يصلي في ناحية ومنعهم من الشرب من أواني اللبن التي في الخيمة ورجوعهم إلى قومهم وقدومهم في الصباح ونزولهم في محل منزل الضيف وأن سيدي امحمد الكنتي رحب بهم وسماهم جيش النصر والظفر وأنه أعطاهم لمتونة وكسر عنهم شوكتها فهزموهم شر هزيمة وركبوا اكتافهم قتلا وأسراً ونهبًا ثلاثة أيام وأن سيدي امحمد الكنتي ادركهم وقال ابقُوا عليهم عيشة لبنيَ وبنيكم فمن يومئذ ضرب المغافرة على لمتونة المغارم والاتاوات وانفرد المغافرة بالدولة ولم تذهب دولة من دول المغافرة إلا على أيدي أولاد الناصر أومن هم معه ويذكر هم بأحدث هذا النوع عهدا وهي وقعة كُنْكُ لمْدَنْ بإزاء تيشيت بينهم وبين أولاد بلّ ورئيسهم يومئذ أعمر بن موسى بن الشّعْر ومعهم من مشظوف أولاد محمْ ولْحَمْنَاتْ وحضر هذه الوقعة الشيخ سيدي المختار نفسه وكان يرد ألاّيْ مانهبوا من الشيخ سيدي على فقال للقوم أتيتكم أجرُ أولاد داوود بن امحمد وافية طَيْرَتُهم إن انتظرتموهم وقاتلتموهم ظفرتم بهم فكان ذلك لكم فخرا في العاجل وذخرا في الآجل.

ومن أولاد داوود هؤلاء الدّحَاهْنْ وكان يضرب المثل بكثرتهم وقوة صولتهم.

"وإن لم تقاتلوهم ابتلعتهم الأرض أو تخطفتهم الجن إذ لم يبق من أجل دولتهم إلا ما بقي من هذا الشهر"، في خبر معروف. ومن اعجب تفاصيل مسئلة الدحاهْن ومسئلة الشيخ سيدي المختار معهم فليقف عليها في مجموع الطي والنشر في المسئلة الأولى منه في كرامات الأولياء.

وذم الشيخ سيدي محمد أزناگ في هذه الرسالة وذكر سبب ذلك وقال فيما يخص مشظوف مالفظه: "وأما مشظوف فميراثنا الْسُوَرْثْ وعتادنا المؤرث وماكنا نراهم الا أولي الاولياء ونعدهم الامن أخص

الأخصاء فيما ينوب من أخف النوائب ويصيبه من ايسر المصائب على أن الدهر يلد بلاضرع وينجم مالايقوم له أصل ولاله من فرع" إلى ءاخر مايقول لهم .

ويقول في آخر مايخص أولاد الناصر: "فاغتنموا اليوم من سعادة دهركم وجبر كسركم مافاز به سلفكم أمس" ويكتب في آخرها: "وما كُنْتَ الافرع واحد قائم من اصل واحد والفحل يحمي عسيَطه بعقاله والثور يذب عن أنفه بِرَوْقِه وإنما تعدُّ الدموع للبكاء والاوداء لنكاية الاعداء وعدوك صديق عدوك وصديقك عدو عدوك وحسبنا الله ونعم الوكيل".

وكتب إلى أخيه باب احمد يخبره أن بني سيدي امحمد الكنتي "قد اغريت بعداوتهم وإذا يتهم أزناگ فيما تقادم من الأعصار ولم تنفع فيهم المداراة فلما أراد الله من ذلك ما أراد قيض لإيقاد تلك النار جمرة عبد الله بن سيد محمود الْأُوَيْجِيُّ فكان من حربهم ماكان وهم القبيلة والعشيرة الذين تجب صلتهم ويحق الدفاع عنهم بما لايكون فيه سخط لله ولا إثم فإن ظهر لك إلى إيقاع الصلح فيما بين الفريقين وجه لايكسب زلة ولايورث مذلة فليوقعه بينهم من تجعله واسطة في ذلك من بنيك". وفي هذه الرسالة مالفظه: "وبنو عم الرجل جناحه والأدنى إليه منهم قوادم الجناح ولانهوض لمن قص جناحه"، وذكر فيها أن كتابتها بعد احتراق ابن امحمد شين بنار البارود وذكر هم فيها بما يقف عليه من قرأها .

وكتب لابنه وسماه محمد زين العابدين يوصيه بتقوى الله وبالحلم وبالخلق الحسن وبالدفاع عن عشيرته في الله ولله ويحذره من حمية الجاهلية وفيها مالفظه: "وكناته بالنسبة إلى قتالهم لأزناگ لاخفاء في كونهم محقين مثابا بين مجاهدين شهداء أمواتهم سعداء أحياؤهم وهم كذلك بالنسبة إلى إدو الحاج بعد وقعة جَوُكْ بَصٌّ بوجه أرجح مما قبله حجة وأوضح منه محجة فإن بان لك واتضح احتياجُ كناتة إليك فادفع عنهم مستعينا بالله منتحيا أقرب المناحي إلى إصلاح ذات بين الجميع .

وقد كتبنا بمكاتيب إلى رؤساء أولاد امبارك ثم بمكتوب إلى أولاد الناصر ثم بآخر إلى مشظوف نستحثهم فيها على نصر كناتة وعونهم وخذلان أعدائهم ومحادتهم فإن امتثلوا مابه أمروا فسيحمدون عقبى ذلك وإن أبوا أو خانوا {فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} وحسبنا الله ونعم المعين". وجاء في ءاخرها مالفظه: "واسع في نصر كناتة وعونهم فهم الشعب والعشيرة من غير مباشرة لقتال أو مناهدة بنزال قال الشاعر:

إذا ما اللُّحى لم تسعَ في النفع أهلَهـــا لأهليهم فلتسع فيهـــا المقـــــــارض

واعمل في ذلك كله بالرأي السديد والعمل الرشيد"، وهي رسالة قيمة.

وكتب لبَيْدَ بن هنون بن بَيْدَ وأخيه باب احمد وكافة جماعة أبناء داوود يوصيه بالاحسان فيما وُلِّيَ وبالاخذ على ايدي أولاد علُّوش وسائر إخوانهم أولاد داوود ويخبره أن أزْنَاگه قد نصبوا الحرب لكنت بغيا وعدوانا وهم الشعب والعشيرة ونحن السبب بعد الله سبحانه في فحص تراب المذلة والمهانة من افواههم أيام لايردون واردا ولايقاومون مناهدا[1] وقد بلغنا أنهم انحازوا إلى تجكج وحرقفة تكَّانت وشنوا الغارات حتى بلغوا ظهر تيشيت وكَدَامَ فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وارصدوا لهم كل مرصد، إلى ءاخرها.

وكتب رسالته الطويلة الكبيرة إلى عامة عباد الله وخاصة المبرئين من كل حقد وغل المنتسمين إلى ضئضئ المجد محمد غل التي اشتهرت فيما بعد بالرسالة الغلاوية يخبرهم بمسألة عبد الله بن سيد محمود وقيامه بحرب كُنْتَ وعون أصهاره أهل امْحمد شيَّن له على ذلك ويذكر فيها مرور عبد الله بن سيد محمود المذكور في طريقه إلى الحج بالشيخ سيدي المختار والده وقوله له من جملة ماقال:

قصدت شيخ الورى المختار لا أربـــي في فضة أبتغي منه ولاذهـــــــب

وإنما أربي في نقض مانسجـــــــت أيدي الخطايا على قلبي من الحجـــب.

وأخذه عليه الاوراد القادرية والاذكار والادعية والركعات وما فعل بعد ذلك من انكار هذا كله، إلى ءاخر ما فيها وهي في نحو أربعين ورقة فيها تاريخ كنت ونسبهم وشيء من اخبار إدو الحاجْ وكثير من الحكايات التاريخية وكثير من الأحكام الفقهية الموضحة لأمر البغاة والظلمة وغير ذلك.

وقد كتبها عام أربعين ومائتين والف حيث ذكر ذلك بعيد أن ساق نسب كنت فقال: "وتوفي عندنا حداذٌ من حدادة أولاد بسيفْ بعامنا هذا عام أربعين بعد المائتين والألف حضر وهو فتى في ريعان شبابه حرب إدو الحاجْ وإدَوَاعْلِ الذي وقع بعد ستين القرن الثاني عشر"..

وقد ألف رضي الله عنه في حياة والده سبعة عشر تاليفا وألف بعد وفاته سبعة وثلاثين تاليفا كلها

---

[1] - يشير إلى تشبث بكار بن اعمر وابنه محمد شين بالشيخ سيدي المختار لرجوع دولة إدوعيش.

في غاية من الاجادة والافادة والامتاع والابداع والاخذ بمجامع الطباع فقف على سرد أسمائها وموضوعاتها وأسبابها في الورقتين اللتين كتب الشيخ سيدي المترجم له في ذلك وانظر ماقال في شأن الرسائل والوصايا، وفيما ذكرناه كفاية ودلالة على غيره:

أبوه قبله وأبو أبيه ... بنوا مجد الحياة على إمام

وإن يقصد الانسام إلى هداهم ... فوارث من يدل ومن يقود.

ولنرجع إلى الكلام في المقصود بالذات من سرد اخبار الشيخ سيدي الكبير وهو في أزْوادْ مع أشياعه فمن ذلك ماتقدمت الإشارة إليه قبيل الشروع في ذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار وكان من حقه كتابته في محل الإشارة إليه وقد كتب فوقه بيده الكريمة مالفظه: لِلْعُبَيْد المريد سيدي يخاطب إخوانه عن المريدين ويذكر بعض أحوالهم وماهم عليه من الطوي وطيه ثم يحضهم على الصبر والاجتهاد والتعلق بالشيخ والتوسل به في كل مهم هذه الاراجيز المجزوة التي هي على هيئة شعر الحسانية:

يامَن طوى طيَّ طويتُمُ ... من شاهب صفر اليمد

ماقلت قد قضيتمُ ... لاكنه كأنْ قد

أرى الرضى عن ذي الرضى ... وكلٌّ خلق مرتضى

قد نبذا وارتفضا ... قبل غد أوفي غد

إذ القضا قد انقضى ... عن أسود وأسود

إذا القضاء قد نفد ... وإن يُقَدَّرْ لم يُفِدْ

وجدٌّ سَيْسَرٌ بالمجدْ ... مُؤَوِّبًا ومغتدي

أرى الضُّجوعَ قد أفدْ ... على ثرى لحمد نَدي

تعوذوا ويَسْمِلوا ... وكبروا وهَيْلِلوا

وحوقِلوا وحسْبِلوا ... وعَدِّدُوا كُلَّ يَدي

واسْتَمْطِرُوا واستَنزِلوا ... لطفَ الكريم السيد

وأقبلوا وقبّلوا ... وجعلفوا وأهلوا
وبأبتوا ويجلوا ... غوث الوجود المهتدي
ويددوا وقللوا ... به حشود المرد
لتسلموا من الطوى ... وماحواه من ثوى
وما يلاقي من ثوى ... برسم عاف مجتدي
من الهوي في هوى ... ذل النفوس المفسد
وتسلموا من الفشل ... ومايني من كسل
ومن فرار وعجل ... وخيبة في مقصد
ثم افتضاح وخجل ... بين الورى في الموعد
وأملوا ظفركم ... وجملوا صبركم
وفوضوا أمركم ... إلى العلي الصمد
وحاولوا فطركم ... من الخضم المزيد
فمن سقاه ينتقي ... ويتقي كل الشقى
ولايخاف متقي ... سوى الملك الأحد
وينتهي في الارتقا ... إلى المقام الاصعد
هو الطهور المطلق ... ينقى به من وفقوا
ومزقوا وشبرقوا ... حوطة كل مهتدي
وليلهم قد أرقوا ... دجاه بالتهجد
هو الزلال ذو الصفا ... معرفه أولوا الوفا
من كل من تشوفا ... بطرف ظامئ صدي
لم يبك عند الشفا ... الا بذاك المورد
هو اللجين والذهب ... يعلى به من قد وثب
وفيه عانق العطب ... من عشعشر وترتمي

بُرْدَ الْهُمُـــــــــومِ وَالكُـــــرَبْ ... وَغُـــــــرَيَّـــةٍ عَـــــــن بَلَـــــدِ

هُوَ الرَّحِيـــــــقُ ذُو الشَّبَـــــمْ ... وشَـــــــــــرِبَهُ ذَوُو الهِمَـــمْ

فَـــلا يُنَـــــــالُ بالنَّهَـــــمْ ... ولا بِطُـــــــــــــــول المرقَـــدِ

ولا بِتَـــرْجِيـــــــــل اللَّمَـــــمْ ... ولا بَعُظْـــــــــــــــمِ العَضُـــدِ

ولا يُنَـــــــالُ بالجُـــــرَعْ ... ولا بِعِـــــــــــــرْفَانِ القِـــرَعْ

ولا بِهِجْـــــــــرَانِ الـــــوَزَعْ ... ولا بِصُولَـــــــــــــة اليدِ

عَلَى نَصِيـــــــبِ مَنْ قَـــــرَعْ ... بَابَ الْمَنَـــــــــــا فِي المَشْهَدِ

تَرَدَّنَـــهُ لَحْـــــــمَ الوَضَـــمْ ... أَوْ لَبَـــــــــــن الوِطَـــابِ أَمْ

قَدِيـــرِ خُبْـــــــزٍ يُلْتَقَـــمْ ... بَيْنَ ضُيُـــــــــوفِ الْمَسْجِـــدِ

إِذَا بِـــه أَلْقَـــــى الْحَشَـــمْ ... تَجَاوَلَتْ فِيـــــــــه الْيُـــدِي

فِيهَـــاتَ مَـــــــاقَدْ رُمْتَـــمُ ... مِنَ الْوُصُـــــــــــول أَنْتُـــمُ

إِن كُنْتُـــــــمُ أَدَمْتُـــــمُ ... تَعَـــاهُـــــــــدَ الْمُعَـــوَّدِ

ولَـــمْ تَـــــــــرُوا مَاجِئْتُـــمُ ... مِـــــن ذَاكَ أَيَّ مُبْعِـــــــــدِ

يارَبَّنَـــــــا رَبَّ الْخِضَـــمْ ... يَاذَا الْعَطَـــا وَذَا الْكَـــــــــرَمْ

أَتِحْ لَنَـــــا شُرْبًا أَتَـــمْ ... مِـــنْ عَذْبِـــه الْمُبَـــــــــرَّدِ

يُـــزِيلُ كُـــــــلَّ مَاجَثَـــمْ ... مِـــن وَصْفِنَـــــا الْمُجَـــدَّدِ

وَوَدَّنَـــــــا بِـــــوُدِّهِ ... وَعُـــدْنَـــــا مِـــن وِرْدِهِ

وَعَـــدَنَا بِوَعْـــــــدِهِ ... وَرِفْـــدِهِ الْمبَـــــــرَّدِ

ومُـــدَّنَـــا بِجُـــــــدِهِ ... وَعَضْبِـــهِ الْمُهَنَّـــــــدِ

وَأَحْيَنَـــا بِـــــوُدِّهِ ... وَفَكَّنَـــا بِعِتْقِـــــــهِ

وَحَلَّنَـــا بِحَقِّـــــــهِ ... وَخُلْقِـــهِ الْمُعَسْجَـــــدِ

وَأَبْقِـــهِ بِحَقِّـــــــهِ ... لَنَـــا مَدِيـــدَ الأَبَـــــــدِ

وَكُـــن لَنَـــا رَبًّا قَـــــــرِبْ ... لِمَـــن لَـــهُ قَدِ اقْتَـــــــرَبْ

وَنَجِّنَا مِنَ الْهَرَبْ ... قَبْلَ تَمَامِ الْمَقْصَدِ
وَاقْضِ لَنَا كُلَّ أَرَبْ ... يَا رَبَّنَا يَا سَيِّدِي
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ ... مِنَ الْمُهَيْمِنِ السَّلَامْ
عَلَى مُنَوِّرِ الظَّلَامْ ... نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ
وَآلِهِ الْغُرِّ الْكِرَامْ ... وَصَحْبِهِ وَالْمُقْتَدِي.

تمت بحمد الله وحسن عونه.

وكتب بيده الكريمة مالفظه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم لأسير ذنبهْ ورهين عيبه وكسيبهْ عبيد ربهْ الراجي منه غفران ذنبهْ وستر عيبهْ مريد الشيخ سيدي محمد وخديم حضرتهْ ومستوكف واكف يمنه وهمتهْ سيدي بن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا آمين يهنئ إخوانه الصالحين وحزب الله الداعين إليه وبه المفلحين آل محمد قُوَدْيَ العلماءَ الاعلام لازالت خافقة بنصر الدين لهم أعلامْ ويخاطب الملحوظ بعين عناية اللهْ المكلوء بسور حصين من كلاءة اللهْ الجهبذ العلامة ألفَ عبد الله هذه الأرجوزة المجانيهْ على روى ابياته المجانيهْ التي أرسل بها إلى شيخ حضرتنا المختارية المحمدية حاذيًا حذوه في التزام مالايلزمْ على نحو ما التزمْ وناحيا نحوه في اغتنام اشرف ما يقني ويغتنمْ هذه الأرجوزة الابريزية :

لِبَهْنِ صَبًّا مُغْرَمًا يَنُوحُ ... وَمَا سِوَى الزُّلْفَى لَهُ مَنُوحُ [1]
لِصَائِدِ الرُّشْدِ [2] لَهُ سَنُوحُ [3] ... وَقَلْبُهُ إِلَى الْعُلَى مَسْنُوحُ [4]
وَبَهْنِ مَنْ لَيْسَ لَهُ جَنُوحُ ... لِغَيْرِ مَا الْهَادِي لَهُ جَنُوحُ

---

1 - مبكي عليه.

2- شيخ التربية وغوث البرية الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه.

3 - مصدر سنح الظبي ألاك ميامنه.

4 - مصروف مردود

ومَن صَفَاهُ وُدُّهُ مَمْنُـــــــوحُ ... لِمَـن به عِذْقُ الصَّفا مَقْنُـــــوحُ[1]

أن رَنَـاجَ[2] نُجْحِـه مَفْتُـــــوحُ ... وَغَرْبَ[3] شُهْـدِ وِرْدِه مَمْتُـــــوحُ

وبَرْقَ نُـورِ جَلْبِـــهِ يَلُـــــوحُ ... بِلَـوحِ جَـوٍّ صَوْتُـهُ صُـــــلُوحُ[4]

وأنَّه من حِبِّـــهِ مَلْمُـــــوحُ ... بَلْمْحَـةٍ بها الرِّضَـى لَمُـــــوحُ

وأنَّهُ على النَّـــوَى مَنْفُـــــوحُ[5] ... بِنَفْحَـــةٍ نَسِيمُهَـا يَفُـــــوحُ

من حَضْـرةٍ فُؤادُ مَن يَـــــرُوحُ ... بِهَـا ويَغْدُو عَبِـقٌ وَالـــــرُّوحُ

بَلْ كُلُّ صدْرٍ وَدَّهَا مَشْـــــرُوحُ ... وكلُّ قلْبٍ ردَّهَا مقْـــــرُّوحُ

وكـلُّ جِيلٍ خَمَّهَـا[6] نَجُـــــوحُ ... وكلُّ جمـعٍ رَامَهَـا[7] مَجُـــوحُ[8]

فَكَيْـفَ لاَ وفَرْعُهـا والْبُـــوحُ[9] ... بِسِرِّ سَيْرِ المصطَفَى يَبُـــــوحُ[10]

فَمَسْـرَحُ الامْرِ بِهَا مَسْـــرُوحُ ... وَمَطْرَحُ النَّهْيِ بِهَا مَطْـــــرُوحُ

وشَرْبُ مَن يَسْقِي الصَّفَا مصفُـــوحُ[11] ... بِها على الكاسِ لَهَا طُفُـــــوحُ[12]

وَشَيْخُهَا قُطْبُ الرَّحَى الرجُـــــوحُ ... بِكُلِّ صَنجَـــةٍ لها رُجُـــــوحُ

أتِيـحَ فـي ذَرَاهُ مَـايَتُـــــوحُ ... وَفِي حِمَـاهُ حُمِّـتِ الْفُتُـــوحُ

1- معطوف

2- باب

3- الدلو العظيمة.

4- صلاح

5- من نفحه الطيب أصابه بعرفه

6 - خدمها واصلحها.

7- بخسف

8- مستأصل مهلك

9- الأصل

10- يقر

11- معروض ممرور به على الكأس.

12- امتلاء

يُنطحُ عَن تَصْريفِهِ المَنطُوحُ ... وتَرْهَبُ الجَمَّا بِهِ النَّطُوحُ

فَكلُّ طائِحٍ[1] به يَطُوحُ[2] ... وكلُّ مَبْطُوحٍ به مَبْطُوحُ[3]

وكلُّ راجِحٍ به رَجُوحُ ... وكلُّ مَرجُوحٍ بِهِ مَرْجُوحُ

وهْوَ على لَمَّاتِهِ الصَّفُوحُ[4] ... وَهْو على عِلاَّتِه النَّفُوحُ[5]

والحقُّ عَن مَسْعَاهُ لاَ يَزُوحُ ... والبُطْلُ عنْهُ دائمًا نَزُوحُ

وأنتَ يا أخَا الوَفَا المَنْبُوحُ ... بِحُبِّهِ وحُبُّهُ رَبُوحُ

أبْشِرْ بِمَدٍّ مالُهُ مُضُوحُ[6] ... وثِقْ بِوَعْدٍ صِدْقُهُ مَنضُوحُ[7]

ونُصْرَةٍ بَارِحُهَا[8] كَسُوحُ[9] ... به صعيدُ من طَفَى مَكْبُوحُ

شُهْبُ المَجَالِيحِ[10] بِهَا تَجُوحُ[11] ... أصُولَ مَنْ عَن الهُدَى يَجُوحُ

ثم عليكَ أيُّهَا النَّصُوحُ ... والجِهْبِذُ المقدَّمُ الفَصُوحُ[12]

---

1 - هالك

2 - يهلك

3 - المراد به المصاب بما دون الهلاك

4- العفو

5- العطاء

6- انقطاع

7 - مبذول فيه الوسع مصدوق فيه بالجد والاجتهاد.

8 - الريح الحارة

9 - أي مثير للتراب مقشر له.

10 - السنون التي تذهب بالمال

11 - مستأصل

12 - أي المضيء المشتهر

وَإِن نَأَتْ بِكُمْ نَوًى تَلُوحُ[1] ... تَحِيَّةٌ حامِلُهـا دَلُوحُ[2]

سَخَتْ بِها مَوَدَّةٌ نَصُوحُ[3] ... رَوْضَتُهَا غَنَّاءُ لَا تَصُوحُ[4]

وَأَنَّكُمْ حِزْبٌ بِهِ مَمْدُوحُ[5] ... مِنَ الضَّلَالِ الْمُحْصَدِ[6] الْمَنْضُوحُ[7]

رَدَدْتُمْ قَرْضًا لَهُ جُمُوحُ ... إِذْ عاقَ عَنْهُ عَجْزٌ أَوْ طَمُوحُ

لِلَّهِ مَا أَبْلَيْتُمُ وَرَوَّحُ ... زَحْفُ الْعِرَاكِ جَبْرَئِيلُ الرُّوحُ

فَإِذْ سَطَتْ مِنَ الْعِدَى نَبُوحُ[8] ... وَازْدَحَمَ الضُّبُوحُ[9] وَالنُّبُوحُ[10]

صَابَرْتُمْ وَصَبَّرَكُمْ مُمِدُّ ... وَكَالْجِهَادِ يَحْمَدَ الْمُفْدُوحُ[11]

حَتَّى إِذَا تَكَاثَرَ الْجُرُوحُ ... وَنُكِّتَتْ مِنَ الْعِدَى قُرُوحُ

---

1 - تغير المسافر وتعبه يقال لاحه السفر إذا غيره.

2 - منقبض في مشيه لثقل حمله.

3 - خالصة.

4- تيبس

5 - مشقوق من صاحه شقه.

6 - المحكم

7 - المخيط.

8 -جماعة كثيرة والمراد ازدحم القوى والضعيف والشريف والوضيع واجتمع الأخيار والاشرار من المسلمين والكفار للمجاهدة والقتال والمبارزة والنزال والطعان والنضال والمضاربة على الهامات بصوارم النصال والمعانقة بين الشجعان والابطال قصدا من المسلمين لإعلاء كلمة المتعال وقصدا من المشركين لإطفاء نور ذي الجلال ويابى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون حزب الضلال.

9 - الفرس

10 – الكلب

11 - من اثقله الدين والتبعات

وحمي الوطيس[1] واللفوح فالكل من لهيبها ملفوح[2]

شددتم وهيفكم[3] نفوح بحطمكم[5] تنحطم السفوح[6]

بكل قرم قدره يفوح[7] وحظ نفسه الدم المسفوح

يلمسره[8] مهند شروح[9] لاينثني أو ينثني المثنروح[10]

أو لدنة عسالة رموح[11] يغضي[12] بها لحينه المرموح

أوقدت نبل قوسه منروح[13] تبرز عند ما ترن الروح

يردي به معود صبوح عبل الشوى منجرد سبوح

أونهدة مركلها مجلوح[14] مفغورة[15] القبوه لها كلوح[16]

---

1 - نار الحرب

2 - محرق.

3 - الريح الحارة

4 - هاب

5- كسركم وشدتكم

6 - الجبال

7 - يغلي والمراد شدة الغضب

8 - يغريه على القتال

9 - قطوع.

10 - المقطوع

11 - صالحة قابلة للرمح بها.

12 - يموت

13 - شديدة الدفع للسهم.

14- محلوق الشعر من الركض وكثرة الغارات في سبيل الله.

15 - مفتوح الفم

16 - تهبيس وجه وتشويه صورته.

فَانْهَزَمُوا وكلهم مَقْرُوحُ[1] وجُلْتُمْ وكُلُّكُم مَسْرُوحُ[2]

وأدْبَروا ونَهْبُهم مَقْبُوحُ والنَّبْلُ فى أكْتَافِهم منْضُوحُ

ورُحْتُم بِخَيْرٍ مَا يَرُوحُ بِهِ ابْنُ حُرَّةٍ لَهُ تُرُوحُ[3]

أكارِمًا لَيْسَ بِهِمْ أَنُوحُ[4] ولا لَهُمْ فِي مُعْضِلٍ أَنُوحُ[5]

فهذه رَشَاشَةٌ مَنُوحُ[6] حِبُّ الْمُرادِ[7] أنه قَنُوحُ[8]

يَقْضِي لَهَا التَّصْرِيحُ والتَّنُّوحُ[9] بِأَنَّ رامي عرضكم مجنُّوحُ[10]

يَهْوِي بِها الشُّرُوقُ[11] والْجُنُوحُ[12] لَكُمْ ويَنْتَحِي الْبَرِيدُ نُوحُ هـ.

وكل ماكتب على هذه الأرجوزة فهو من خط قائلها رحمه الله تعلى حتى هـ التي هي علامة الانتهاء.

ولاباس بقدر من **التعريف بثال** فودي المهنين بها على وجه الاختصار إن شاء الله تعلي فأقول:

---

1 - من قرحه السلاح أي عضه

2 - مسرور لايبالي أقتل أم قتل.

3- هموم

4 - بخيل إذا سئل تنحنع بخلا

5 - زئير وأنين

6 - مانحة

7- الشيخ المربي

8 - ريان

9 - التعريض

10 - مصاب الجناح

11 - إقبال النهار وضياؤه

12 - إقبال الليل.

آلفُودْيَ هؤلاء هم الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الفلاني العالم المجاهد[1] وأخوه ووزيره عبد الله وهو الف عبد الله وكان عالما يعلم الناس العلم وداعية إلى الجهاد وابنه وخليفته من بعده محمد بَلُّ وأصلهم طلبة من أهل فُوتَة طُورَ ودعواً إلى الجهاد وتبعهم خلق كثير كبير وكونوا مملكة في سُكُتُو على أنقاض مملكة هَوْصَ المنهارة آنذاك وكان ذلك في أول القرن التاسع عشر المسيحي.

وقد بايع الشيخ عثمان هذا السلطان المولى سليمان وكتب له السلطان وأرخ كتابته له في ثامن عشر جمادى الثانية عام خمسة وعشرين ومائتين والف ذكر ذلك ابنه محمد بَلُّ في كتابه "بذل الميسور" وقف على هذه الحكاية في رسالة للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار كتبها لاحمد بن الفك بن محمد بُوِيَ فيما بينه وبين احمد لبُّ.

وكان محمد بل لايحب غير العافية وله اشعار ومؤلفات دينية وتاريخية فاجتمع عليه كثير من العلماء في قاعدة مملكته سُكُتُو وقد وقعت بينة أيام دامية مع التُّوارگْ وملوك بُرنُو ولم يقو خليفته على البقاء في المملكة لامتناع هَوْصَ من قبول البقاء تحت حكم تكْرُورِي.

وهؤلاء الرجال الثلاثة المذكورون هم الذين كتب لهم الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار رسالته الشهيرة الرائقة ينصحهم فيها ويهنئهم على مواقفهم في الجهاد وقد ورد في هذه الرسالة مايأتي بعد الديباجة: "إلى الثلاثة البُدُور الجلة الصُّدُور فراقد الافلاك وفرائد الاسلاك عيون الاعيان زين الامراء والاعوان ناصري أقوم الأديان بوعظ اللسان وَرُعْظ السنان الامير الهُمام بل العلامة الإمام الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان ووزيريه الاسعدين الناصرين المسعدين صنوه الامجد المدعو بعبد الله وابنه الخليفة محمد بَلّ"، ويامرهم أن يحسنوا كما أحسن الله إليهم وينعموا على من تصل إليه أيديهم كما انعم الله عليهم -"وانتم نصر الله أعلامكم ممن يضبط لقيامكم بالحق ونصره وقولكم بالصدق ولسان الزمان في عصره بل كل منكم مسلك للطريقين ومفت للفريقين ومورد لارباب اليقين".

---

1 - مؤلف إرشاد السالك الرباني على أحوال الشيخ عبد القادر الجيلاني فرغ منه يوم الأثنين بعد صلاة العصر رابع رجب سنة خمس وعشرين ومائتين والف هـ

واستطرد في هذه الرسالة ذكر السلطان المولى سليمن بن سيدي محمد بن المولى عبد الله بن المولى إسماعيل ورفع نسبه إلى الحسن السبط بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه صفات حميدة ودعا له بالتاييد والنصر وكانت بيعة هذا السلطان الذي هو المولى سليمن يوم الاثنين سابع عشر رجب سنة ست ومائتين والف وكان من خيار السلاطين وقد توفي رحمه الله تعلى ثالث عشر ربيع الأول عام ثمانية وثلاثين ومائتين والف.

وفي هذه الرسالة المذكورة أن بيعة السلطان المولى سليمن تمت له وهو ابن عشرين سنة وكان طالب علم متجردا منعزلاً وكان يقول إنما أنا مسكين وطالب من سائر الطلبة لاهمة لي بأدنى مرتبة من مراتب الدنيا إلى آخر ماذكر عنه مما يتعجب منه من وقف عليه إلى أن قال في خطاب الموجهة إليهم: "وليتخلق كل منكم فيما استرعاه الله وولاه بخلق رسول الله صلى عليه وسلم ففي كتاب الله { لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة}" ويذكر فيها أيضا أنهم "أوعية علوم زاخرة وحلوم فاخرة يشهد لكم بذلك ماوقفنا عليه من مؤلفاتكم واطلعنا عليه من مصنفاتكم ويعضده ما انتشر على السنة الخلق التي هي اقلام الحق من مزاياكم الاثيرة وسجاياكم الحسنة الكثيرة فأيدكم الله بنصره وعونه فقهرتم الأمم القاهرة الكافرة وجمعتم الفرق المتفرقة وألفتم القلوب المتنافرة وفتحتم الاقاليم كَفْرا كَفْرا وهدمتم معاقل الكفرة قصرا قصرا".

واستطرد في هذه الرسالة غش الوزراء ومثل بما وقع للسلطان خان سليم العثماني لما خانته أمه ووزراؤه فكتبوا كتابا باسمه عليه خاتمه لسفن النصارى ان لا ترد عن دخول الاسكندرية ومصر وماوقع في ذلك واعلام الجزائر له بالخبر وتولية محمد علي باشا وطرده للنصارى وذكر قصيدته التي يهنئ بها في هذا الفتح العظيم التي مطلعها:

لؤم الليالي على ماكان من غِيَـــــــر ومن صُرُوف، ومن رَيْب ومن كـــــــــدَرِ.

في خمس وثلاثين بيتا وصف فيها القضية احسن وصف وأرخ هذا بقوله وكان هذا الفتح في العام الخامس عشر أو السادس عشر بعد المائتين والالف. ويقول في آخرها لآل فُودِيَ: "فاعلموا أن البلاد بلاد الله والعباد عباده يورث ذلك من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وأن الصُّقع الذي انتم فيه دار اسلام من قديم الأيام وأن المتغلبين عليه من الرماة والتوارگ تعطلت أحكامهم وانهدمت أعلامهم

وكان الشيخ سيدي المختار رضوان الله عليه يتوعدهم بذهاب الدولة ويخبرهم باستيلاء الفُلاَّنِيِّينَ على البحر وأن السودان يصنعون بالتوارگْ صنعهم بهم من التغلب والهوان وأن تِينْبُكْتُ سيليها سُوداني وأن الله أراه أنه مسلم يملأ أرجاءها عدلاً ولما بلغه ما اشتغلتم به من احياء السنة وإماتة البدعة والجهاد لاعلاء كلمة الله سره ذلك واغتبط به وقال مثل هؤلاء ينبغي أن يلوا البلاد ويؤموا العباد ولما بلغه أن لكم بولاية تينبكت عناية قال أرجو أن يليها أُلفَ عثمان فيقطع مافيها من المكوس". ويقول الشيخ سيدي محمد في آخر الرسالة المذكورة: "وقد كتبت إلى سائر رؤساء فُلاَّنْ فُندكْ وچَلا چُو ورئيس سَنْقَرِ في النصرة لدين الله" إلى أن يقول: "وأما نحن فنحبكم لله وفيه كل المحبة وننصح لكم رغبة فيما عنده وقد بدأتمونا بالاحسان أحسن الله إليكم بهديتكم الواصلة إلينا صحبة اخينا الأرضى ومريدنا الصادق المرتضى ذي الفتوح والمنوح الصالح الناصح العلامة نوح بعد إحسانكم إليه وإقبالكم الجميل عليه". وختم هذه الرسالة بقصيدته العصْماء يمدحهم فيها ويدعو الله لهم ومطلعها:

منى إليكم كل وقت وحيـــــــنْ تحيـــة أزكى سـلام مكـــــــين.

في سبعة وخمسين بيتا والرسالة بكاملها في ثمان وعشرين ورقة من الورق المتوسط بأحسن كتابة وفي آخر ورقة منها مالفظه:

"استكتب هذه الرسالة لنفسه ثم لمن شاء الله بعده فقير مولاه الغني به عمن سواه سيدي بن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا آمين".

وجاء في رسالة أخرى للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار أرسل بها إلى الشيخ أحمد بن محمد لَبُّ الأمير الفُلاني القائم بعد الدولة الفُودية المذكورة ينصحه ويذكره ما محل الغرض منه: "والمَعْتبر بقضية الدولة الفُودوية الفُلاَّنِيَّة الكَاشْنِيَّة فإنهم لم يزالوا مدة الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن فودى في استقامة دولة وقوة صولة فلما صار إلى ربه وإلى ما أراد من كرامة به وقد امتد ملكهم يمينا وشمالا فبلغ گوگوْ وهُنْبُرِ واطراف موشي وامتد شرقا إلى أداني أرض صُنَّارَ أطراف اليمن وشمالا إلى بُرْنُو الاكْرَادِ إلى أگدزْ الي أقَرَزْ ووضع لهم الرعب والهيبة في القلوب النازحة عنهم ولم يزالوا في امتداد من دولتهم واشتداد من صولتهم إلى أن أخذوا في التفتيشات في النيابة والتغليظ

على الناس في الجزى والعطيات فمال عنهم من كان ميله إليهم وصال عليهم من كان صوله معهم فأخذوا في هدم مابنوا وتشتيت ماجمعوا وحوروا فنقض عهودهم غالب من استسلم لهم ابتداء فمن هنا دخل على جَمَارِ الْكُوبَرِيِّ فادخل عليه فانحازت اطرافه فخرج أهيرُ على أنجد ولاتهم محمد الْجَيْلاَنِي الْبَرْكُورِيُّ وكان رايسهم في ذلك إبْرَ بن الشيخ احمد شيخ كلْ تَكَمَ فقتله الجيلاني في مقتلة عظيمة وقعت بينه وبين أُهيرْ افنى فيها غالب أكابرهم واستولى عليهم وكان لِإبْرَ المقتول ابن اسمه إبْرَ قد خرج في طلب العلم إلى بعض قرى أهير المدعوة بالمساجد في لسانهم يقال لها تَكْلاَلْتْ فرجع من مخرجه فدعا قبائل أهير إلى نصرته للقيام على الجيلاني فأجابه من أجابه منهم وبلغ ذلك الجيلاني فاستخف أمره ولم يلق إليه بالا فلم ينشب أن فتك به وبطرف من جَمَارِ الْفُودَاوِيِّ غيلة ثم لم يزل الظفر له عليه لتخاذل قومه عنه فلحق بمن بقي معه من الْبَرْكُورِيِّينَ بمحمد بلْ بن عثمان بن فودي في أرضه وورث إبر أرضه وجنده".

واستطرد الشيخ سيدي محمد بعيد هذا ذكرا من آهل فُوتَ طُورَ مع اميرهم الامام عبد القادر وفي هذه الرسالة كثير من التواريخ والفوائد وفيها ذكر نوح بن الطاهر السنقري الذي هو آخر المذكور في القصيدة الأرجوزية: وَيَنْتَحِي الْبَرِيدُ نُوحُ.

وقد فرغ الشيخ سيدي محمد من الرسالة المذكورة غرة شهر الله صفر ثاني شهور عام سبعة وثلاثين بعد المائتين والألف لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكتب المترجم له في آخرها مالفظه: "انتهت هذه الرسالة المباركة على أبدي من استكتبهم إياها لنفسه ثم لمن شاء الله بعده فقير مولاه الغني به عمن سواه سيدي بن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا آمين".

وقد ورد في رسالة أخرى للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار وجهها إلى الشيخ الأمير احمد بن محمد لبْ ما محصله أن احمد بن محمد لبْ هذا كان قد بايع الشيخ عثمان بن فودي زمن إخراج الْكُوبْرِيِّينَ له من مساقط رؤوسهم فلم تزل الأمور تتدافع إلى أن اظفره الله فيمن معه بأهل گُوبِرِ وغيرهم من السودان والتُوارِكْ فاستولى عليهم وقتل سلطانهم الأعظم فطارت دعوته في البلاد السودانية شعاعا بحيث بلغت إلى اطراف موشي وإلى سَكْيَ سلطان مُنْفَيْ ثم تراجعت لموته رحمه

الله ولشيوع الردة والخلاف في البلاد الهَوْصَارِيَّة ووافق ذلك قيام الشيخ احمد بن محمد لُبُّ بالدعوة برسم الجهاد في البلاد الجِنِّيَّة وَالمَاسِنِيَّة والبربرية فأيده الله بنصره فهزم البَنَابِرَة والسُّنُّكِيِّينَ والمَاسِنِيِّينَ يوم السبت عام 1230ودعي بالأمير وبايعه من بايعه بالاستقلال لابرسم النيابة.

وفي هذه الرسالة أن الطوائف الخارجة عليه متأولة بكونهم وإياه تحت بيعة آل فودي وأنه نزع اليد عن بيعتهم وأنهم إنما يرتبقون بربقة بيعته مادامت داخلة تحت بيعتهم طائفة كُنَار ومن كان على رأيهم وطائفة جِيلِ دَلَّ السفْتَزِيِّينَ ومن انحاز إليهم في أقوام كثيرين وقد اوصلت هذه الطوائف الأمر إلى محمد بَلُّ.

وأرخ الشيخ سيدي محمد هذه الرسالة لتاريخ أواسط شهر الله ربيع الثاني من شهور عام 1241 من الهجرة النبوية وكتب المترجم له في آخرها مالفظه: "انتهت مقابلة هذه النسخة على يد مستكتبها لنفسه ثم لمن شاء الله بعده فقير مولاه سيدي بن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله للجميع وليا ونصيرا آمين".

هذا ما يتعلق بمثال فودي الذين منهم ألف عبد الله المصدر به في المقدمة قبل نص الأرجوزية وهو أبو محمد عبدا لله مفسر القرآن بضياء التاويل في معاني التنزيل وقد اتم الجزء الأول منه يوم الأحد في رمضان لاثنتين بقيتا من سنة (يشكر) 1230 واتم الجزء الثاني منه يوم الثلاثاء بعد الظهر في شعبان لثلاث عشرة خلت منه سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف .

وأما نوح بن الطاهر المذكور في آخرها فهو من قبيلة سَنقَر من قبائل إفُلاَّنْ وقد كان تلميذا للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار وكان سفيرا بينه مع دولة الفوديين الشيخ عثمان وخلفائه كما ذكر ذلك في آخر الرسالة التي ذكر خبرهم فيها ثم لما ظهر احمد لُبُّ أيضا صار معه كما ذكر في الرسالة بعد الأولى. وقد كان الشيخ سيدي محمد يراسله بعدة مراسلات فمن ذلك رسالته إليه يوصيه بإيثار الآجلة على العاجلة ويعيذه بالله أن تستميله الدنيا بما استمالت به أبناءها ويذكر له كتاب الشيخ احمد لُبُّ بن محمد بن أبي بكر إليه يستشيره في توليته ولاية وفيها نصائح نافعة وعتب في امر جلاجُو إلى آخر مافيها.

ومنها رسالة أخرى إليه فيها أجوبة عن أسئلة فقهية منها مسئلة أمة الشّريكيْن يزوجها أحدهما دون الآخر ومسئلة قطع المأخوذ من السارقين المنفلت صاحبه ومن استعمل الاسباب المسقطة للحمل ومسئلة السُّلاَّل هل هم سحرة أم لا ومسئلة الرجل لايقدر على مس الماء انباره ومسئلة زكاة الخلطة من غير اعتبار شرطها بالنسبة للأهل والاولاد.

ومنها رسالة صغيرة في آخر رسالة لچلاچو. ومنها رسالة إليه يعلمه فيها أنه يريد الحج ويامره أن يلتحق به إن كان يريد الحج معه ويامره أن يعين أحمد لُبٌّ في الصلح بين اهل جِنّ والمسلمين المجاهدين لاعلاء كلمة الله وبإنفاذ ماكان من أموال أهل تينبكت بجِنّ وإيصالها إليهم. وهذه الرسالة المذكورة بخط الشيخ سيدي المترجم بأمر الشيخ سيدي محمد مرسلها ويسلم فيها كاتبها على المرسلة إليه.

وفي نوح المذكور يقول الشيخ سيدي محمد:

ابشر فباب المنى واليمن مفتـــــوح بوجهك الأزهر الميمون يانـــــــــوحُ

في عشرين بيتا.

ويراسل نوحا المذكور بعد هذا الشيخ سيدي المختار الصغير ابن الشيخ سيدي محمد المذكور يعزيه عن والده الشيخ سيدي محمد ويعلمه أنه كتب للشيخ احمد لُبٌّ في الشفاعة في تخلية احمد بن موسى يذهب حيث شاء وفي امر چلاچو وفي السفر إلى صَصَنْدَ إن إحتيج إليه ويذكر له في آخرها أن الكلف تزايدت عليهم في هذا العام المبارك ولله الحمد.

وكل ما كتبت فهو كالشرح للأرجوزية لأنه لاغنى عن التعريف بالمذكورين فيها والحديث شجون والتاريخ يرتبط بعضه ببعض ولو لم يظهر وجه المناسبة لكل أحد والله تعلى المعين والكفيل والوكيل والنصير.

ولما سأل **محمّد العاقب بن ظاهر بن علي الفَلاَّنِيُّ** الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار عن لغة الكَشْكِ ولغة الفَمْلِ بالغين المعجمة وعن لغة البَرْنَطةِ وعن معنى قول رافع بن عمير:

سعيت إليه قد شمرت ثـــــــوبي عن الساقين قاصدة الركيـــــــب.

وعن قبر رأى عليه النار هل هي مما يخيل به الجن أو مما يدل على عذاب صاحب القبر وسوء مئاله وعن ميت زعم أنه وجد عند قبره مُناخ بعير وأثر رجال وفتش القبر فلم يوجد فيه الميت هل يصح أن يكون

الأثر حقيقة وصاحب القبر قد اخرج من قبره وحمل أم هو خيال وزعمات وقد اطال في جواب السؤالين الأخيرين وأجاد جواب الجميع.

وأجازه في آخرها في جميع مايستجيز فيه من فنون العلم تفسيرا وحديثا وأصولا وفروعا وعقدا أو لغة وإعرابا وبيانا وغير ذلك مما له به عناية على الشرط المالوف فأجابه باحسن جواب قرظه الشيخ سيدي المترجم له وكتب كاتب الجواب ماصورته: وللمريد الصادق الصديق القائق أبي الأنوار والأسرار سيدي بن المختار يمدح شيخه المجيب وجوابه:

أجَابَ مُرَبِّينَا إجَابةَ مَنْ هُـــــدِي ... وَأكْحَلَ من نُور اليَقِين بإثْمِـــــد

أجَابَ بِمَا يَشْفِي الْغَلِيلَ ولَمْ يَكُـــنْ ... لعُنَّادُ لولا فَهمُهُ الْفَهْمُ يهْتَـــــدِي

فَشَنَّفَ أسْمَاعَ الْقُلوب مُقَرِّظَـــــا ... وَحَلَّى مَعَاطِيلَ الطُّرُوسِ بعسْجَـــــد

ولَوْلا مَقَامُ البَحْثِ ضَاقَ نِطَاقُـــــه ... بِصَوْبِ شَآبِيبِ الْحِجَا الْمُتَوقِّـــــد

لَضَلَّع من شِيبِ الْمَعَانِي ومُرْدِهَـــا ... وولْدَانِهَـا الأحْـدَاثِ أَلْفَ مُجَلَّـــد

ولَكِنْ عَلَى قَدْرِ السُّؤَالِ جَوَابُـــــه ... وَحُسْنُ الْكَلاَمِ الْقَصْدُ فِي كل مَقْصَـــد

وكَيْف تَضِنُّ الْمُفْضَلاتُ بِسِرهَـــا ... وَمَاهِي تَطْوِي عن بَصِيرة مُفْـــــرَدِ

خَلِيفَةُ مَخْتَارِ الْخَلائِفِ كلِّهَـــا ... وحَائِزُ مَتْرُوكِ الْمُؤَيَّد أحْمَـــــد

عَلَيْهِ صَلاةُ اللَّهِ مَاجَدَّ فَاتِـــــذٌ ... بِفَيْضِ مَعِين من صَفِيٍّ مجَـــــدِّدِ

وَآلٍ وَصَحْبٍ مَا تَكَمَّل نَاقِـــــصٌ ... بِشَمَّةِ مَلْزُومِ الكَمَالاتِ سَيِّـــــدِي.

وهذا الجواب المذكور كتب ضحوة السبت لثلاثة خلون من ذي الحجة الحرام عام ثمانية وعشرين بعد المائتين والالف.

وكتب الشيخ سيدي المترجم له في آخر ورقة منه مالفظه: "انتهى الجواب المذكور المبارك مقابلة بالاصل على أيدي مقابليه لمن طلب منهما ذلك وهو مستكتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من ابناء جنسه عبد ربه سيدي بن المختار بن الهيب كان الله للجميع وليا ونصيرا".

ويشور محمد **الجَيْلاني أو الجيلالي البركوري** الذي قد تقدم ذكره في رسالة الشيخ سيدي محمد إلى الأمير أحمد لُبُّ وقد جرى ذكره أيضا في رسالة آل فودي وذكر أيضا في مراسلة الشيخ

سيدي محمد لابنه الشيخ سيدي المختار لما استشاره هل يقدم على أهيرْ أو يُبرد إليهم بريدا ؟ ويولف الشيخ سيدي محمد في شأن هذا الشاعر الذي ادعى المهدية بأرض دِنَّگْ تأليفه المسمى بالصوارم الهندية في حسم دعاوي المهدية ويصدره باسم القاضي الصالح بن محمد البشير والسلطان كَوَي بن إمّ بن أكّ الشيخ. وقد تبع الجيلاني المذكور جميع إبَدَبَدَنْ وجميع إوِلّمْدَنْ ويذكر الشيخ سيدي محمد كثيرا من العلم والتاريخ في هذا التاليف فقال الشيخ سيدي المترجم له في شأن هذا الشاعر هذه القصيدة:

إلى متى هَذَا التَّوَانِي مُـــــدَامْ ... وَذَا التَّمَادِي في ازْدِيَادِ الْحُطَـــــامْ

كأنَّمَـــا لـــمْ يَدْهُ من دَاهِـــــمٍ ... يَهُدُّ أطْوَادَ الْجِبَالِ الضخَـــــامْ

ويُدْهِشُ الألْبَـــاب إرْجَافُـــــهُ ... وَيُسْبِلُ الدَّمْعَ كَهَامِي الْغَمَـــــامْ

بَلَى دَهَـــا ضَـــمٌّ بِإزْعَـــاجِـــــهِ ... هَمَّ الْقُشَعْرِيرُ أديمَ الرَّغَـــــامْ

أَلَمْ يَكُن لِسُنَّـــةِ الْمُصْطَـــــفَى ... وَدِينِهِ الْقَيِّمِ نَقْضُ انبِـــــرَامْ

فَمُحكَـــمُ التَّنْـــزِيلِ آيَاتُـــــهُ ... أبِيحَ مَاحَرَّمَتْـــــهُ من حَـــــرَامْ

والصَّادِقُ الْمَصْـدُوقُ أخْبَـــــارُهُ ... قَد فُنِّدَتْ صِحَاحُهَـــا والسِّقَـــامْ

وَصَالِحُوا الأسْـلافِ إجْمَاعُـــــهُ ... غَدَا شَتِيتًا شَمْلُـــــهُ والنِّظَـــــامْ

وزُخْرُفُ الزَّيْغِ سَمَـــا سَمْكُـــــهُ ... وَمَعْلَمُ الْعَـــــدْلِ دَحَـــاهُ انْهِـــدَامْ

يَا أيُّهَا الْفَـــرْدُ الْمُسَمَّـــى لِمَـــا ... دَهَى الْوَرَى من الْخُطُـــــوبِ الْعِظَامْ

إنَّـــكَ مَتْبُـــوعٌ لأتْبَـــاعِـــــهِ ... إرْثٌ من اصْحَـــــابِ النَّبِيِّ الْكِـــرَامْ

وَالدِّينُ يَدْعُو مُسْتَجِيرا بِكُـــــمْ ... وَهَضْمُ جارٍ لِلْمُجِـــــيرِ اهْتِضَـــامْ

أَلاَ انتصرْتُمْ سَيِّدِي لِلَّـــــذِي ... بِنَصْرِهِ عليكـــــمُ النَّصْـــرُ دَامْ

فَكَانَ يَكْفِـــي أن تَجُـــودُوا لَـــهُ ... فِي نصْرِهِ بِهِمَّـــــــةٍ واهْتِمَـــامْ

إذْ هِمَّةُ الْكَامِلِ تُغْنِـــي الَّـــذِي ... لَمْ يَكُ يُغْنِيه الْخَمِيـــسُ اللُّهَـــامْ

أَلَمْ تَرَوْا مَـــا رِيعَ مَحْمِيُّكُـــــمْ ... بِهَـــوْلِهِ مَن جُـــرْءَةٍ واجْتِـــــرَامْ

وَقَـــرْيَةٍ بِدْتَبَّـــةٍ يَدَّعِـــــي ... بِهَـــا دَعِـــيٌّ من دَجَاجِيـــلِ حَـــامْ

سَخَافَةُ الْحِجَـــــا تَرَدَّتْ بِـــــهِ ... فِي جُبِّ شَـــــكٍّ شَـــاطِنٍ واتِّهَـــامْ

وَشِدَّةُ الْجَهْـــــلِ تَسدِّي بِهَـــا ... سُودَ طَـــــوَاغِي فتن كَالظَّـــــلاَمْ

وفُسْحَـــةِ الآمَـــــالِ زَجَّـــتْ بِهِ ... فِي بَحْرِ آثَامٍ خِضَـــــمٍّ عُـظَـامْ

وغِرَّةُ الشَّيْطَـــــانِ أَشْفَـــتْ بِـــهِ ... عَلَى شَفَـــى حُفْرٍ مِنَ النَّـــارِ حَـــامْ

جَـــاءَ بِـــــزُورِهِ وتَـــزْوِيـــرِهِ ... لِيَطْبِي بِهِ قُلُـــــوبَ الطَّغَـــامْ

ويُطْفِئَ النُّـــورَ الـــــذِي قَـدْ أَبَى ... لَهُ الْجَلِيـــلُ جَلَّ إِلاَّ التَّمَـــــامْ

فَسَنَّ مَايَقْضِـــــي بِتَصْـــرِيمِـــهِ ... صَرْمَ صلاةِ الْمُصْطَفَـــى والصِّيَـــامْ

فَاعْتَاضَ رَكْعَتَيْـــــنِ مِـــن اربَـــعٍ ... وَالصُّبْحُ لَم يضْرَبْ له في السَّهَـــامْ

واحْتَرَمَ الْمَغْـــــرِبَ إِذْ رَدَّهَـــا ... لِرَكْعَةٍ كَالْوَتْـــرِ أَيَّ احْتِـــــرَامْ

وأَوْجَبَ الصِّيَـــــامَ فِي سَبْعَـــةٍ ... مِن شَهْـــرِهِ وَغَيْرُهَا لاَيُصَـــــامْ

ويَدَّعِـــي فِي كُـــــلِّ ذَا أَنَّـــهُ ... مُسَـــافِرٌ إِلَى النَّعِيمِ الْمُـــــدَامْ

كَـــلاَّ وَرَبِّي إِنَّـــهُ جَاهِـــــدٌ ... فِيمَا سَيُصْلِيهِ سَوَاءَ الضَّـــــرَامْ

يَقْضِي عَلَى الشُّمْطِ بِنَتْـــفِ اللُّحَى ... تَبًّا لَهُ مِن حَاكِمٍ ذِي احْتِكَـــــامْ

وَلَيْلَـــةُ الْجُمْعَـــةِ إِحْيَـاؤُهَـــا ... لَدَيْهِ بِالنَّبْعِ وَرَضْعِ السَّـــــوَامْ

وَيَدَّعِـــي الْعَهْـــرَ خُصُوصِيَّـــــةً ... خُصَّ بِهَا دُونَ جَمِيعِ الأَنَـــــامْ

إِلَى زُيُوفٍ وَمَخَـــازٍ فَشَـــــتْ ... نَزَّهْتُ عَنْهُنَّ شُذُورَ النِّظَـــــامْ

بَل لم يدَعْ نَزْعًا لِـذِي نَـــزْغَـــةٍ ... وَلَـــم يَـــدَعْ لأَمَـــةٍ لِلَّـــــامْ

مَا عَابَـــهُ بِالنَّقْـــصِ مَنْ عَابَـــــهُ ... بَـــلْ عَيْبُـــهُ بِالنَّقْـــصِ لِلنَّقْـــصِ ذَامْ

مُدَّلِّلٌ لاَشَـــيْءَ لَهُ شَـــامِـــلٌ ... وَمَن يَكُن لاَشَيْءَ فَهْـــوَ انْعِـــدَامْ

فَـــأَيْنَ ذَامِـــن فَـــاطِمِيٍّ لَـــهُ ... عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ يَفْنَـــى فِطَـــامْ

حَاشَـــاهُ ثُمَّ يَجِـــيءُ بِـــزُورٍ وَلاَ ... يَرْضَى بِفِعْلِ مَاعَلَيْـــــهِ يُـــلاَمْ

وَطَابَـــةُ الطَّيْبَـــةِ مِيـــلاَدُهُ ... يُوتِي بِهَا الْحُكْمَ كَيَحْيَـــى غُـــلاَمْ

يَاتِيـــهِ لِلْبَيْعَـــةِ كُلُّ الْـــوَرَى ... بِكَـــةَ الْغَـــرَّا فِئَامًا فِئَـــامْ

ثُـــمَّ بِأَنْطَاكِيَـــةٍ يَحْتَـــبِي ... وَعَـــدْلُهُ مُطْبِـــقٌ مُسْتَـــدَامْ

حَتَّى يَؤُمَّ الـــرُّوحَ عِيسَـــى عَلَـــى نَبِيِّنَـــا ثُـــــمَّ عليْهِ السَّـــلامْ
تَرْضَـــى بِهَـــدِيَّةِ من هَكَـــــذَا وَالْغَيْرُ يُرْضِيه ذُبَـــــابُ الْحُسَـــامْ
قَد خَـابَ مَهْـدِيٌّ لِبَـرْكُـــــورَةٍ يُنْمَى ودِنُّگْ دَارُهُ والْمُقَـــــــامْ
يَدْعُـــو لما يَعْبُـــدُه منْ هَـــوًى حُمَاةَ مَسْنُونِ الإِمَامِ الْخَتَـــــــامْ
صَلَّـى عليْـهِ اللَّـهُ ما أنَـــــه يُجَدِّدُ الدِّينَ بِفَرْدٍ هُمَـــــــامْ
يَمْنَحُـــه الْعِلْـــمَ بِالْهَـامَـــــه وَيَـــرْتَقِـــي بِهِ لأَسْمَا مَقَـــــامْ
وَآلِـــه وصَحْبِـــه مَـــن بِهِـــــمْ كَـــانَ كَمَـــالُ دِينِهِ وَالتَّمَـــــامْ.

وذكر الشيخ سيدي محمد في كتابه المذكور الفرق الضالة وفصلها وذكر أن تينبكت في وقت كتابته لهذا الكتاب تخطب باسم أمير المغرب الشريف العدل المولى سليمان ابن المولى سيدي محمد. وكتب الشيخ سيدي في آخر ورقة منه مالفظه:

"انتهت مقابلة هذه النسخة المباركة على يد مقابلها آخرا ومستكتبها أولا لنفسه ثم لمن شاء الله بعده من ابناء جنسه فقير مولاه سيدي بن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا آمين آمين يارب العلمين".

وجاء في **مراسلة الشيخ سيدي محمد** بن الشيخ سيدي المختار **لأخيه** الفاضل الأواه سيدي **حبيب الله** مامحل الغرض منه في الحال: "وأما ما نحن عليه عازمون وبفعله إن ساعدت الاقدار جازمون فباقتران الماء بالطريق والسلامة بكفاية الله من دواعي التعويق نرتحل حثيثا ولا نطاوع تلبيثا إلى تلك المعاهد المنورة الاعلام الظاهرة مسافح الهضاب والآكام التي يجب إليها السعي على الوجنات بدل الاقدام ويتسلى بمناظرها البهية أخو الوجد والغرام وتنحل بالتحلل بعرصاتها عقد الآزام ومعاقد الاثام معاهد أنشد فيها الصاحب الاديب والمريد الصادق الأريب سيدي بن المختار قوله تعشقا لتلك الحضرات وتشوقا لتلك النسمات العطرات ذيل به أبياتا كنت نحوت بها ذلك المنحى فجرى على ذلك النحو ونحى"، والشيخ سيدي محمد إذذاك في غاية من وحشة المقر بين أكارع البحر بمحل تكثر فيه الاصوات العائقة عن المقيل وأبياته هي هذه:

لِمنْ أنتَ ياعبدَ الجفـــاء رَقِيـــقُ ... فتَنْبَهُ من نوْمِ الغَبَا وتُفِيـــــقُ
فَمِن بعد أن بَـــوَّاكَ ارْضًا نَقِيَّـــةً ... بِطَاحًا وكُثْبَانًا تُرَى فَتَـــــرُوقُ
أحَلَّكَ أكْنَافَ الأكَارِعِ مُـــكْرَهًـــا ... لِزَامُولِهَا إثْرَ الزَّفِيرِ شَهِيـــــقُ
وَتَقْصُرُ مَمْدُودَ المَسَامِـــع لَجْبَـــةٌ ... زَئِيرٌ وَتَصْفِيـــقٌ بِهَا وَنَقِيـــقُ
بِقَرْقَرِ قَاعٍ حَمْئَةٍ حَشَرَاتُـــــهُ ... يَغَصُّ بِهَا حَلْقُ الْفَضَا وَيَضِيـــقُ

وهذا هو التذييل في وصف ماتقدم:

كأنَّ لُغَى أهْلِيه لَغْوَى طُيُـــــورِهِ ... بل الطَّيْرُ أهْلا في الْبَيَانِ تَفُـــــوقُ
وَحَفَّ بِهِ صَعْبُ المَخَاضَةِ خِضْـــرِمٌ ... لَه أُجَجٌ خُضْرٌ وَمَـــوْجٌ دَفِيـــقُ
يَكَادُ من الْفَيْضَانِ يُغْرِقُ نَفْسَـــهُ ... وَيَاتِي على شُمِّ الـــذُّرَى وَيَحِيـــقُ
تَرَى سابِحَ الْحِيتَانِ فِيه كأنَّـــهُ ... لإفْرَاطِ عُمْقٍ مُسْتَغِيـــثٌ غَرِيـــقُ
زَوَامِيلُه تَبْـــدُو كـــأنَّ رُؤُوسَهَـــا ... بَوَالِي جُذُوعٍ تَخْتَفِـــي وَتَتْـــوقُ
فَلَيْسَ لِنُوتِـــيٍّ تَمَطُّـــاهُ مَأْمَـــنٌ ... وَقَلَّ بِهِ للسَّـــابِحِـــينَ طَرِيـــقُ
تكنَّفه سودُ الأعاجِـــمِ بالْبِنَـــا ... فَأَخْصَاصُهُمْ حَيْثُ الْضَّبَـــابُ يُرِيـــقُ
وَلاَزَمَه مُسْتَـــرْزِقُوهُـــمْ فَكُلَّمَـــا ... تَنَحَّى فَرِيقٌ نَابَ عَنْه فَرِيـــــقٌ
أُنَاسٌ لهُمْ زِيُّ الْجُنُـــونِ وكُلُّهـــمْ ... سَوَاءٌ فَدَرْكُ الْجِنسِ[1] منهم دَقِيـــقُ
بِخَشْنَاءَ مَكْنُ الْحُرِّ فِيهَـــا مُحَـــرَّمٌ ... وَكُلُّ ذَكِـــيٍّ قَـــالَ فِيهَـــا مَعُـــوقُ
لَوَ أنَّ لَنَا منْهَا دَمَـــائِثَ سَهْلَـــةً ... وَبِيضَ نُجُودٍ بِالْكِـــــرَامِ تَلِيـــقُ
مَعَاهِدُ جادَ الْمُزْنُ فِيهَا وَجَلْجَلَـــتْ ... رَوَاعِدُه وَافْتَرَّ فِيهَا الْبُـــــرُوقُ
وَأَنَّتْ بِهَا الْغِيطَانُ مِـــن فَرْطِ رِيِّهَا ... وَبَشَّ بِهَا الرَّوْضُ النَّضِـــيرُ الأنِيقُ
نُقِيمُ بِهَا والشَّرُّ مَغْـــضٍ جُفُونَـــهُ ... على خَفْضِ عَيْشٍ والزَّمَانُ رَيِـــقُ
على عَلَمِ السُّقْيَا بِحَضْـــرَةِ مَنْ هُـــمُ ... أُصُولٌ لِمَا فُقْنَـــا بِهِ وَعُـــرُوقُ
فَأَقْبَلَ كلُّ الْخَيْرِ والشَّيْـــخُ مُقْبِـــلٌ ... علَيْنَا بِبُشْرَى والنَّجَاحُ مَسُـــوقُ

---

1 - النوع.

هُنَالِك يَحْظَى كلُّ رَاجٍ بِمَـــا ارْتَجَى ... وتُقْضَى دُيُونٌ ضُيِّعَتْ وحُقُـــــوقُ

ويُعْبَدُ مَنْ يَسْتَوجِبُ البِرَّ والتُّقَـــى ... ويُكْرَمُ غَوْثٌ بالْجلالِ حَقِيـــــقُ

وتُطْوَى لأربَابِ السُّلُوكِ مَسَافَـــــةٌ ... فَيُجْذَبُ مَقْطُوعٌ ويُدْنَى سَحِيـــــقُ

ويَشْرَبُ من كأسِ الْوِصَالِ ظِمَـــاؤُهَا ... بِرَاحَةَ من يُمْنَاهُ بَحْرٌ عَمِيـــــقُ

ويُقْطَفُ من دُرِّ الْعُلُومِ نفَائِـــــسٌ ... وَيَنْحَلُّ إشْكَالٌ وتَبْدُو فُـــــرُوقُ

وتُبْدَلُ شَمْسُ الحقِّ من سُدَفِ الْهَـــوَى ... وَيَدْرِي لِمَنْ عَبْدُ الْجَفَاءِ رَقِيـــــقُ

قوله على علم السقيا يريد بها سقيا المنان التي ذكر الشيخ سيدي محمد في الرسالة المذكورة أنها هي الموعد بينه وبين أخيه سيدي حبيب الله وسياتي ذكر بقية الغرض منها عند محله إن شاء الله تعلى .

ويكتب الشيخ سيدي المترجم له وهو في هذه السفرة مالفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما لما دخل شيخنا سيدي محمد رضي الله عنه وأرضاه وجعل بحبوحة الجنة مثوانا ومثواه ذات يوم بحر النيل يتبرد قال بعض مريديه وهو سيدي بن المختار يخاطب البحر ويمدح الشيخ:

رُوَيْدَك بَحْرَ الماء مَن فِيكَ يَعْبُـــــرُ ... غَطَمْطَمُ فَيْضٍ مِنك أطْمَى وأزْخَـــــرُ

إذَا أنت لم تُمْسِك من السيْلِ جِرْيَـــةً ... ولَمْ تَتَأدَّبْ وازْدَهَاكَ التَّجَبُّـــــــرُ

فَشُدَّ عَلى غَيْضٍ يَنَانَك واعْلَمَـــــنْ ... بِأَنَّكَ غَرِيقٌ أيُّهَا الْمُتَكَبِّـــــــرُ

فَلاَ تَغْتَرِرْ جَهْلا بِما منْهُ قَدْ بَـــــدَا ... فَلَيْس لُبَابُ الأمْرِ مَا أنتَ مُبْصِـــــرُ

فَلَوْ كَانَ فِي شَخْصِ الْحَقِيقَةِ بَادِيًـــا ... مَذَانِبُـــه من فَيْضِـه تَتَحَـــــــدَّرُ

وقُـــدِّرْتَ نُونًا ثُمَّ رُمْتَ سِبَاحَـــــةً ... بِطَامِيه لَمْ تَعْبُرْ كَمَا كَانَ يَعْبُـــــرُ

وكَوْنُ كَبِيرٍ فِي الْحَقِيقَـــةِ عَـــــدَّهُ ... صَغِيراً صَغِيرٌ ذُو عَمًى لَيْسَ يُنْكَـــــرُ

ألَمْ تَرَ أنَّ الشَّمْسَ تَبْدُو صَغِيـــرَةً ... لِمُقْلَةِ مَن يَرْنُو إلَيْهَـــا ويَنْظُـــــرُ

ولَيْسَتْ كَمَـــا تَبْدُو فَإنَّ بِسَـــاطَهَا ... تَضِيقُ بِه السَّبْعُ الطِّبَاقُ وتَصْغُـــــرُ

أتَحْسِبُ يَا حَلْفَ الْقَبَـــا كلَّ عَابِرٍ ... كَمِثْلِ ابْنِ وَيْسٍ تَزْدَرِيه فَتَغْمُـــــرُ

عُرَى الْعُجْمِ مَن نِيطَتْ بِصَخْرِ فُـــؤَادِهِ ... ولَمْ يَتَّسِدْ لأبَدٍ يُقْلِي ويُقْهَـــــرُ

فَشَتَّانَ مَابيْن الْخِضَّميْنِ جِرْيَـــــةً ... ومـــا بَيْن سيْلٍ منْهمَا يَتَثَـــــــوَّرُ

فَهذا بِسَخْنِ الْمَاءِ يَجْرِي تَدَفُّقًـــــا ... وذَاك بِدُرِّ الْعِلْمِ يَطْمُو ويَزْخَـــــــرُ

وهَلْ يَسْتَوِي نَهْرٌ تَسَنَّى بِحوتِـــــــهِ ... ومُنْهَمِرٌ لايَعْتَرِيهِ التَّغَيُّـــــــــرُ

وهَلْ يَسْتَوِي غَوْرٌ يُطَـــمُّ بِغَيْـــــرِهِ ... وغَوْثٌ بِهِ طُمَّ الْقِفَارُ والابحُـــــــرُ

بِيُمْنَاهُ مِفْتَاحُ الْخَـــزَائِنِ كُلِّهَـــــا ... يُعَلِّلُ مِنْهَا كَيْفَ شَاءَ ويُصْـــــــدِرُ

ويَرْعَى حُدُودَ اللَّهِ فِي كُلِّ قِسْمَـــــةٍ ... ويَحْمِي عَنِ الْعَادِي حِمَاهُ ويَنْصُـــــرُ

بِذَا شَهِـدَتْ حَالُ الزَّمَانِ وأَهْلِـــــهِ ... ومَقْوَلُ حَالِ الشيْءِ بِالصِّدْقِ أَجْـــــدَرُ

فَشَتَّ أَخِي شَأْوٍ قَصِيرٍ غُبَـــــارُهُ ... وقَسْطَلَ من رَيَّاهُ لايتَصَـــــــوَّرُ

مَصَاعِدُ وُدٍّ لايَحُـــومُ حِيَالَهَـــــا ... ويَصْعَدُهَا الا الشُّجَاعُ الْمُشَمِّـــــرُ

تُرَاثَ جُدُودٍ حَاوَلَ الْجَـــدَّ جِدُّهُـــمْ ... فَأَدْرَكَ مِنْهُ مَا الْحِجَى عَنْهُ يَقْصُـــــرُ

تَوَارَثَهَا عَنْ كَابِرٍ كُـــلُّ كَابِـــرٍ ... مَصَابِيحُهَا فِي سُدْفَةِ الْجَهْلِ تَزْهَـــرُ

ومَنْ لم يُشَمِّرْ ثُـــمَّ رَامَ صُعُودَهَـــا ... فَقَدْ حَاوَلَ الْمَغْرُورُ ما يَتَعَـــــذَّرُ

ومَنْ يَعْتَقِدْ غَيْرَ الذِي قُلْتُ أَوْ يَقُـــلْ ... سِوَاهُ فَمَطْمُوسُ الْبَصِيرَةِ أَعْـــــوَرُ

أَلاَ إِنَّـــهُ عَبْـــدٌ كَـــرِيمٌ مُكَـــــرَّمٌ ... بِإِرْثِ مَقَـــامٍ هُوَ أَعْـــلَى وأَكْبَـــرُ

مَنَاقِبُهُ تُعْيِي الْحِسَابَ وقَـوْلُ مَـــنْ ... يُحَاوِلُ حَصْرًا فِرْيَةٌ وتَهَـــــوُّرُ

لَهُ مِكْنَةٌ تَقْضِـــــي بِأَنَّ مُيَمِّمًـــا ... نَحَاهُ على شَطِّ الْمَسَاوِفِ يَظْفَـــــرُ

وأَنَّ رِدَاءَ الْيُمْنِ يَضْفُـــو بِيُمْنِـــهِ ... وكلَّ عَسِيرٍ عُسْرُهُ يَتَيَسَّـــــــرُ

وَأَنِّي فِي حِقْفِ الْعُلَـــــى مُتَرَقِّلٌ ... أُجَرِّرُ أَذْيَالَ الْمُنَى مُتَصَـــــــدِّرُ

تُؤَمِّنُنِي عَيْنُ الْعِنَايَـــــةِ مَبْدَءًا ... ومُخْتَتَمًا من كُلِّ مَاكِنْتُ أَحْـــــذَرُ

وبَعْدُ فَصَلِّ ثُمَّ سَلِّمْ عَلَى الَّـــذِي ... لَدُنْهُ يَنَابِيعُ الْهُدَى تَتَفَجَّـــــــرُ

وآلٍ وَصَحْـــبٍ ثُمَّ تَالٍ سَبِيلَـــــهُ ... إِلَى مَحْشَرٍ فِيهِ الصَّحَائِفُ تُنْـــــشَرُ

فأجابه الشيخ سيدي محمد بقوله وأجاد وأحسن:

ألاَ لاَدَجَى فكْرٌ بِهِ أنتَ تَفْكُرُ ... ولاَ عَمِيَتْ عين بِهَا أنتَ تُبْصِرُ

ولا غَاضَ فَيْضٌ من معين عِنَايَةٍ ... بِتَيَّارِهِ الْقَمْرِ الْغَطَمْطَمِ تَعْبُرُ

ولا زَالَ من جَوِّ السَّعادة جَانِدٌ ... بِكُلِّكَ لاَيَنفَكُّ يَهْمِي ويُمْطِرُ

وكُنتَ كمَا كان المرفَّقُ كُلَّمَا ... بَدَا عَلَمٌ أشْفَى لآخَرَ يَنظُرُ

وعَانَقْتَ أبْكارَ المعَارف خُرَّدًا ... وسَاعَدَكَ السَّعْدُ البَهِيُّ الْمُنَوَّرُ

وواجَهَكَ الرَّبُّ الكَرِيمُ بعطْفِهِ ... ووُلِّي لكَ النَّوْلُ الْهَنِيُّ الْمُوَفَّرُ

ولا عَصَفَتْ رِيحٌ بوجهك دُونَمَا ... بِمنهَاجِهِ حَتَّا تجِدُّ وتَعْطِرُ

وأصْبَحْتَ ماهُولَ السَّرائر رَافِلاً ... بِحُلَّةِ عِرْفَانٍ تَزِينُ وَتَسْتُرُ

ولا قطَعَتْكَ القَاطِعاتُ ولاثَنَتْ ... عِنَانَكَ أغْيَارٌ تَلُوحُ فَتَعْجِرُ

لَكَ الْخَيْرُ سَدِّدْ مَالَقِيتَ مُصَمِّمًا ... وَقَارِبْ فَمَن شَقَّ الْحِجَابَ يُنَوَّرُ

وكُن صادقًا فيما أتَيْتَ فَإِنَّهُ ... لَيَكْفُرُ بالصِّدْقِ الْقَلِيلُ وَيَكْبُرُ

وَتُطْوَى مسافاتُ الرِّجَالِ بِطَيِّهَا ... بِمَنشُورِ مَا تَطْوِي الدَّعَاتُ وتَنْشُرُ

وَإِنَّ الْفَتَى مَن كَانَ فِي اللَّهِ هَمُّهُ ... وَتَشْمِيرُ فيمَا بِهِ يَتَصَدَّرُ

يَرَى الصَّعْبَ سَهْلاً دُونَ أسْفَرِ هَمِّهِ ... وَيُنْجِدُ فِي دَرْكِ الْوِصَالِ وَيُغْوِرُ

وَفِي عَيْنِهِ حَسَنٌ الْعَلِيِّ مُكَبَّرٌ ... وَمَا كَانَ من حَظٍّ لَدَيْهِ مُحَقَّرُ

وَإِنِّي لاَ أَلُوكَ جُهْدِي تَطَفُّلاً ... عَلَى تُحَفِ الْحَقِّ التي لاتُحَجَّرُ

وَأَرْجُولَكَ السَّعْدَ الذي ظَفِرَتْ بِهِ ... أكُفُّ الأُلى من رِقِّ الاَ شَيْا تَحَرَّرُوا.

ولا يخفى مافي هذه القصيدة من التصريح للمخاطب بها بما لاشيء وراءه عند المشائخ من التصدير والإخبار به والرجاء الحسن للمصدر.

ويريد الشيخ سيدي محمد السفر الى جهة ويدع التلاميذ في موضع آخر فيقول الشيخ سيدي المترجم له هذه القطعة:

كَيْفَ الْقَرَارُ ووِتْرُ الْقَلْبِ أعْثَـــــارُ ... وَفي السُّوَيْداء منْه تصْطَلي النَّـــــارُ

كَيْفَ الْقَرارُ وقدْ سار القَـــــرارُ لَنَا ... وَهلْ يَقَرُّ بِلُوحِ الْجَـــــوِّ دَيْـــبـــارُ

أمْ كَيْفَ يَنْآ عَنِ الْمَجْـــــرُورِ عَامِلُـهُ ... لاَسِيَّمـــا عَامـــــلٌ بالرَّفْعِ جَـــرَّارُ

ولا يُفَرِّقُ شَـــرْعًا بَيْنَ والـــــدَةٍ ... مِنَّا ومَوْلُودِها وَالحَـــــقُّ مِظْهَـــارُ

فَكَيْفَ مُرْتَضَعٌ أَلْبـــانُه حِكَـــــمٌ ... ونُورُ قَلْبٍ وتَهْـــــذيبٌ وأَسْـــرَارُ

مَنْ لَمْ يَحِنْ حِينُه من حِـــــينِ رِحْلَتِه ... مِمَّنْ ثَوَى قَلْبُه فِي الصَّمْـــــرِ أعْمَـــارُ

لاَيَنْأَ مَنْ تَجِدُ السُّـــــلْوَانَ أفْئِـــدَةٌ ... به عن اجْنَاسِهـــــا مِنَّا وأبْصَـــارُ

أدْخَلْتُه كَنَفَ الْمَنَّـــــانِ واهِبِـــه ... وَجَيْبَ مَوْرِثِه وَالْكُـــــلُّ نَصَّـــارُ

وَاللَّهَ أَسْأَلُ أن تُقْـــضَى بِهِمَّتِـــه ... لَنَا حَوَائِجُ نَرْجُـــــوهَا وَأَوْطَـــارُ

ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَـــلَى ... آلٍ وصَحْبٍ ومَنْ بِخَتْـــارُ ما اخْتَارُوا.

ويقول الشيخ سيدي محمد قصيدته التي مطلعها:

حَالِي إِلَيْكَ شَكَوْتُهَا يَاسَيِّـــــدِي ... يامَالِكِي ومُحَـــوِّلَ الأَحْـــــوَالِ

إلى اخرها وهي إحدى وأربعون بيتا فيكتب عند انتهائها المترجم له ماصورته: وللعبيد المريد الراجي من ربه الكرامة والمزيد سيدي:

يَامَنْ يُثِيبُ نَـفَـــائِسَ الاعْمَـــالِ ... بِنَفَائِسِ الأَلْطَـــافِ والأَنْفَـــــالِ

وَيُجِيبُ مُبْتَهِلاً تَوَكَّـــفَ جُـــرْدَهُ ... بِمَقَـــاوِلِ الأَحْـــوَالِ والأَقْـــــوَالِ

وَيَفُكُّ مِن قَيْدِ الْجَـــرَائِمِ رَهْنَهَـــا ... بِشَفَـــاعَةِ الأَقْطَـــابِ والأَبْـــــدَالِ

جَوِّدْ مَثْوِيَةَ واجِدٍ قَـــــرْدٍ لِمَـــنْ ... وَفَدَتْ عَلَيْـــكَ بِجِيدِ الأَعْمَـــــالِ

وَتَلَقَّ وَالِدَةً عَطُـــــوفًا نَوَّخَـــــتْ ... بِفَسِيحِ بَابِ جِوَارِكِ الْمِحْـــــلاَلِ

بالعفو والْغُفْـــــرَانِ والرِّضْوَانِ والنَّا ... مِينِ والتَّمْشِيـــرِ والاقْبَـــــالِ

واذَنْ بِمَسْكِـــــبٍ من الرَّحْمَـــى على ... جَنَـــنِ تَوَطَّنَ بَطْنَـــه هَطَّـــــالِ

يَنْفِي غُثَاءَ الْخَوْفِ سَيْبٌ مَعِينَـــــه ... وبِه يُصَدُّ طَـــوَارِقُ الأَهْـــــوَالِ

وفَدَتْ عليْكَ من الْخَلِيفَةِ من بِـــــه ... رُدَّتْ عَلَيْكَ جَوَامِحُ الأَضْـــــلاَلِ

ومَن اعْتَنَى طوْعًا بمَرْآب مَابِـــــــه ... عَبَثَتْ يدُ التَّغْيِيـــر والإبْـــــدَالِ

جَعَلَ التَّسيُّر بالحنيفةِ سيـــــــرةً ... حتَّـــى ألاحَ بحـــاله ومَقَـــــــالِ

ورَمى عَصاهُ بسُوقِ سَمْسَـــــرةِ التُّقَى ... وَشِراءِ نَفْسِ المُفْلِسِ المُتَغَـــــــالِي

ومَن اجْتَبَيْتَ لصَوْنِ سرِّكَ سِـــــرُّهُ ... وخَصَصْتَه بمَقامِ ذِي الإرســـــــالِ

وأسَلْتَـــهُ بَحْرًا فُـــرَاتًا للظَّمَـــــا ... وسَلَلْتَـــه سيْفًـــا على الأقْتَـــــــالِ

فَأذَاقَهم طَعْمَ المَنَا قَبْلَ المَنَـــــا ... وأحَلَّهُم في الحَلِ دارَ مِحَـــــــالِ

وجَعَلْتَ مِفْتَاحَ الخَزَائن عنـــــدهُ ... يُلْقِي الجَدَا بِيمِينـــه وشِمَـــــالِ

مَا إنْ أتَى مفْتُوحَ بَابِ نوالـــــه ... مُتَنَـــولٌ إلا انثَنَـــى بِنَـــــوالِ

تُطْبُ يَدُور به الوُجُودُ إذَا دَهَـــــتْ ... فِتَنٌ تُشِيبُ ذَوَائبَ الأطْفَـــــالِ

وبه تُنَـــالُ من الغُيُـــوثِ إغَاثَـــــةٌ ... وبه تُـــزَالُ بَوَائـــقُ الزِّلْـــــــزَالِ

وبه تُضاءُ من الغَوَامضِ إنْ خَبَـــتْ ... عنْهَا الفُهُـــومُ دياجِرُ الإشْكَـــــالِ

كمَّلْـــتَ فيه كمالَ كلِّ مُكَمَّـــــلٍ ... حتَّـــى غَدا كُـــلا لكُلِّ كَمَـــــالِ

مَن بالحُروفِ أتَى لِنَشْرِ طويِّـــــه ... فَلَقَـــدْ أتَى فِيمَا أتَى بِمُحَـــــالِ

يَاحَيُّ يَاقَيُّـــومُ يامَن جُـــــودُه ... يَجْرِي مع الغَـدَوَاتِ والآصَـــــالِ

حَقِّقْ لهُ مَايَرْتَجِيـــه ونَجِّـــــه ... ولْتُنْجِنَـــا من هَيْبَةِ الآمَـــــالِ

وأفِدْهُ مَايَدْعُـــو كمَا عَوَّدتَـــهُ ... يَادائم الإحْسَـــانِ والإفْضَـــالِ

وَأدِمْ كِيَانَ الكَوْنِ طَوْعَ مُـــرادِه ... وَقِ من أفُولٍ شَمْسَـــــهُ وَزَوَالِ

وَامْدُدْهُ من جَبَرُوتك المَعْنِي بمَـــا ... تَعْنُو لِجَوْلَتِه طُلَى الأجْهَـــــالِ

واقْتُلْ مَعَاشِرَ حَارَبُوه تَمَالُئًـــا ... قَتْلَ الوَلِيِّ المُعْـــشِرَ المُتَمَـــالِي

وأفِضْ عليْه من الفتُوحِ مَنَائحًـــا ... تَرْبُوا على التَّفْصِيـــل والإجْمَـــالِ

وَتولَّـــه أمَـــدَ الزَّمَانِ وغَشِّـــــه ... بسَوَابِـــغِ التَّخْـــوِيلِ والاجْـــلالِ

وارْحَمْ ضَرَاعةَ مَن دَعَا مُتَكَفِّفًـــا ... مُتَلَهِّفًـــا مترادِفَ الأوْجَـــالِ

غِرٌّ به فَتَـــكَ اللَّعِينُ وجُنْـــدُهُ ... وَعَصَتْ عَلَيْه مَفَـــالِقُ الأقْفَـــالِ

أبْقَاهُ فِي دَرَكَاتِ غَيْبِ حِجَـــــابِهِ ... جَهْلٌ ووَجْهُ رِيَاسَـــــةٍ مُتَـــــلاَلِي

وجِمَاحُ نَفْـــسٍ عُوقِتَتْ وَتَعَلَّقَـــــتْ ... بِزَخَـارِفِ الْفَـــــانِي عَنِ التِّرْحَالِ

وَعَنِ الوصُولِ إلى مشاهدَ يُكْتَـــفَى ... فيهـا عن المَفْعُـــــولِ بالْفَعَّـــالِ

فَكَثَافَةُ الْحُجُـــبِ الْمُذِلَّةِ ضَـــــرَّهُ ... إخْجَالُهـا بِمَحَـــافِلِ الاشْكَـــالِ

ولَظَى القَطِيعةِ مَزَّقَتْ أحْشَـــــاءَهُ ... بِلَهِيبِهـا الْمُتَـــــوقِّدِ الْمُشْعَـالِ

حَوِّلْ عَلَـى عجـلٍ قبائِحَ حَـــالِهِ ... يَامُشْكِيَ الشَّاكِي بِأَحْســـنِ حَـالِ

وانْظُرْ إليْهِ بِعَيْنِ عَطْفِكَ واسْقِـــــهِ ... مِن عَذْبِ مَوْرِدِ شَيْخِـــــهِ السَّلْسَالِ

وَأَذِقْهُ من خَمْرِ الشُّهودِ مَذَاقَـــــةً ... يَحْيَى بِنَشْوَتِهَـــــا مَوَاتُ الْبَـــالِ

ويُعَاضُ من حُبِّ الْمُزَالِ محبَّـــــةً ... وَتَأَنُّسًـــا بِالـــــدَّائِمِ الْمُتَعَـالِي

ثمَّ الصَّلاةُ على النَّبِـــــــيِّ وَآلِهِ ... وَالصَّحْبِ وَالأَزْوَاجِ وَالأَنْجَـــــالِ

وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحْسَـــــانٍ إِلَى ... يَوْمٍ تُطَارُ صَـــحَائِفُ الأَعْمَـــالِ

قوله: واقتل معاشر حاربوه، البيت، يشير إلى مافي السهام المسددة إلى نحور الشناة والحسدة. تأليف الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار رضي الله عنهما وأرضاهما الذي يذكر فيه قيامهم لصد عدوان كَلّ انْتَصَرْ وقيام الشيخ سيدي المختار في امرهم قبله وما رأى في ذلك وقيامهم بعده على الشيخ سيدي محمد مؤلف الكتاب المذكور وإجماع أهل أكّ اسْعَادَ على نصب الحرب لكلّ انْتَصَرْ ومجيء أعيان إِوْلِمْدَنْ للشيخ سيدي محمد معينين مسخرين خاضعين.

وكان أمر كَلّ انْتَصَرْ هؤلاء مع الشيخ سيد محمد وقع عام 1228 ءاخر يوم من جمادى الأولى، قف على رسالته في الجواب عما يقع لمجاوريهم أيام الوقائع.

وورد ذكر هنون بن بَيْدَ رئيس أولاد داوود العرب في هذا التأليف كما قد ورد ذكره في رسالة موجهة إليه تخصه فيها كثير من أخبار أولاد داوود؛ وذكر في التأليف المذكور متصلا بذكر هنون بن بَيْدَ أن المرء إنما يقيد بلسانه كما أن الدابة تقيد بيديها بعد حضه له على الوفاء بالعهود وتذكيره بآيات الله في توكيدها ويقول له إن من زعم من أهل الحوض أن أهل أزراد انكفوا عنهم بأنفسهم فجاهل اخرق بل

---

1 - وفي نسخة إذ لالها

إنما كف أولي الشوكة من التوارگْ وغيرهم وضعنا الجناح على جميع من ينسب إلى أدَيْ من عام وخاص وإلجامنا إياهم عن الغزو الفينة بعد الفينة وآخر من بقي ممن يغزو تلك الناحية إيوْرَاغْ وإيدْنَانْ فجعلنا كلما أغاروا اغرينابهم ساداتهم من إوْلَمْدَنْ فانتزعوا مابأيديهم فأذعنوا وسالموا هنون وأشياعه. وقد شارط الشيخ سيدي محمد في تأليفه هذا إگْلاَدْ على وضع السلاح وارتجاع ماكان عليه سلفهم من المسكنة وخدمة أموالهم وتشميرها وحفرآبارهم وجلب فيما يتعلق بهذه المسألة من العلم النفيس وتبيين أنواع التعزيز والتاديب وتفصيل ما يفعل لكل نوع من الناس مالا مزيد عليه فلله دره من عالم ومؤرخ وكاتب وبليغ وشيخ تربية وترقية وراثة عن كابر بعد كابر واستطرد قصيدته الوحيدة المنوال مرجوة الاجابة ظاهرة الاصابة وهي هذه:

مالَنـا عُصْمَةٌ سوَى من تحَامـــــى أن يُرَام حميـه اوْ يُضَـامَـــــا

وهي طويلة غاية دعاقيها كثيرا على اعدائه هؤلاء أعاذنا الله من جميع الشرور ويذكر في هذا التأليف لأخيه باب أحمد أن الله تعلى سخر لأمره نواصي التْوَارگْ ينصر الولي الناصر الخالق بحيث لو أمرهم بذبح ابنائهم وقتل آبائهم لسارعوا إلى ذلك وأنه قد تبرأ من إگْلاَدْ جميع من كان يغتبط بالنسبة إليهم فما علينا إلا الحمد الجميل، وفي آخر هذه الرسالة بخط ناقلها أنها انتهت هاجرة يوم الاثنين الثالث عشر من صفر عام ستة وثلاثين بعد المائتين والالف.

وكتب المترجم له في آخر ورقة منها مالفظه: "قد استكتب هذه الرسالة المسماة بالسهام المسددة إلى نحور الشناة والحسدة لنفسه ثم لمن شاء الله من أبناء جنسه فقير مولاه الغني بما أولاه سيدي بن المختار بن الهيب كان الله للجميع وليا ونصيرا بمنه وكرمه آمين".

وكاتب هذه الرسالة للمترجم هو الذي كتب له رسالة آل فودي التي تقدم ذكر شيء منها بعد الأرجوزية المائية لكنه لم يسم اسمه.

وكل ماجلب من هذا فهو لبيان المعنى بقول الشيخ سيدي:

وَاقْتُلْ مَعَاشِرَ حَارَبُوهُ إلى آخر القصيدة.

ويكتب المترجم له بعد انتهاء القصيدة اللامية: وله ايضا عفا الله عنه:

سادتي ذاوه المحلُّ الحرامُ ... ومطافٌ به يحِقُّ الزحامُ
وحِمًى لايضامُ فيه دخيلٌ ... ومَقامٌ به يطيبُ المُقامُ
حَرَمٌ لن يريمَ حتما على كُلِّ ... نَبيهٍ لمن حَماهُ احترامُ
كعبة الوصْل مَنجَحُ الحَاج مَرْقَا ... ةُ المَعالي شيْخُ الشُّيُوخِ الإمامُ
عَظُمُوا قدْره فأنْتمْ عِظامٌ ... إنّما يَقْدُرُ العِظامَ العِظامُ
فأنيخُوا واسْعَوا ببَطْحائه ... إن لَمْ يَكن منكُمْ لهُ بِهَا إحْرامُ
ثُم طُوفُوا وقَبِّلُوا جُدُرات ... حَقُّهُنّ التّبْجِيل والإعْظامُ
ثمّ ألقُوا عَصَى المَسِير لدَيْهَا ... واجْعلُوهَا دارَ الثّوَا والسّلامُ

وله أيضا عفا الله عنه:

أنَخْتُ ببَابكُمْ فَعكفْتُ ثَمّا ... أُرجِّي دَفْع مابِي قَدْ ألَمّا
فإنكمُ لكَشْف الكَرْبِ أهْلٌ ... فلا زال المُعوّدُ مُستَتَمّا
إذَا ما قِيل مَن هُو للمدَّاهِي ... يُقَاوِمُ مادَهَا منْها وغَمّا
تُصَرحُ لُسْنُ حال الدهر هذا ... محمدها وسيدُها المسَمّى
وهل يَقْوَى لمُثْقلها سوَى مَنْ ... أتيحَ لهُ تحَمُّلَهَا وحُمّا
ومَن أدْنَاهُ ربُّ العَرْشِ حَقّا ... وقَال له إلى الزُّلْفَى هَلُمّا
فطَهّرهُ من الأقْذَارِ سِرّا ... ونَوّرَ قَلْبَه فوعَى وجَمّا
وهذّبَه بتَحْسِين السّجَايا ... وجَنّبَ نفْسَه قُبْحًا وذَمّا
فلمّا أن تمكّن في التّسَامِي ... وأثْبَتَ فيه منجمَه ولُمّا[1]
أفاضَ منَ العُلوم عليْه فَيْضًا ... وخَصّوَّله من الخَيْرَات جَمّا
وشَمّمَه نَوَافِح عِطْرِ قُرْبٍ ... يَخُصُّ بِهَا مُقَدّمَهُ الاهَمّا
وزَحْزَحَ عنْه جِلْبَابَ المَحَبّا ... فأوْسَعَه مُشَاهَدَةً وضَمّا
وأوْرثَه مَقَامًا لمْ يَرِثْهُ ... عَرِيفٌ ماعَدَا الفَرْدَ الاتَمّا

---

1 - أي جمع الخصال الحميدة.

فأصْبِحْ من إفاضَةِ مُجْتَبِيـــــــه ... عليْـه ونَفْحِـه بَحْراً خِضَمَّـــــا

ومِن تَرْفِيعِ جـانِبِـــــه المُعَلَّـى ... ومَنْـــعِ حَرِيمِـــــه طَوْداً أشَمَّـــا

فليْس مُجَارُهُ يَخْشَى اهْتِضَامًـــــا ... وإن جلَّـتْ جَرَائمُـــــه وظُلْمَـــا

ويَامَنْ ما اسْتَجَـــــارَ به زمَانًـــا ... تَـوَالَى وقْـــعُ حـادثِهِ وأزْمَـــا

لِيَفْـرَحْ وارِدُوهُ بِـوُسْـــــع وِرْدٍ ... يُعَلُّ لمـــــن يُرِيدُ وليْس يُحْمَـــا

فَمـن شَاءَ الشَّـــــرابَ به تَرَوَّى ... ومَن شَاءَ الطُّهُورَ بِـــه اسْتَحَمَّـــا

فَمن لمْ يغْدُ مِـــنْه أخَا نَصِيـــبٍ ... فَلِلحِرْمَان والتحلِـــيءِ يُنْمَـــا

وأكْمَـــــهُ من يُرَاه بِعَيْن بُطْـــل ... ويَزْعُمُ أن للطُّـــرُقَاتِ جِسْمَـــا

ولم يَدْرِ الضَّـــــرِيرُ بأن هـــذا ... ذُكَاءُ فإن بدا لـــم يُبْقِ نَجْمَـــا

بِطَلْعتِـــــه سَمَاءُ الحقِّ يَصْحُـــو ... وإنْ يُكُ غَائبًا فتَصِـــير دَهْمَـــا

ولَيْس بَضَائرٍ شَمْـــسَ الضُّحَى أنْ ... يُقَصِّر عن سَنَاهَا طَـــرْفُ أعْمَـــى

ومَـــن مدَحَتْـــــهُ آلافٌ جِهَـــاراً ... فَسَبٌّ مُهَيْنِـــمٍ يَقْلِيـــــه يُـرْمَى

فكَم عمَّن يذِيعُ الفُحْـــشَ أغْضَـــى ... وصَمَّم سمعَـــه كرمًا وحِلْمَـــا

وكَمْ رأَبَـــتْ يـــداهُ فَسَادَ مُثْـــئٍ ... أكُـــفّ المفْسِـدين ورم رَمَّـــا

وكَم جَـذَبَتْ عنايَتُـــــه مِن ادْنَى ... إلى شَرَفٍ ومن شرف لأسْمَـــى

فعوضَه من الخَفْـض ارتِفَاعًـــا ... وبالنَّقْصِ التَّوَفُّرَ فاسْتَتَمَّـــا

فـــلا بَرِحَ المُعَـــوَّدُ منْه يَـــزْكُو ... وينْمُو ما قَضَـــى أربًا وأمَّـــا[1]

ومـا حكمَـــتْ وِرَاثَتُـــه عليْـــه ... بحاجـة مَن تيَمَّمـه وأمَّـــا[2]

على مَـــوْرُوثِه أزْكَـى صَـــلاة ... وتسْلِيـــمٍ يُقَارِنُها وأنْمَـــى

وآلٍ ثمَّ صحْـــبٍ ثمَّ تَـــالٍ ... بإحْسَـــانٍ إلى أجَـلٍ مُسَمَّـــى

---

1 - أي تقدم وصار إماما

2 - أي قصده، من عطف المرادف.

ولا يبعد عندي أن يكون مايفهم من قوله وَأَكْمَهُ، إلى آخر القصيدة ردا على ماقال بعض اهل زمن الشيخ سيدي محمد من كلامهم فيما جرى بينه مع كَلّ انْتَصَرْ الذي تقدم ذكره وما شارط عليه إكْلاَدْ والله تعلى أعلم.

ويقول الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار:

مراقي العلى ذلّل لموطئ اخْمَصِي ... وزين بأسرار الولا والمعية

يُعَز ذليل يستعز بعز من ... له العز في يوم الصمدية

وأزكى الورى طه الشفيع وسيلتي ... إليك وركني دون كل بلية

فيدخلها الشيخ سيدي المترجم في قصيدته عدية المثال التي رتب أوائلها على حروف [رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْلِي أَمْرِي] آمين وينبغي لكاتبها أن يكتب الحروف الأوائل بالحمرة لتظهر الآية وحدها مقطعة الحروف:

رَفَعتُ إلى مولايَ جَلَّ شكيَّتِي ... وأملتُ نَشْلِي[1] عنده من بَلِيَّتِي

بُليتُ وهلْ يُبْلَى مُرِيدٌ بِمِثْلِ مَا ... بُلِيتُ به من خَبْث نفْس غَوِيَّة

إذَا رمْتُ قُرْبَى أبْطأتْ وتَلَدَّنَتْ ... وَماهي فيمَا تَشْتَهِي بالْبَطِيَّة

شَمَائِلُهَا لَهْوٌ ونَوْمٌ وغَفْلَةٌ ... وحِرْصٌ وتامِيلٌ وسُوء طَوِيَّة

وَأتْ مُنقضَاتِ الظَّهْرِ منْهَا خَفِيفَةً ... وعَدَّتْ مُوَا طَاةَ الْهَوى كَالْمَزِيَّة

حِجَابُ عَمَاهَا عن شُهودِ صِفَاتِهَا ... بِه حُجِبَتْ عن مشْهَد الأحَدِيَّة

لِذَالك أفْنَتْ جِدَّهَا واجْتِهادَهَا ... وَمَرْغَبها في الفَانِيَات الدُّنِيَّة

يَكَادُ رِضَاهَا حُكْمَ جَائِرِ نَفْسِهَا ... يُمْحِي رِضَاهَا حُكْمَ عَدْلِ الْقَضِيَّة

صَحَتْ من سَمَاءِ الْوَارِدَاتِ سَمَاؤُهَا ... بِعَصْفِ رِياحِ الْهَاجِسَاتِ الرَّدِيَّة

دَعَتْهَا دَوَاعِيهَا الْكَوَاذِبُ أنْ قَضَتْ ... بِإحْرَازِهَا نَعْتَ النُّفُوسِ الرَّضِيَّة

رَزِيَّتُهَا فِيمَا تَرَاهُ مُقَرِّبًا ... وَمَا فِيه غَيْرُ الْبُعْدِ أدْهَى رَزِيَّة

يُرِي عَيْنَهَا الْعَمْيَا غَوَايَتَهَا هُدًى ... مَنِ أن يَدْعُهَا لِلْغَيِّ لَبَّتْ وحَيَّنِ

---

1 - الأخذ بسرعة

وَعَدتَ إِلَهِي بِالإِجَابَةِ مَن دَعَـــــا ... وَنَادَاكَ مُضْطَرًا بِإِخْلَاصِ نِيَّـــــةِ

يُقِرُّ بِأَن لارَبَّ غَـــيْرُكَ جَـالِبًـــا ... لِمَا يُرْتَجَى أَوْ مَانِعًا من تَقِيَّـــــةِ

سَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ ذَا الْجُـــودِ والْغِنَـى ... بِوَارِثِ خَيْرِ الْخَلْقِ مُشْكِي الشَّكِيمَـــةِ

رَبِيعِ أَجَادِيبِ الْقُلُوبِ وَغَيْثِهَـــــا ... وَمُنْبِتِ أَزْهَارِ الْمَعَانِي الْبَهِيَّـــــةِ

لِتَشْرَحَ لِي صَدْرِي وتَكْشِـــفَ كُرْبَتِي ... بِتَيْسِيرِ أَمْرِي وانْقِيادِ مَطِيَّتِـــــي

يُبَلِّغُهَا الْمَجْهُود سَـــوْقُ عِنَايَـــةٍ ... لَهَا سَبَقَتْ من رَبِّهَا أَزَلِيَّـــــةِ

إِلَى مابِهِ يَغْدُو الْبَعِيـــدُ مُقَرَّبًـــا ... وَيُبْدِلُ قُبْحَ الطَّبْعِ حُسْنَ سَجِيَّـــةِ

مَدَدْتُ إِلَيْكَ الْكَـــفَّ يَاخَيْرَ وَاهِـبٍ ... فَلَا تَحْرِمِ الْخَيْرَ الْمُفَاضَ يُدَيَّتِـــي

رَجَائِي فِي جَدْوَاكَ غَيْـــرُ مُصَفَّـــرٍ ... وَإِن صَغُرَتْ نَفْسِي وجَلَّتْ خَطِيئَـــتِي

يَقِينِي وعِلْمِي أَنَّ جُـــودَكَ وَاسِـعٌ ... ووَعْدُكَ صِدْقٌ مُوثِقَايَ بِطِنْتِـــي

أَصَرْتُ عُكُوفِي عِنْدَ بَابِـكَ سَيِّـدِي ... وقَرْعِي لَه مِفْتَاحَ بَابِ الْعَطِيَّـــةِ

أَجِرْنِي من الإِخْفَـاقِ واسْمَحْ بِمَطْلَبِي ... ولَاتُخْزِنِي يَارَبِّ بَيْنَ الْبَرِيَّـــةِ

مَرَاقِي الْعُلَى ذَلِّلْ لِمَوْطِـــئِي أَخْمَصِي ... وزَيِّنْ بِأَسْرَارِ الْوَلَا والْمَهِيَّـــةِ

يُعَـزُّ ذَلِيلٌ يَسْتَعِـــــزُّ بِعِـزِّ مَنْ ... لَهُ الْعِزُّ فِي دَيْمُومَةِ الصَّمَدِيَّـــةِ

نَعَمْ وبِهِ يَقْوَى الضَّعِيفُ ويَفْتَـــنِي ... أَخُو الْفَقْرِ عَن أَجْنَاسِهِ الْبَشَرِيَّـــةِ

وأَزْكَى الْوَرَى طَهَ الشَّفِيعُ وَسِيـــلَتِي ... إِلَيْكَ ورُكْنِـي دُونَ كُلِّ بَلِيَّـــةِ

عَلَيْهِ مع الآلِ الْكِرَامِ وصَحْبِـــهِ ... أَتَمُّ صَلَاةٍ ثُمَّ أَوْفَى تَحِيَّـــةِ

دَوَامَ مَدَى الدُّنْيَا ومَا اخْتَتَمَتْ بِـــهِ ... فَرَائِدُ عِقْدِ الصَّفْـوَةِ النَّبَـــوِيَّةِ.

وللشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار يقول الشيخ سيدي المترجم له هذه القصيدة المعروفة بالزرقاء ويحكى أنه قالها في مدة مايحصل قدر ظل قدم وهي في غاية الجودة والإبداع ويكتب قبلها عالفظه: "هذه حلية زائنة وافية وحلة صائنة ضافية ومدحة صادقة وقصيدة رائقة مكملة المساحة محكمة الأعجاز ممدودة الأوائل مبسوطة الأجواز استكمالا وتحكيما واستمدادا واستبساطا من

المدوح بها وله من لم يخش مقتد به تفريطا ولا إفراطا إنسان عين الدهر ووحيدة واسطة عقد المجد وفريدة خلاصة خاصة الاصفياء وحامل لواء ورثة الانبياء ذي القدم الامكن والمقام الأصعد شيخنا الرباني سيدي محمد رضي الله عنه وأرضاه وجعل نصيبنا منه أوفر نصيب واوفاه إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير فهي وإن سُلك بها نحو من مسلك الأديب الأريب والأخ اللوذعي الحاذق اللبيب عُمَر بن الامام الوَلاَتِيِّ الْمَحْجُوبِيِّ في قصيدته الفاخرة ومدحته الباهرة فكانت لها كالسابقة وهذه لها كاللاحقة لكن كم ترك الاول للآخر وكم حازت الخصل عن الأوائل الأواخر بل ربما وكف وبل الولي عقب طل الْوَسْمِيِّ وربما أتى الوادي بُدُفَّاعِه فطم على القَري من إنشاء رق المدوح وعبيده وخديم حضرته وأسير قيده المتوسط بوساطته الشما والمتوسل بوسيلته العظمى لمعرفة ربه العلي وصلته والدخول إليه مع الداخلين في حضرته المنتسب للإرادة تفاؤلا سيدي بن المختار جعله الله ببركة مشائخه الخيرة الابرار منخرطًا في سلك عباده المصطفين الأخيار آمين مقدما لها بين يدي نجواه هدية ومترينا بها يوم الزينة حلة فاخرة وضية

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ ... فَلْيَحْسُنِ النُّطْقِ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

سرد المساحة هكذا:

طَلَعَتْ بِبُرْجِكَ لِلبَرِيَّةِ أَسْعُدُ ... أَيَّامَ جاد بك الزمانُ الأَجْوَدُ

مُذْنُ النَّدَا بسماء كفك لم يَزَلْ ... يُرْوِي الظَّمَا منْهَا الرَّوَاءُ الْمُرْغَدُ

وَطَفَا لطَائفة الرُّسُوبِ على مطَا ... يَحْمِيهِ لَك طَوَّفُوا مايُقْصَدُ

فَهِمَتْ مُخاطَبَةَ النُّفُوس لمن بهَا ... حَشَمُوا لديْك خِطَابَ من يَتَوَدَّدُ

لِلْمُحْتَدِي من غَمْرِ فائضه لُهًى ... تَعْجِيلُ واصل جَزْلِها لايَنْفَدُ

طِرْفًا يُزَاحِم في الحُصولِ سَمَاحَةً ... إِبْرَازُهَا ممن جَدَاهَا الْمَوْعِدُ

شَرِبَتْ شَوَارِعُ وِرْدِها من مَوْرِدٍ ... لَمْ يَحْكِهِ البَحْرُ الخِضَمُّ الْمُزْبِدُ

مِن لُجَّةٍ أَمْدَادُهَا وَفُيُوضُهَا ... نِعَمٌ عطَاءُ مُفِيضها متَبَدِّدُ

غَمَرَتْ فِجَاجَ الْخَافِقَيْنِ غِمَارُهُ ... بَالَتْهُ مُنْ يَدُومُ وَيَخْلُدُ

وَجَرَتْ له جُرْدُ الْمَدِيحِ كَمَا جَرَى ... شِعْرِي فَبَرْذَنُهَا عُلاَهُ الأَمْجَدُ

فِي كَفِّـهِ جَمعَ الوُجُودَ جميعَـــــهُ ... هَل لِلوُجود يَدٌ بِمن يَدُهُ اليَـــــــدُ

مَنْ جَاءَهُ مستَرفداً فله غِنًـــــــى ... لاَيَنْقضِـــي ولَه مراشدُ تُسْعِـــــدُ

خَلَفَ المَليكَ عَلَى العِبَادِ فكُـــلُّ ذِي ... أَجَلٍ يملُكه القيَـــادَ ويُحْفِـــــدُ

شَمِمًا رَحِيقًا لاَيَنِي مَشْـــــرُوبُهُ ... أَوْ يَنقضِي مايَرْتَجِي المتعَمِّـــــدُ

ذَرَأَتْهُ مِن مَـدِّ نُورِ أحْمَـــــــدٍ ... قَبْلَ الوُجُود سَرَى إلى من يُحْمَـــــدُ

دُرَرُ العُلُوم لمعْتَفِيـــهِ رَمَى بهَـــــا ... أَنْ جَاشَ لُؤْلُؤُ فَيْضِهِ وزَبَرْجَـــــدُ

خُبِّئَتْ وما برِحَتْ فَرائدُ حكمـــــةٍ ... يَقْضِي بِهَا لفريده المُتَفَـــــرِّدُ

فِي حِفْرِ أَصْدَافِ الغُيُوبِ ولَمْ يَك الْـــــــحَكَمُ الذي آتاهُ حُكْمًـــا يُعْبَـــــدُ

هَا ذَا وأَسْرَارُ المَعَارِفِ كُلِّهَـــــا ... لَوْحُمَّ مشْهَدُها لها هُوَ يَشْهَـــــدُ

صَدَفًا تُصانُ به الجَواهِرُ صَانَـــــهُ ... فِي الحَالِ مَنْ هُو سيدٌ ومحمَّـــــدُ

صَدَقَتْ لوجْهته الوجُوهُ فقاصِـــــدٌ ... مَا لا يزالُ وقاصِـــدٌ مايَنفَـــــدُ

عَنْ صَوْبِه لمْ تنصرفْ رَغَبَاتُنَـــــا ... نَرْجُوهُ للجَلَلِ الَّـــذِي هُو مُزْبِـــــدُ

أَمَمٌ مِن الشُّؤمِ المُبِيدِ مَمَصْنَـــــهُ ... مِنْ ثَمَّ غَاصَ بِها الزَّمانُ الأنكَـــــدُ

جَهِلُوا غَنَاءَ الغَوْثِ فِي الجُـــلَّى وَفِي ... أَرَبٍ عليْه انسَدَّ بَابٌ مُوصَـــــدُ

مِقْدَارُ مَن دَارتْ به أرْحِي الـــــوَرَى ... مَا ضَرَّهُ جَهْلُ الحَقِيرِ وَمَزْهَـــــدُ

مَن عِنده فتحُ الوَتَـــاجِ وغَلْقُـــــهُ ... هَالَ الجَهولَ به الجَفَا وَالمَطْـــــرَدُ

عَرَفَ الَّذِي من غيهِمْ جَهِلُـــوا به ... أَرْوَاحُ نَاسٍ جُندُها يَتَجَنَّـــــدُ

قَمْ عَلَى المَجْدِ المُؤَثَّلِ شَـــــأْوُهُ ... لَنْ كَلَّت الأَجْوَادُ شَأْوٌ مبْعَـــــدُ

قُطْبٌ بأَعْبَاءِ الخِلاَفَةِ كَافِـــــلٌ ... شَالَتْ عِنَايَتُهُ عَنَاءً يَجْهَـــــدُ

سَخَتْ العُصُورُبه ومَن يَكُ عندهُ الْـــــقَدَمُ المَكِينَةُ لم يَسَعْـــهُ المَرْقَـــــدُ

كَرَمًا أَمَدَّ بِه الكريمُ عبـــــادَهُ ... بَلْ كَان منْه لَمَا عَفَوْهُ مُجَـــــدِّدُ

يَدُهُ إلى حِزْبِ الهُدَى مُدَّتْ بِمَـــــا ... لَوْشَاهَدُوهُ مَسَـــرَّةً لَم يَرْقُـــــدُوا

كَالسَّيْلِ جَـاء حَمِيله متدفِّقًـــــا ... رَمَتِ الْثَّنَاءَ فُيُـــوضُهُ تَتَفَيَّـــــدُ

إن ترم عن صدقِ الإرادةِ نحـــــوهُ ... نظراً لتلحظك الحظوظُ الحُفَّـــــدُ

زحفت إليك من الفتوحِ خزائـــنٌ ... في قُطرِنا تِلها الهَناءُ الأرغَـــــدُ

نُشِرَتْ بدعوته البلادُ وميتُهـــــا ... حَيَّا ووهْداً إذْ جفاها المُثْـــــدُ

من جوده جادَ الضنينُ ومُرتمـــــى ... ألحاظِهِ يُغنيك من يَسْترشـــــدُ

رِمَمِ اتباعِ المُصطفى بُعثتْ بـــــهِ ... من بعد ما أفنى قُواها المُلحـــــدُ

فَنَبَتْ به سُودُ المَساوي مثلَ مـــــا ... سَعِدَتْ به شُمُّ العُلى والسُّـــــودَدُ

كالعَوْدِ تخلِبهً وتحلِيـــــةً إذا ... من لحظِهِ يهمي بحالك مُمْئـــــدُ

إنْ يحتوشْكَ من اللعين وجُنـــــده ... أمَمٌ فرُمْتَ به الإعانةَ يُنجـــــدُ

وكفاكَ من دفعٍ بما لوشَنُّـــــهُ ... لانشقَّ منهُ على القَساء الجَلمَـــــدُ

ونَفا إذا استدعيته من مُعضـــــلٍ ... في الحين عنك دُعاهُ مالا يُطـــــرَدُ

مِصباحُه م الجهلِ يُجلـــــى حالكٌ ... عن شاهديه بما توهج أسْـــــوَدُ

ظلماً يُريحُ فيكتسي من ضدِّهـــا ... محجوبُ نافرها سنًا لايخمُـــــدُ

ألقتْ كواكبُـــــه سماءً كاشفـــا ... حُجُبَ الرِّيون سراجُها المتوقِّـــــدُ

مكنونُ أسرارِ العليمِ بصُـــــرَّةٍ ... حبكتْ من الغزلِ الذي هو يُحصَـــــدُ

مَنْ سرَّهُ هدْيُ المُهدِّي فليَســـــرْ ... وسعًا بما يعتادُ هذا السَّيِّـــــدُ

ألفَ الورَى بفواتـــــحٍ لوسدَّهـــا ... لانسدَّ من سُبُلِ الهدايةِ مرصَـــــدُ

وشفى بمرهمِ خُلقـــه أدواءهُـــــمْ ... من كلِّ ضغنٍ ضاقَ عنه المَبْـــــرَدُ

ترياقُـــهُ من كلِّ سُـــمٍّ ناقـــــعٍ ... مفلولُ ناجذِه صَـــريخُ يُبـــــرَةٍ

عِللاً تقودُ إلى البوار تصدُّهَـــــا ... ثُلَـــمٌ بها هُو قـــائدٌ فمُـــــوردُ

حَشَمَتْ على الركب البُغاةَ وقولُهـــا ... إنا لنا منكَ المُقيـــمُ المُقعَـــــدُ

في حوفِ مسجدِه ومحضِ تُقاتـــــه ... فإذا اعتدَوا يُتقيهمُ ويُسجَّـــــدُ

من كلِّ منـــزلةٍ تزينُ ورتبـــــةٍ ... عظُمتْ لأخمصِه المقامُ الاصعَـــــدُ

دَنفَ التُّقى لو لمْ يُدارِكْ ماجنَـــــتْ ... زلأتُ ناقضِـــهِ دواهُ الأحمَـــــدُ

وَبَنَى لَنَا مِن صَخْرِهِ أَحْمَى حِمَـــى ... فَلَنَـا بِهِ عِـزٌّ مُنِيفٌ أَيِّـــــدُ

لِلـدِّينِ يَدْعُو بِالْمَوَاعِـظِ رَأْفَهَـا ... بِالْحُبِّ مِنْهُ وَمَـا يَوَدُّ الأَصْيَـــدُ

إِنْ حَـقَّ مَن يَدْعَى إِلَيْهِ تَـــأَلُّفٌ ... فِي اللَّهِ ثَمَّ إِذَا أَبَـى فَتَهَـــدُّدُ

عَظُمَـتْ سِيَـاسَتُهُ تَبَارَكَ رَبُّنَـا ... مِن لَمْ يَسُسْهُ مِن الهِـدَايَةِ يَبْعُـــدُ

فِتَـنُ الدَّجَاجِلَةِ الْغُوَاةِ فَرَرْنَ مِـــنْ ... تِلْقَـائِهِ مِنْ خَوْفِ رَمْـيٍ يُقْصِـــدُ

تَغْتَـالُهُـنَّ بِهِ مَغَـبٌّ تَطَـــرُّدٌ ... ذِمَمٌ مِن الْحَـقِّ الْمُبِيْمَـــنِ طُـــرَّدُ

غُرَفًا بِهَا تُحْمَى الْمَحَارِمُ شَادَهَـــا ... نَدْعُـو كَرِيمًا ذَبَّ عَنْـــهُ يُؤَيِّـــدُ

وَحَشَا الْبَصَائِرَ إِثْمُدًا فَعُيُونُهَـــا ... يَأْبَى لَهَا فَقْدَ الشُّهُـــودِ الإِثْمِـــدُ

أَسْبَابُهَـــا مِن بَعْدِ رَتْجٍ حَلُّهَـــا ... رَبٌّ يُحِلُّ بِهِ الرَّتَـــاجَ وَيُوصِـــدُ

حَرَسًا يَبِيتُ مُرَاقِبَ الْمَـــوْلَى إِذَا ... بَـاوِي لِمَرْقَدِهِ الوَخِيـمُ الأَبْلَـــدُ

هِمَمًا بِهَا يُفْنِي وَيُوجِدُ خَصَّ بَا لِلَّـــهِ الَّـذِي هُوَ كُلِّ شَيْءٍ مُوجِـــدُ

يَحْمِي نِهَا يَتِهَا النِّهَايَةَ إِنَّ مَـــنْ ... يَأْبَـى سِوَادُ مَنَاطِهَـا مُتَـــأَبِّدُ

تُلْفِـي عَلَى مَرِّ الْمَدَى أَفْكَـــارُهُ ... صُمُدًا إِلَى مَن غَيْـــرُهُ لاَ يُصْمَـــدُ

وُقُفًا مَعَ الآدَابِ فِي حَرَكَاتِهَـــا ... إِن حَثَّهَـــا مَتَوَعِّدٌ أَوْ مُوعِـــدُ

فِي كُلِّ ذَا مِنْ غِيبَةٍ بِالسِّـــرِّ لاَ ... قَـالٌ يَرِيـبٌ وَلاَ نَدُودَ يُنَـــدِّدُ

سَلَفًا تُجِدُّ بِعَزْمِهِ الْهِمَـــمَاتُ فِي ... كِنٍّ يَتِيـهُ بِهِ الأَلَفُّ الْمُخْلِـــدُ

سَلَكُوا سَبِيلاً سَابِلاً مَهْمَـــى بِهِ ... كَانَ ائْتِمَامَهُـــمُ الْفَرِيقُ الـــوُرَّدُ

مِنْهَاجُـهُ مِنْهَاجُ قَوْمٍ جَـــدَّدُوا ... مَارَمَّ مِن دِينِ الرَّسُولِ وَشَيَّـــدُوا

مِن كُـلِّ عِرْنِينٍ أَشَمَّ مُهَـــذَّبٍ ... يَقْضِي الْعِيَانُ بِأَنَّهُ مُتَـوَحِّـــدُ

سَلَفٌ تَسَلَّفَ رَبُّهُ مِن سَعْيِـــهِ ... وَجِهَادِهِ مَايَشْكُرُ الْمُتَـــعَرِّفُ

نُجُبٌ تَنَخَّبَهَا الْجَلِيـــلُ وَخَمَّهَـــا ... مَامِنْهُـــمُ فَـرِطٌ وَلا مُتَشَـــدِّدُ

مُخْتَـارَةٌ مِن بَاهَةِ الْكُنْتِـــي لَمْ ... يَسِمِ الطُّلَى مِنْهَا عَنِيـــفٌ يُفْسِدُ

نَجَلُوا جَحَاجِحَ جِلَّـــةٌ يُبْقِيهِـــمُ ... إِنْ بَادَرُوا الْخُلْـدَ الثَّنَـــاءُ الْمُخْلِدُ

نُخَبًا بِمَا انتُخِبَتْ بِهَا أَوْقَاتُهَا ... تُوتِي الْمَرَاقِبَ كُلَّهَا مَن يُعْبَدُ

مُخْتَارَةُ الْهِمَمِ الْعَوَالِي عَنْ جَفَا ... النُّجْحِ الْمُؤَمَّلِ مِنْهُ فَضْلٌ أَوْحَدُ

خُلَفَاءُ قَدْ رُفِعُوا بِمَا أَوْلَاهُمُ ... مِن ضَمِّهِ الْعَلَمُ الْمُنَادَى الْمُفْرَدُ

فَهُمُ إِذَا ثَقُلَتْ عَلَى أَعْنَاقِنَا ... حَاجَاتُنَا الشُّمُّ الْكِرَامُ الْمُجْتَدُ

لَاأَبْعَدُوا مِن سَادَةٍ أَسَّدُوا لَنَا ... وَطَرًا يُضَنُّ بِعِلْقِهِ لَا أَبْعَدُوا

سُرُجٌ تُضِيءُ لِمَنْ دَنَا ولِمَن قَصَى ... أَنْفَاسُ سَاطِعِهَا الَّذِي يَتَصَعَّدُ

كَشَفَتْ شَوَاعِلُ ضَوْئِهِنَّ غَيَاهِبًا ... مَاجِي هَزِيعٍ جَنْدَهَا مُتَجَلِّدُ

عَنْ مُحْتَلٍ طَلَبَ الإِغَاثَةَ حَالُهُ ... مِنْ غَوْثِهِم لَا تَسْتَتِبُّهُمُ الْعُضَّدُ

سُدْ فَاقِدَ الْعَشَرَاتِ إِن تَعْشُرْ بِهِمْ ... فَقَدِ انْهَضَتْكَ الْمُنْهِضَاتُ السُّعَّدُ

بِهِمُ يُزَالُ مِنَ الزَّلَازِلِ مَالَهُ ... غَمَمٌ يَضِيقُ بِهَا الْهُمَامُ الصَّنْدَدُ

يُهْدَى إِلَى دَفْعِ الْعَنَاءِ مَنِ اعْتَنَى ... عَنْ اقْتَنَى بِهِمُ السُّعُودَ وَيَسْعَدُ

سُبُلُ الْمَعَارِفِ وَالْعَوَارِفِ وَالْعُلَى ... هُمْ نَاصِبُوا أَعْلَامَهُنَّ لِيُرْشِدُوا

ذَلِّلْ بِهِمْ عِزَّ الأَعِزَّةِ وَاشْأَ مَنْ ... سَبَقُوا وَقُدْ بِقِيَادِهِم مَن يَهْتَدُوا

مَا شِئْتَ فَافْعَلْ إِنْ يُجِلْ بِكَ مِنْهُمُ ... فِي الشَّأْوِ جَوَّابُ الْمَيَادِنِ أَجْرَدُ

إِنَّ الْكِرَامَ الْمُرْفِدِينَ هُمُ إِذَا ... أَذْوَى الْهُمُودُ نَدَى يَدَيْ مَنْ يَرْفِدُ

حَوَتِ الْمَصُوغَ الْفَرْدَ مِنْهُمْ صِيغَةٌ ... مَلَكُوا بِهَا قَصَبَ السَّبَاقِ وَأَفْرَدُوا

حَنَفًا عَنِ النَّهْجِ الْمُعَبَّدِ مَنْ هَدَى ... بِالْفَرْضِ مِنْهُمْ لَايَخَافُ وَمَنْ هُدُوا

وُرِّثْتَ شَنَاشِنَهُمْ ذَوُو أَحْسَابِهِمْ ... مِيرَاثَ مَنْ بَعُلُوا عُلَا مَن يَمْجُدُ

عَنْ خَاتِمِ الرُّسْلِ الْمُقَفَّى مَن لَهُمْ ... مِيرَاثُهُ فِي الْجِنْسِ فَخْرٌ مُتْلَدُ

وَقَفَتْ بَنُو أَصْلَابِهِمْ آبَاءَهَا ... حُكْمَ الْقُسُوسِ عَلَى الْخُطَى يَتَزَيَّدُ

بَلَوَا هَوَاهُمْ فِي الْهَوَى أَلْوَوْا بِهَا ... لَازَالَ مِنْهُم لِلْمَعَادِ مُعَوَّدُ

الأَوْلِيَاءُ هُمُ مَقَابِسُ نُورِهَا ... مِن نُورِهِمْ كُلُّ الْقَبَاسِ الْوُقَّدُ

فَكَفَاهُمُ فَضْلًا بِأَنَّ مُحَمَّدًا ... صَلَوَاتُ مُرْسِلِهِ عَلَيْهِ تَجَدَّدُ

غَنِيَتْ بِهِمْ شِرْعَاتُـــه فِي مَعْقِـــلٍ ... الْبَرُّ يَالْفُهَـــا وتُجْفَـــــى الْمُرْدُ

فِيهِكِنَّ هِمَّتِهِمْ يُكَنُّ الْكَـــوْنُ إِنْ ... يَعْمِدْهُ مِن جُند الْمفَاسِـــــد عُنْـــدُ

رُحْمٌ سعَـــى بَعْـــد النَّبِيِّ محمَّـــدٍ ... فِي جَمْعِ شتَّاهَا الْوَلِيُّ مُحَمَّـــــدُ

عَطَفَتْ عَوَاطِفُ مِنْ عِنَايَتِـــه عَـلَى ... أَصْحَابِهِ حتَّى يَرَوْا مَن يُعْبَـــــدُوا

مِن رَبِّنَا الْهَادِي عَلَى الْهَـــادِي هَمَتْ ... مِنْهَلَـــةً تَهْتَانُـــهَا مُتَـــــرَمْرِمُ

تُحْفَـــا لَه فِي آلِهِ وَصِحَـــابِهِ ... دِيَمٌ من الرِّضْوَى بِهَا اخْتُتِمَ الْقَـــدُ

وسرد الأوائل هكذا ست عشرة بيتا في بحر المديد :

طَلَعَـتْ مُزْنُ النَّدَا وَطُفَـــا ... فَهَمَتْ لِلْمُجْتَـــدِي طَرَفَـــا

شَرِبَـتْ مِن لُجَّةٍ غَمَـــرَتْ ... وَجَرَتْ فِي كَـــفٍّ مَن خَلَفَـــا

شَبَمًـــا ذَرَّاتُـــه دُرَرُ ... خُبِئَتْ فِي خِدْرِهَا صَـــدَفَـــا

صَدَفَـتْ عَن صَوْبِـــه أَمَمٌ ... جَهِلُـوا مِقْـــدَارَ مَنْ عَرَفَـا

قَرْمٌ قُطْـبٌ سَخَـــتْ كَرَمًـــا ... يَدُهُ كَالسَّيْـــلِ إِن زَحَفَـــا

نُشِـرَتْ مِن جُـــودِهِ أَمَـــمٌ ... فَنِيَـتْ كَا لجُـــودِ إِن وكَفَـــا

ونَفَـى مِصْبَـــاحُه ظُلَمًـــا ... أَلِفَـتْ مكْنُونَ مَن أَلِفَـــا

وشَفَـى تِرْيَاقُـهُ عِلَـــلاً ... جَثَمَـتْ فِي جَـــوْفِ مَن دَنَفَـا

ويَنَـى لِلدِّينِ إِذْ عَظُمَـــتْ ... فَتَـــنٌ تَغْتَالُـــهُ غُرَفَـــا

وَحَشَـا أَبْوَابَهَـا حَرَسًـــا ... هِمَمًـا يَحْمِينَهَـــا تَلِفَـــا

وَقَفَـا فِي كُـلِّ ذَا سَلَفًـــا ... سَلَكُـوا مِنْهَـــاجَ مَن سَلَفَـا

نُخَـبٌ مخْتَـارَةٌ نَجُلَـــوا ... نُخَبًـا مُخْتَـــارَةً خُلُفَـا

فَهِـمُ لا أَبْعَـدُوا سُـــرُجٌ ... كَشَفَـــتْ عن مُجْتَـــلٍ سُدُفَـــا

بِهِـمُ يُهْـدَى إِلى سُبُـــلٍ ... ذُلُلٍ سَهْـلا إِنْ خَـوَتْ جَنَفَـــا

وُرِثَتْ عَـنْ خَاتِـمٍ وَقَفَـــتْ ... بِلِـوَاهُ الأَوْلِيَـــا فَكَفَـــى

غَنِيَـتْ فِي كُنِّـهِ رُحَـــمٌ ... عَطَفَـتْ من رَبِّنَـــا تُحَفَـــا

وسرد الأواسط هكذا عشرة أبيات في بحر البسيط:

أَيَّامَ يُرْوِي الظُّمَا بَحْرٌ بِهِ جَثَمُـــوا ... تَعْجِيلُ إِبْرَازِهَا لَمْ يَحْكِهِ نَعَـــمُ

يَالَيْتَ شِعْرِي هَل لاينقضي أَجَـــلٌ ... أَوْيَنقَضِي قَبْل أَنْ يقْضِي بِهَا الْحَكَـــمُ

لَوْحُمَّ فِي الْحَالِ مَانَرْجُـوهُ مِـن أَرَبٍ ... مَاهَالَ أَرْوَاحَنَا أَن شَالَتِ الْقَـــدَمُ

بَل لَوْ رَمَتْ نَظَراً فِي قُطْرِنَا حَـدَبًا ... أَلْحَاظُ مَن سعِدَتْ من لحْظِهِ أَمَـــمُ

لاَ نشَقَّ فِي الْحِين عن مَحْجُوبِنَا حُجُبٌ ... حِيكَتْ ولاَنسَد من معلُـولِنَا ثُلَـــمُ

إِنَّا وإِنْ عَظُمَـتْ زَلاَّتُنَا فَلَنَـــا ... بِالْحُبِّ فِي اللَّهِ من تلْقَـائِهِ ذِمَـــمُ

نَدْعُوكَ يَارَبُّ يَا أَللَّهُ يَاصَمَـــدٌ ... إِن قَالَ كُنْ كَانَ مَايَقْضِي ومَا يَسِـــمُ

أَنْ تُوتِيَ النُّجْحَ من حاجَاتِنَا وَطَـــراً ... أَنفَاسُ رَاجِيهِ من فِقْدَانِهِ غُمَـــمُ

بِمَنْ هُمُ سَبَقُوا فِي الشَّأْوِ إِذْ مَلَكُـــوا ... بِالْفَرْضِ مِيرَاثَ مَن مِيرَاثُه حِكَـــمُ

لاَزَالَ من صَلَوَاتِ الْبَرِّ يَعْمَـــدُه ... فِي جَمعِ أَصْحَابِهِ مُنهَلَّةً دِيَـــمُ

ولا تحتاج الأواخر المحكمة إلى سرد استغناء بسردها في المساحة. ولتكتب هنا الابيات الستة بفصليها التي تقرأ على أوجه عديدة الحاصل إنشاؤها قبلُ من منشئ القصيدة الجارية على قانون الابيات الخمسة المسطورة عقب قصيدة الأخ المذكور المذكورة المشار إلى افشاء سرها المكنون وكشف حجاب غيبها المصون بقوله ثم أنه عقبها بأبيات شاملة لوجوه خفيات طول مبانيها ونوع قوافيها وجعل سماءها وأرضها يتعاقبان وسافلها وعاليها يتماسّان واستخرج منها بيتين وجعلهما توءمين اجتثهما من اصلها وجعلهما كفصلها.

وينبغي لمن كتب هذه القصيدة أن يضبط كل ما اختلف شكله منها باعتبار المساحة وغيرها بأن يشكل بالسواد باعتبار المساحة وبالحمرة أو غيرها ممّا يخالف السواد باعتبار غيرها الحرف ذا الشكلين مثل الميم من قوله أيام يروي الظما فهو باعتبار المساحة مفتوح لانتصاب أيام على الظرفية وباعتبار الأواسط مضموم لارتفاع أيام على الابتداء وإن كان يصح فتحه أيضا صحة مرجوحة على أنه مبني على الفتح:

(وَقَبْلَ فِعْلٍ مُعْرَبٍ أَوْ مُبْتَـــدا ... أَعْرِبْ وَمَنْ بَنَى فَلَنْ يُفَنِّـــدَا)

والله تعلى المرجو والمسؤول أن يبلغ بها السؤل والمامول وأن يجعلها عبادة صالحة زكية وقربة مخلصة لوجهه راضية مرضية وسببا جاليا للانحياش والاقبال إليه بالكلية وداعية تكون بها أهواؤنا تبعا لما جاء به خير البرية إنه على ذلك قدير وبالاجابة جدير ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم الكبير.

جواهر	حرائز	خوارق	غرائزُ
محاسن	مكارم	غرائب	رواتبُ
بَوارِعُ صِينَتْ فيكَ قِدْمًا فَرائِـــدُ		فَواضِلُ تَبْدُو مِنكَ إِرْثًا تَلائِـــدُ	
حَواجِبُ		مَوارِقُ	جَنائِزُ
مَطاعِنُ		جَوازِمُ	غَوارِبُ
مَوانِعُ تَحْمِي القُرْبَ مِنكَ مَشائِـمُ		جَواهِلُ تَابَى الْحُبُّ فِيكَ حَوائِـــدُ	
أَواشِرُ		حَدائِقُ	جَوائِزُ
سَوافِنُ		غَنائِمُ	رَغائِبُ
قَواطِعُ مِنْهَا الْحَبْلُ بُتَّ مَهَـــالِكُ		أَواصِلُ تُدْنِي مِنكَ شَيْخِي عَوائِـــدُ	
جَوابِرُ		حَقائِقُ	حَوارِزُ
مَيامِنُ		عَواصِمُ	مَناقِبُ
مَسامِعُ يَصْفِي القَلْبَ عَنْهَا مَراعِظٌ		نَوافِلُ مِنْهَا السِّرُّ يَبْهَى مَراشِـــدُ	
سَوافِرُ		دَغافِقُ	لَوامِزُ
بَراهِنُ		مَراهِمُ	مَراقِبُ
سَواطِعُ أَبْدَتْ مِنكَ هَذَا لَوائِـــحُ		هَواطِلُ تُحْيِي الْمَيْتَ عَنْهَا مَشاهِدُ	
ذَوَاخِرُ		شَوارِقُ	بَوارِزُ
ضَنائِنُ		عَظائِمُ	ثَواقِبُ
جَوامِعُ تَحْوِي الْفَضْلَ فِيكَ ثَوابِـــتُ		كَوامِلُ مِنكَ الْغَوْثَ تَبْدِي شَواهِـــدُ	

قَواطِعُ الْقَلْبِ تَابَى/أَواصِلُ مِنكَ عَنْهَا / شَواهِدُ الْغَوْثِ تَبْدِي/ سَواطِعُ فِيكَ مِنْهَا.

وهذه القصيدة كما ترى في غاية الإبداع وأشد الإبداع متكامل في هذه الأبيات الأخيرة التي ترى الكلمات تتكرر لصدر البيت وعجزه وأول المصراع وآخره والمعني صالح لكلها والظن أنها كلها كالبيت الأول إلا أن النسخ التي وقفت عليها منها لم أجد في كلها إلا ماكتب، وقد وقفت على نسخة من القصيدة بكاملها بخط منشئها وليس فيها غير سرد المساحة وفيها بعض شكل قليل ونسخة في كلمة. وأثبت ما رأيته بخطه وشكله.

ويكتب الشيخ سيدي إلى الشيخ سيدي محمد بما لفظه:

"الحمد لله الذي جعل الوصول إلى معرفته متسببا عن الوصول إلى معرفة أحبته فأوجب معرفتهم لمعرفته على جميع بريته لاستنابته إياهم في إقامة بنيان دينه وشريعته بتعليم الجاهل وإرشاد الضال وتهذيب انفسها بالرياضات والحض على الاقبال على ذكره وعبادته فأفجوا من أطاعهم وصعدوا به في الدرجات إلى معرفة ربه وحضرته فنال المطيع لهم مالم ينله المخالف من الامن من جميع المخاوف والمتالف والصلاة والسلام على من معرفته اعرف المعارف هذا وإنه من مستحق الصفع والملام إلى سيده وشيخه وارث رتبة سيد الأنام أوفى واصفى وأذكر وأزكى التحيات والسلام وبالحمد له على ما أولاه إلهه من الجلالة والاكرام ورفع الشكاية إليه مما اوقع او كاد في بحبوحة الجرائم والآثام من شأن النفس وتسويلها ووسوستها وتهويلها وإعانة الشيطان لها في اجمالها وتفصيلها حتى كاد ذلك أن يؤدى إلى القنوط المودي إلى السقوط والهبوط فنسأل الله السلامة من جميع الآفات والأدواء ومن السقوط والهبوط من عين العناية والاعتناء فاليه ثم إليكم شكايتي وابتهالي فأنتم عدتي وعمدتي ومن عليه اتكالي ومحط رحليْ إنشائي وانشادي بلسانيْ حالي ومقالي:

يَاسيِّـــدي رِقُّوا لِمُسْتَهلَـــــكٍ ... مستَعْطِفٍ مُسْتَشْفِـــعٍ مُشْتَـــــــكِ

أَقْصَـاهُ عمَّا يَشْتَهِي مُشْتَهَـــى[1] ... أَمَّارَةُ السُّـــوءِ لَـــهُ تَبْتَـــــكِي

فَاسْتَبْهَـــمَ الأَمْرُ عَلَيْهِ بِمَـــــا ... يَلْقَـــى فَلَمْ يَفْعَـــلْ ولَمْ يَتْـــــرُكِ

كأَنَّـــهُ حَبٌّ فَلَـــى حَـــــائِرٌ ... عَمَـــتْ عليْه وِجْهَةُ الْمَسْلَـــــكِ

1- وهو الوصول إلى الله عز وجل

إن لَـمْ تُغِثْـهُ مِنكمْ هِمَّـــةٌ ... حَانَ بِشُؤْمِ الخُـــبْثِ والْمَنْهَـــكِ

وَإن تُـوَاسُـوهُ فَمِن وَاجِـــبٍ ... عَلَيْكُمُ تَخْلِيـــصُ مُسْتَهْلَـــكِ

فَالعَاطِفُـونَ أَنْتُـمْ حِيـــنَ لاَ ... مِنْ عَاطِفٍ فِي الـــوَعْرِ والْمَضْنَكِ

وَالْمُسكِتُـونَ مَن بَكَـــى أَنْتُمُ ... وأَنتُم الْمُشْكُـــونَ مَنْ يَشْتَـــكِي

وأَنتُـمُ الْغَـوْثُ الْمُغِيـــثُ إِذَا ... مُدَّتْ لِجَـــانٍ رَاحَةُ الْمُـدْرِكِ

لاَغَرْوَ أَن تَحْمِي الضَّوَارِي الْجِـرَى ... أَو القُرُومُ الفُصْـــلَ فِي الْمَبْـرَكِ

إِنِي حِمَـى الغَـوْثِ وَعَارٌ عَـــلَى ... حَامِي الْحِمَى إِسْلاَمُ مُسْتَمْسِـــكِ

مُعْتَصَمِـي خُلْقًـا وَثِيقُ الْعُـــرَى ... من هِمَّةِ الشَّيْخِ ومُسْتَمْسَـــكِ

مَا أَقْـدَرَ الْغَـوْثَ عَلَى جَلْبِـــهِ ... مَا أَشْتَهِي ودَفْعِ مَا أَشْتَـــكِي.

ثم إذا أردتم ياسيدي ختم هذا المجموع المبارك فأحب إلينا أن تختموه لنا بخاتمة تشتمل على ثلاثة مطالب المطلب الأول في بيان مايفتح به للمريد باب المعرفة بشيخه الموصلة إلى معرفة ربه ومايتعلق بذلك من الآداب مع الشيخ في معاشرته من القيام والجلوس بين يديه والسؤال في حال الأخذ منه والاستفادة عليه إلى غير ذلك مما نظركم فيه اشمل وباعكم فيه اطول، والمطلب الثاني بيان افضل الكلمات التي يستعمل المريد في حال ذكره من سر وجهر والتزام تقوية فكر وما يتعلق بذلك من حضور وما يترتب عليه من اجر إلى غير ذلك مما نظركم فيه اتم وأشمل وباعكم فيه أطول وأكمل، والمطلب الثالث في بيان أسماء درجات الترقي والتدلي في اصلاح القوم وبيان وصف اهل كل درجة وما يتعلق بذلك مما نظركم فيه اكمل واشمل مع الاختصار في جميع ذلك ولكم الاجر والمنة في تحصيل ماهنالك".

ويشتد الحر مرة فيقول:

صَيَّـرَ الْحَـرُّ عَلَيْنَـــا ... رَبِّ بَـرْدًا وَسَـــلاَمَـــا

حَسْبُنَـــا أَنـــتَ إِلهُـــا ... جَـــلَّ قَدْرًا أَنْ يُسَـــامَى

وَاسِـعَ الْفَضْـلِ رَؤُفًـــا ... بَاسِـطَ الْكَـــفِّ كِرَامَـــا

سَامِعَ الدَّعْوَةِ بَسْرًا صَادِقَ الْوَعْدِ عُظَامَا

دَائِمَ اللُّطْفِ رَفِيقًا عَمَّ بِالرِّفْقِ الأَنَامَا

مِنْكَ نَرْجُو اللُّطْفَ وَالْعَطْفَ ابْتِدَاءً وَدَوَامَا

وَنُرَجِّي مِنْكَ تَوْفِيقًا وَحِفْظًا مُسْتَدَامَا

وَاعْتِقَادَاتٍ عَلَى السُّنَّةِ قَدْ رُصَّتْ قِيَامَا

وَصَلاَةً حُلِّيَتْ حَلْيَ قَبُولٍ رَصِيَامَا

وَمَنَاشِيرَ الْوَلاَ الذِّكْرَ فُعُودًا وَقِيَامَا

وَفُتُوحَاتٍ بِهَا نَزْ دَانُ حَالاً وَمَقَامَا

وَرِضًى يُتَبِيحُ حُبًّا وَسَنًا يُسْنِي الْمَقَامَا

وَهُدًى يُلْوِي بَغِيًّ وَجَدًى يُجْدِي الْمَرَامَا

وَاقْتِفَاءً لِلنَّبِي فِي كُلِّ أَمْرٍ وَائْتِمَامَا

فَعَلَيْهِ اللَّهُ صَلَّى صَلَوَاتٍ لاَتُسَامَى

وَمُعَافَاةً بِهَا نُوقَى الْبَلاَيَا وَالسَّقَامَا

وَبِهَا نُوقَى الدَّوَاهِي وَالْمَنَاهِي وَالْحَرَامَا

وَبِهَا نُوتَى الشِّفَا مِن كُلِّ دَاءٍ قَدْ أَقَامَا

وَتُقَاةً وَزَكَاةً وَنَجَاةً وَاعْتِصَامَا

وَعَلاَءً وَغِنَاءً وَضِيَاءً وَاحْتِرَامَا

وَبِهَا نُوتَى مِنَ الْفَضْلِ عُلُوًّا لَنْ تُرَامَى

فَتَجِي الْخَيْرَاتُ أَرْسَا لاً فُرَادَى وَتُؤَامَا.

ولامانع من أن تكون هذه القصيدة من أدعيته بعد رجوعه لبلاده التي سيجيء شعره فيها إن شاء الله تعلى.

ويقول أيضا في زيارته لشيخه الشيخ سيدي المختار ومن معه من العظماء الاجلاء:

لَمَّا رَأَيْتُ الَّتِي أَعْنَى بِهَا عَظُمَتْ قَدْرًا وَلاَيَمْلِكُ الْعُظْمَى سِوَى الْعُظَمَا

وكنتُم أعْظَمَ الأعْلَيْنِ منـــــزِلَةً ... عند الإله وأسْمَى كُلّهـــــم هِمَمَـــــا

وفِي النَّوائِبِ أغْنَـــــاهُم وأكرَمُهـــمْ ... حقًا وأوْفَاهُمُ حِـــــين الوفَا ذِمَمَـــــا

وبالمَكَارِمِ أعْنَاهُـــــم وأوْفَرُهـــــمْ ... رُحْمَى ونُعْمَى تَعُـــــمُّ الْعُرْبَ والْعَجَمَـــا

أنزلتُهَا بِفِنَـــــاكُمْ فَهْيَ وَاقِفَـــــةٌ ... تَسْتَوكِفُ الجُـــــود والاحْسَانَ والكَرَمَـــا

قَضَى عليكم بِقَضَـــاهَا وعيْنَهَـــــا ... قاضِي الكَمَال وأمْـــضى الحَالُ مَا حَكَـــمَا

لازِلتمُ معْدنَ الحَاجَـــاتِ يَقصِدُكُـــم ... رُوَّادُهُنَّ جَمِيـــــعًا كُنْ أوْزِمَـــــــا.

وفي طول هذه المدة والشيخ سيديٌ المترجم له معتكف على ما من أجله قدم رأسًا وهو أخْذٌ علوم القوم وقد حصل منها مالا مزيد عليه فتبارك الله احسن الخالقين عرف ذلك في تربيته وفي مؤلفاته في شأنها مع ما أكب عليه من تعليم أهل حضرة مشائخه بما في ذلك أبناؤهم ونقل كل ما يصدر عن الشيخ سيدي محمد من تأليف ورسالة وغيرهما. وصار معروفا مشارا إليه بالاصابع مقدما على عامة من في الحضرة مفتيا مدرسا قاضيا مرشدا له تلاميذ يختص بهم يعلمهم انواع العلوم وينقلون له الكتب والرسائل ويلازمونه.

وقد **الف بعض مؤلفاته** وهو في آخر زمنه في أزواد خلاف ماكان يقال أنه ألفها كلها وهو في تيشيت: فقد أظهر تاريخ بعضها ونوعية بعضها خلاف ذلك.

و**لقب** مع القابه المتقدمة **بالشيخ** فقد جاء في عبارة ناقل ديوان الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار مايدل على ذلك ولفظه:

«ومما قال شيخنا سيدي المختار بعد وفاته لخليفته ووارث مقامه ابنه الشيخ سيدي محمد هذين البيتين وهما:

زُرْنا ولاتتخلف عن زيارتنا، إلى آخرهما وقد ضمن الشيخ الفائق والمريد المهذب الصادق سيدي بن المختار بن الهيب الأبييري هذين البيتين قصيدة أبدع فيها غاية الإبداع وأمتع فيها بمدح الأشياخ غاية الامتاع وهي هذه:

"يارَوْضةٌ ينزوي عن زورها البُوسُ"، إلى آخرها وقد تقدمت.

ولما جاء ذكر المترجم له فيه من **الوسائل** رسالة كتبها بعض تلاميذ الشيخ سيدي محمد وجعل في آخرها: "تصل إن شاء الله بيد أخوينا سيدي محمد بن سيد الأمين وسيدي بجاه معروف الكرخي ولفظ ما جاء فيها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله تبارك وتعلى- من كاتبه ببنانه إلى من حلأ بسواد جنانه حتى وكأنهما ماغابا عن عيانه القرينين الحبيبين والنجيبين الأديبين من هما عندي بمنزلة الشقيقين الأخوين إن لم يكونا لي أبوين عيبتَيْ سري ومجاليْ فكري نبراسيْ الحضرة الميمونة ومعدنيْ الانوار والاسرار المصونة وحائزيْ الأمداد غير الممنونة هذا وليكن في كريم علمكما أني ماتذكرت الشيخ منذ غبت عنه وهو الغالب علي ولله الحمد والمنة إلا وخطرتما معه ببالي محبة لكما في الله تبعا للشيخ لعلمي بمكانتكما عنده وتلازمكما إياه"، إلى آخرها وهي طويلة يسئلهما عن أشياء ويسلم في آخرها على جملة من التلاميذ منهم سيدي المختار بن سيدي، ويسلم زين العابدين غاية ونهاية في هذه الرسالة على المرسلة إليهما.

وكان صاحب الترجمة مرة مع البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في جهة فكتب البكاي المذكور إلى أخيه سيدي أحمد وسيدي المختار بن سيدي اعمر بن سيدي احمد الأمين ثم إلى سائر القوم الكرام واجتهابذة الاعلام رسالة نثرية جاء فيها شعر أوله:

خَلِيلَيِ الّذينِ هُمَا حُلِـــــــــيٌ ... لَعُمْرُ أبِيكُـــــــمَا إنِي شَجِـــــــيٌ

إلى أن يقول فيها:

وَسِيدِيٌ السَّلامَ كَذَاكَ يُهْـــــــدِى ... وكُلُّكمُ بِـــــــــه أيْضَـاحَجِـــــــيٌ

وفيها السلام على الشيخ احمد لولِ.

وبينما الحال بأهل هذه الحضرة في استقبال وإقبال على الله تعلى بما هو معروف **إذْ توفى الشيخ سيدي محمد** خليفة الشيخ سيدي المختار رضي الله تعلى عنهما وأرضاهما وجعل الجنة مثواناً ومثواهما يوم الجمعة منتصف ربيع الأول عام 1242 بعد أن أتم قراءة النصف الأول من صحيح البخاري وقت صلاة الظهر على ماجرت به عادتهم في ذلك الزمن وابتدأ الشيخ سيدي المختار الصغير

الملقب بادي بقراءة النصف الأخير من البخاري.

وقد كتب الجوال الانكليزي المسمى لَيْنْكْ ما محصله أن الشيخ سيدي المذكور لما حصل على شهادة التقديم وخرج عن حضرة أشياخه اتصل به خبر مرض الشيخ سيدي محمد المذكور فكر راجعا حالاً فحضر وفاته والصلاة عليه ودفنه وذلك في ثاني عشر ميه عام 1826م.

وقد رأيت قصيدة للحاج محمد البُوحَسَني في رثاء الشيخ سيدي محمد المذكور مطلعها:

رِضًى بِقَضَاءِ اللهِ فِي كُلِّ مَاقَضَـــى فَلِلّهِ مَا أَسْدَى وَلِلّهِ مَا انْقَضَـــــا

وهي طويلة تبلغ ثلاثا وثلاثين بيتا وليس فيها تاريخ وفاته الهجري كما أنه ليس في رسالة الشيخ سيدي المختار الصغير المرسلة إلى نوح بن الطاهر التي فيها التعزية عنه والاخبار بوفاته رحمه الله تعلى.

ويلبث الشيخ سيدي المترجم له حتى يستقر الحال بعد وفاة شيخه ويقع الخوض فيمن يكون الخليفة بعده ويكثر القيل والقال ويتفق رأي الجميع على قبول كل ما يشير به الشيخ سيدي بخصوص هذه المسألة رضى من الجميع بنصحه وشفقته عليهم ومحبته الخالصة لهم وتقاصرا عن منصبه المقتضي قبول رأيه فيأخذ مواثيقهم على ذلك ويتأكد من رضاهم بقضائه وبعد كل ذلك يعين لهم الاختيار الذي سيعين بمقتضاه الخليفة ويرضى الاخوة والاعمام جملة بذلك فيفعل مسألته المعروفة المقتبسة من تولية أُشْمَوِيلْ لِطَالُوتَ ملكا على بني إسرائيل. وقد فعل الشيخ سيدي الاختيار المذكور بحضرة أهل الأمر وذلك أنه صب ماءً على الأرض حتى كون منه ثرًى نديًا وحفر في الثرى باصبعه وصب في الحفرة دهنا وعمل فيه ما عمل وقال للحاضرين كل من أدخل منكم اصبعه في هذه الحفرة وجاء عليه الدهن الذي جعل فيها فهو الخليفة. فكلهم يدخل إصبعه ولايأتي عليه شيء إلا الشيخ سيدي المختار الصغير فإنه لما أدخل إصبعه في الحفرة المذكورة أتى الدهن عليه فانقطع النزاع وحصل الوفاق واقتنع من حضر بتوليته واستخلافه فصار هو الخليفة بعد والده، وقد تقدم ذكر إجازة والده له وتاريخها. فلبث الشيخ سيدي أشهرا حتى استقرت قدم ابن شيخه في الخلافة وقد قال له كلمته المشهورة التي هي مثل من الامثلة الحسانية: خَيْلْ مَاتْرِدْ خَيْلْ مَاءِ احْرَارْ:

يريد الشيخ سيدي بالاستعارة بهذا المثل أنه تلزمه مكافأة الشيخ سيدي المختار الصغير بما أسدى

إليه والده الشيخ سيدي محمد من الاحسان والتعليم وذلك أنه كما يقال قد اشتكى إليه بعد أن استخلف أنه لايعلم علم والديه فاخذه في وقت معين وعلمه مايريد على حالة خارقة للعادة كما هو متواتر في ذلك الزمن.

وفي إقامة الشيخ سيدي الاشهر المذكورة بعد وفاة الشيخ سيدي محمد رحمه الله تعلى **أجازه سيدي حبيب الله** بن الشيخ سيدي المختار وكتب له ماصورته:

"الحمد لله وحده ولايدوم إلا ملكه والصلاة والسلام على من لانبي بعده وليعلم الواقف على هذا الصك أني أعطيت الاجازة التامة المفوضة لسيدي بن المختار بن الهيب الانتشائي في الأوراد والاحزاب والخلوات والتوجهات وجميع الفنون كما أجازني شيخنا الوالد بعد الاستخارة لله تعلى على الوجه المعروف والسنن المالوف وأسأل الله أن يعينه ولا يبتيه ولايبينه وأن يثبت عزمه ويحقق تمكينه كتب ذلك بيمينه وأمضاه عبد ربه الغني به حبيب الله بن الشيخ المختار بن احمد بن أبي بكر الوافي ثم الكنتي كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا"، انتهى بلفظه من خطه بلازيد ولانقص وكلمة ولايبينه مكررة في الاصل فكتبتها مكررة.

وقد جاء في المراسلة بين سيدي حبيب الله هذا وبين أخيه الشيخ سيدي محمد في رسالة للشيخ سيدي محمد ردا على أخيه حبيب الله المذكور ما محل الغرض منه: حمدا لمن أكد نسب الطين بنسب الدين وجعل العصرة بالوداد بعد الولاد في شرعة المتوادين والصلاة والسلام على إمام المتقين ورسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلينا معهم آمين هذا وإنه من عبد مولاه المقر بجميل ما أولاه محمد بن المختار بن احمد بن أبي بكر إلى صنو نبعته الاتقى ذي السر الاصفى والضمير الاتقى والحسب التالد والمجد الابقى أبي الباع الرحيب والسهم المسدد إلى مرامي التقوى المصيب المقبل على الله بالله المتودد إلى أهل الله في الله المتعلق أحسن التعلق بوسائط الله إلى الله أخينا وقرة أعيننا وثمرة أفئدتنا سيدي حبيب الله أدخلت نفسي وإياه في كنف الله من كل مايكره سيما يدفع عن الله إلى أن يقول له فيها: وإن قضى الله تعلى بمنه بالهناء والاستقرار بتينا قصبة بإزاء الشيخين وحفرنا بها بيرا إذ لم يبق الاذلك وفيها أيضا أنه قد اطلق له الاذن العام بلاتثنى في التصرف لنفسه أو لغيره من

مال الله الذي استخلفه فيه وأن الموعد بينهما إن ساعد القدر سُقْيَ الْمَنْان وحيث يحق الاطمئنان وتبرد غُلة الظمئان بزيارة الشيخين كل أوان ويامره في آخرها بالسلام منه على ابنه سيدي المختار وهذه الرسالة هي التي تقدم بعض منها عند ذكر قصيدة الشيخ سيدي المترجم القافية التي منها :

لو أن لنا منها دمائث سهلة،

إلى آخرها وقد تقدمت العدة بذكر هذا القدر منها فالحمد لله على إنجازه بالعافية والخير واللطف.

وأجازه كذلك سَيِّدِي اعمر بن الشيخ سيدي المختار وكتب له مالفظه:

"الحمد لله وحده ولايدوم إلا ملكه والصلاة والسلام على من لانبي بعده ليعلم الواقف عليه من عالم وغيره أن كاتب اسمه بعد انتهائه أجاز تلميذه الفاضل سيديٌ بن المختار بن الهيب الانتشائي إجازة مطلقة عامة في جميع ما أجازني به الشيخ الوالد رضي الله عنه من الاوراد القادرية والاحزاب والتوجهات أخذاً وإعطاءً والله أسأل أن يعينه ولايبينه وأن يثبت عزمه ويحقق تمكينه إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير قال ذلك وكتبه بيمينه عبد ربه الغني به أعمر بن المختار بن احمد بن أبي بكر كان الله له ولوالديه وليا ونصيراً." انتهى من خطه بلازيد ولانقص ولفظة كاتب لم أتبينها فلذلك عللت عليها وتبعته في إثبات الف اعطاءً وقوفا مع مافي الاصل.

وأجازه أيضا الشيخ سيدي المختار الصغير وكتب له مالفظه:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الحمد لله كما ينبغي لجلاله والشكر له على ما أسبغ وأولى من إفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه وآله وعلى التابعين وتابعيهم من مشائخ السلف ورجاله وبعد فليعلم من سيقف عليه من كل ذي بصيرة بالحق مستنيرة وذي سريرة حسنة سليمة وسيرة أني أيها الكاتب المتسمي آخره قد أجزت أخانا الفاضل ومريدنا الكامل وابننا الفائق وحبنا العالم الحاذق سيدي سيديٌ بن المختار بن الهيب الأبييري ثم الانتشائي في كل ما أجازني فيه شيخنا الوالد من جميع مروياته من أوراد وأحزاب وتوجهات وحديث وغير ذلك كما أجازه في ذلك شيخه والده سيدنا المختار أبن باب احمد إجازة مطلقة عامة على النهج المعروف والسنن المألوف بالسند المتصل إلى اشرف الرسل صلى الله عليه وسلم خلفا عن سلف حتى

يرث الأرض ومن عليها خير الوارثين لما خصت به هذه الأمة المحمدية على لسان نبيها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام من قوله خصت أمتي بالاعراب والانساب والاسناد كتبه بيمينه وسطره بقلمه ونونه عصر يوم الجمعة سابع جمادى الأخير عام 1242 عبد ربه واحوج الخلق إلى رحمته وقربه المختار بن محمد بن المختار بن احمد بن أبي بكر الكنتي ثم الوافي كان الله للجميع بمنه وكرمه وليًا ونصيراً آمين آمين آمين" انتهى بلفظه بلازيد ولانقص.

وام أقف بعد على نفس إجازة الشيخ سيدي محمد له مع تصريحه في إجازاته التي يعطي بأنه أجازه.

وقد ذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المترجم له أن والده الشيخ سيدي أجازه الشيخ سيدي المختار في المدة الوجيزة التي أدرك من عمره وعسى الله الكريم اللطيف أن يمكنني من هاتين الإجازتين إن كانتا بقيتا على وجه الدنيا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وقد جاء في آخر رسالة للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار أرسل بها إلى أخيه باب احمد مامحل الغرض منه: "والرجاء من الله سبحانه أن يجعلنا وإخواننا وأبناءنا وتلامذتنا وأعواننا من الهداة المهديين والدُّعاة المرضيين والخاصة الصالحين حتى لايكون منا ولافينا ولامعنا شقي ولامحروم"، إلى آخرها.

وعند ما يتهيأ الشيخ سيدي للرجوع إلى وطنه مقضي اللبانة مرتفع الرأس يقول في زيارته الأخيرة للمشائخ العظام الجلة الكرام ويضعها عند رؤوسهم وهي خاتمة ماقال فيهم هذه القصيدة:

أَيَا أَوْلِيَاءَ اللهِ أَهْلَ الصَّفَا الأُلَى ... أُطِيبُوا فَأَحْظُوا بِالْمَقَامِ الَّذِي اعْتَلاَ

وَسُتْلُمِي لأَمِ الْوَلاَ وَلِوَائِهِ ... وَمُؤْتَزِرِي أَزْرِ السِّيَادَةِ وَالْعُلاَ

بِأَيْدِيكُمُ عَقْدُ الأمور وحَلُّهَا ... وَتَصْرِيفُ مَافِي بَيْضَةِ الْكَوْنِ مُسْجَلاَ

إِلَى رِفْدِكُمْ جَدَّ الْعُفَاةُ بِدَارِهِمْ ... فَهُمْ نَحْوَهُ يَخْدُونَ أَمْثَلَ أَمْثَلاَ

فَإِنَّا أَنَخْنَا بِالْفِنَاءِ لَدَيْكُمُ ... وَمَا خَابَ وَفْدٌ بِالْفِنَاءِ تَنَزَّلاَ

وَإِنَّا تَطَفَّلْنَا بِقَدْرِكُمُ عَلَى ... مَوَائِدِ بِرٍّ يُحْسِبُ الْمُتَطَفِّلاَ

وَ إِنَّا تَوَسَّلْنَا بِجَاهِكُمُ إِلَى ... إِلَهٍ كَرِيمٍ لاَ يَرُدُّ تَوَسُّلاَ

لِيَمْنَحَنَا مِن قِسْمَةِ الْفَضْـــلِ عِندكمْ نصيبًا جَزِيلاً مُسْتَمِـــرًا مُعَجَّـــــلاَ
وَيجْعَلَ مَا نُبْدَاهُ من فَضْلِكـم عَلَـى يُوَافِيخِ جَدْوَى مَن سَيُجْدَى ومَنْ خَـــلاَ
فَلاَ زِلْتُمْ لِلاَّجِ مَلْـجًا ومَعْقِـــلاً وَلاَزِلْتُـــمْ لِلْحَـاجِ مَأْوًى وَمَوْئِـــلاَ
بِجَـــاهِ نَبِيٍّ كُنْتُـــــمْ بِاتِّبَاعِـهِ لِأَتْبَاعِهِ أَصْلاً أَصِيلاً مُؤَثَّـــــلاَ
عَلَيْـــهِ صَـلاَةُ اللّه ثُمَّ سلامُـــــهُ مَعَ الآلِ والأَصْحَابِ طُرًا و مَن تَـــلاَ.

وقد صرح الشيخ سيدي المترجم له في إجازته التي كتب لمريده سيدي محمد بن احمد بن حَبَتْ أن إجازة سيد حبيب الله وسيد اعمر ابني الشيخ سيدي المختار والشيخ سيدي المختار الصغير له كلها واقعة بعد وفاة الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار رضي الله تعلى عن الجميع آمين.

وقد رأيت في آخر شرح بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ لمحمد بن احمد الشنجيطي الذي اتمه عام أربعة وثلاثمائة والف ابن ابن سيدي محمد المذكور رفع نسبه إلى أبينا آدم وأمنا حواء ولنقتصر منه على التعريف بالمجاز فقط فقد كتب الكاتب في آخر الشرح المذكور مالفظه: انتهى بحمد الله وحسن عونه على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله بعده سيدي محمد بن أحمد بن سيدي محمد بن سيدي احمد بن مَحَم بن أحمد الملقب بحَبَتْ بن الامام محمد احمد بن الامام محمْ بن إبراهيم بن حَنْبَلْ بن حبيب الله بن عبد الله بن موسى بن مَحَمْ بن محمد قِلْ الذي يجتمع إليه نسب الأغلال.

وقبل أن نرتحل بالمترجم له من أزواد فلنسرد تواريخ له محققة من عام 1219 إلى عام 1242 فنقول ومن الله وحده نستمدّ العون في المقول: أول تاريخ محقق وقفنا عليه لصاحب الترجمة بعد اشتغاله بالعلم هو تاريخه لفراغه من نقل المساعد لابن عقيل على تسهيل الفوائد لابن مالك يوم السبت لثلاث عشرةَ بقيت من شوال عام تسعة عشر ومائتين وألف، وكتابته لشرح المقصور والممدود لابن مالك لنفسه عشية السبت لليلة خلت من ربيع الثاني عام عشرين ومائتين وألف، وفراغه من شرحه لمقصورة ابن دريد وكتب في آخره مالفظه: "والكاتب المطرر لنفسه ثم لمن شاء الله بعده هو سيديا بن المختار بن الهيب الانتَاشائيُّ غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم انتهى يوم الخميس لأربع أو ثلاث بقين

من ربيع الثاني عام (1220هـ) عشرين ومائتين والف" .

وكتب شرح لامية العجم المسمى نفث القلم بشرح لامية العجم وكتب في آخره مالفظه: "تم بحمد الله وحسن عونه على يد مالكه بكتب بعض ومقابلة آخر بعد استكتابه سيديا بن المختار بن الهيب بن احمد دول الانتاشائي غفر الله للجميع بجاه النبي الشفيع لإحدى عشرة أو لعشر بقيت من الربيع الأول عام 1222هـ إثنتين وعشرين ومائتين وألف".

وقد كُتبت له قصيدة الشيخ سيدي محمد التي مطلعها :

سيدي حزت مفرداً كلّ إرْثٍ، إلى آخرها.

وكتب كاتبها مالفظه: "انتهت القصيدة بحمد الله تعلى وحسن عونه عصر يوم السبت لخمس خلون من صفر عام 1223 على يد فقير مولاه محمد بن الامين بن محمد بن الطالب اعمر بن خَيْرِ بن حبيب الله بن أبي سيف الكنتي كتبها لصديقه الملاطف وحبيبه الأفضل الجاني ثمار بساتين الرقائق واللطائف أبي الانوار والاسرار سيديَّ بن المختار بن الهيب الأبييري كان الله لنا وله وليا ونصيرا آمين".[1]

وفرغ من قصيدته التي يرثي بها الشيخ سيدي المختار وما ألحق بها يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من وفاة المرثي بها رضي الله عنه ونفعنا به ووفاته وافقت ضحوة الأربعاء لخمس ليال خلون من جمادى الأولى عام ستة وعشرين ومائتين وألف ومطلع القصيدة المذكورة:

ما اختار فاعلنا المختار مختاري

وقائلها قد لقب في ذلك الوقت بأبي الفضائل والأنوار، وليس له مع الشيخ المرثي المذكور الا خمسة اشهر فقط كما ستقف عليه مصرحا به إن شاء الله في أجوبة ابن عبد الدائم.

وأتم نقل طرة روضة النسرين يوم الخميس لثمان أوسبع بقين من ربيع الثاني عام 1226هـ بنفسه وهو المطر للنظم المذكور.

---

1 - في الأصل بعد هذا مباشرة جملة: «وقد تقدم مافي هذا التاريخ». وقد فضلت جعلها هامشا. الناشر.

وأتم الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار كتابه المسمى "بجنة المريد دون المريد" عشية الجمعة ثاني عشر ربيع الثاني عام سبعة وعشرين ومائتين وألف جوابا لرسالة الشيخ سيديّ إليه التي يطلب منه فيها أن يأذن له بالمسير إلى أهله وكتبها لنفسه بوقت الفراغ من تاليفها كما تقدم.

وكتب الشيخ سيدي محمد أيضا رسالته في الاعتذار عمن أصيب من جيران انْتَصَرْ وفرغ من إملائها لتاريخ اخر يوم من جمادى الأولى من عام 1228هـ (ثمانية وعشرين ومائتين والف) وكتبها الشيخ سيديّ لنفسه بتاريخ الفراغ من إملائها.

وكتب لنفسه نصيحة أبي العباس سيدي احمد بن عبد العزيز الهلالي التي أولها:

حمدا لمن يوقظ من حال الوسَنْ

لسبع خلون من شهر الله الحرام المحرم مفتتح سنة تسع وعشرين ومائتين وألف.

وكتب لنفسه كتاب النصيحة المحمودة والعظة المصمودة للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار لأربع خلون من المحرم أول السنة الحادية والثلاثين بعد المائتين والألف.

وكتب لنفسه نظم الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار على المخمس خالي الوسط الستيني لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر الله شعبان عام أحد وثلاثين ومائتين والف.

وكتب حديثه الذي حدث به الشيخ سيدي محمد مشافهة يوم السبت قبيل المغرب منتصف شهر الله العظيم شهر رمضان عام أحدٍ وثلاثين بعد المائتين والألف وهو حديث مهم قال المحدث به رضي الله عنه: "بينما أنا البارحة في آخر الليل وكانت ليلة رائحةً جالسٌ إذا برَجُلٍ له هيئة حسنة على رأسه تاج رفي وسطه نطاق فيه وَشْيٌ قد اقبل من جهة المسجد يؤمني فتهيأت للسلام عليه وتأهبتُ للقيام إليه فلما دنى مني وجلس إلي ألقى الله في قلبي أنه الشيطان اللعين فتناولت التاج من فوق رأسه وضربت به الأرض فقام موليا دبره فتناولت النطاق الذي في وسطه وجذبته به ورميته به خلف ظهري على صندوق فيه الكتب وأكببت عليه حتى إذا وقع ماوقع قال الشيطان أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك خاصة الله من خلقه في بلاده فخليت عنه واستوى قاعدا فسألته عن التاج الذي كان على رأسه فقال ذلك مابقي من حب الرياسة وسألته عن النطاق الموشى فقال ذلك نطاق الحرص على الدنيا والرغبة فيها"، وهذا اخره كتبه وأرخه من سمعه وحَدَّث به مشافهة عبيد ربه الراجي منه غفران

ذنبه سيديٌ ابن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله له ولوالديه ولأشياخه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه وليا ونصيرا ءامين.

وكتب لنفسه قصيدة الشيخ سيدي محمد في أسماء الله الحسنى المسماة بالسلم الأسمى إلى سماء الأسمى التي مطلعها:

تَيَمَّنْتُ بِاسْمِ اللَّهِ مَوْلاَيَ أَوَّلاَ، إلى ءاخرها، عام ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف.

ونقلت له رسالة الشيخ سيدي محمد إلى الفقيه المحتسب أحمد بن الفك في امر عبيد الْوَسْرَ يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الأولى عام أربع وثلاثين ومائتين والف، وفي هذه الرسالة كثير من النصح والابصاء وكان الفراغ من تاليف هذا الجواب مساء اليوم الذي قبل يوم الفراغ من النقل.

ونقلت له وصية من وصايا الشيخ سيدي محمد عام خمسة وثلاثين ومائتين وألف، وهذه الوصية المذكورة كتبها سيد المختار بن سيدي بن الفغ عبيد لنفسه لكنها بقيت عند المترجم له.

وكتب المحجوب بن امبارك بن عثمان بن أويك لنفسه شرح العالم احمد محمود بن محمد بن الْفَغَ خَيْرِ بن بِنْ عَفَّانْ التندغي لباب الفرائض من رسالة محمد بن أبي زيد القيرواني ضحوة الأحد لليلة بقيت من شعبان عام خمسة وثلاثين ومائتين وألف، وكتب في آخرها مالفظه: "تم صارت النسخة حبسا لشيخي وأخي في الله سيديٌ بن المختار بن الهيب".

وكُتب له شرح السنوسي المسمى: "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد" قبيلولة يوم الجمعة ءاخر يوم من شعبان عام ست وثلاثين بعد المائتين والألف. وكتب كاتبه أنه كتبه لمقرئه سيديٌ بن المختار. وهذا الكاتب كثير الكتابة له إلا أنه لم يسم اسمه فيما وقفت عليه من كتاباته. وقد ملأ الشيخ سيديٌ باب بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديٌ المترجم له حواشي هذا الشرح المذكور بكثير من الفوائد والاصلاحات وقد كتب قبل مولده بإحدى وأربعين سنة كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعلى.

وكتب له المحجوب بن امبارك بن عثمان بن أويك شرح الشيخ سيدي محمد للصلاة الناصرية عشية الأربعاء ثالث شهر الله المحرم عام سبع وثلاثين ومائتين والف وقال إنه كتبه "لأخيه في الله وشيخه

سيديّ بن المختار بن الهيب". ونص الصلاة المذكورة: "اللهم صل على طلعة الذات المطلسمْ والغيب المطمطمْ والكمال المكتمْ لاهوت الجمالْ وناسوت الوصالْ وطلعة الحق كنز عين إنسان الأزلْ في نشرمن لم يزلْ من اقمتَ به ناصية الفرقْ في قلب ناسوت الوصال الاقرب إلى طرق الحق فصل اللهم به منه فيه عليه وسلم تسليما".

وذكر الشيخ سيدي محمد أن هذه الصلاة تنسب للشيخ سيدي احمد بن ناصر الدرعي المتوفى أوائل[1] المائة الثانية عشر في ربيع النبوي عام 1128 وله طريقة قادرية تدعى بالناصرية وهو شيخ سيدي الحسن اليُوسي[2] الذي قد مدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها:

عَرِجْ بمُنعرج الهضـــــاب الوُرَّدِ بين اللصـاب وَبيْن ذات الأرْمَـــــــــدِ

الدالة على تبحر ناظمها في العلوم وذكر فيها حقائق مصطلحات الصوفية وقد نظمها أيام حجة ابن ناصر المذكور وكان خرج حاجا يوم الخميس لست بقين من جمادى الأولى عام 1121 حجته الأولى وحج ثانية سنة 1077[3] وهي التي قيلت فيها القصيدة مرجعه منها وشرحها شرحا بديعا وعندنا نسخة منه قلمية قد كتبت عام خمسة وأربعين ومائتين وألف وأهداها كاتبها للشيخ سيديّ المترجم وهو محمدْ بن سيد الفاضل بن محم بن القاضي بن احميدْ بن محمْ بن أحمد بن انْدكْسَعْدْ أواخر المائة الحادية عشرة وتنسب لسيدي علي القَيُّومِي دفين تَوْزَرْتَ من بلاد الجريد ولنسبتها إليهما سمي شرحه لها بالفتوحات اللدنية الشرعية بشرح الصلاة الناصرية الدرعية أو الفتوحات القيومية بشرح الصلاة القيومية وقد فرغ من تصنيفه لأواخر جمادى الأولى عام اثنين وثلاثين ومائتين والف وهو شرح نفيس كثير الفوائد.

وكتب الشيخ سيدي محمد إحدى رسائله إلى الشيخ أحمد بن محمد لُبٌّ لغرة صفر عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف واستكتبها الشيخ سيديّ بهذا التاريخ.

---

1 - وفي سلوة الانفاس: أواخر المائة الحادية عشر في صفر الخير، غروب الشمس يوم الثلاثاء 16 منه عام 1085هـ

2 - نسبة إلى بني يوسى، قبيلة في برابر ملوية، المتوفى مقفله من الحج عام 1102 .

3 - هكذا في الأصل لكنه سبق قلم واضح ولعل المقصود هو 1177 والله تعلى اعلم، الناشر.

وكتب له محمد بن سيديا ابن أَشْفَغَ عُبَيْدْ ومحمد بن البخار شرح السنوسي الشريف الحسني المتوفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة لمختصره في علم المنطق وقالا إنهما كتباه "لمعلمهما وأستاذهما السيد الفاضل سيديّ بن المختار ابن الهيب بتاريخ قبلولة يوم الاربعاء السادس عشر من شهر الله شعبان عام سبع وثلاثين ومائتين وألف بمحروسة الحِلّة المعظمة" يعنيان حلة أهل الشيخ سيدي المختار وخاصة حلة الشيخ سيدي محمد.

وكتب له محمد المختار بن مِسْكَ إجازة الشيخ سيدي محمد لأحمد طالب بن محمد بن جدُّ بن خليفة بن الطالب المصطفى أوائل شعبان عام 1238 كما تقدم.

وقد كتب لنفسه تخميس قصيدته التي مطلعها:

جادت سحائبُ رأفة الرحمن،

أواخر شعبان عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف ومخمسها أحمد بن امْحَمَّد إكْنِنْ السوقي نسبة لكَلْسُوكْ مدينة قديمة على طريق القوافل بين الجزائر ومنعطف نهر النِّيْجَرْ وتقع في ءادْغَاغْ قرب انقاض تَنبُكْتَ؛ وقد قرأ الشيخ سيدي المختار على معلم من السوقيين هؤلاء من طائفة منهم يقال لها كَلْ أنلِبُوشْ ولبث معه زمنا ورد جمله بمتاعه من عنده إلى قرية المبروك خسبما في الطرائف والتلائد في الكلام على رحلة الشيخ سيدي المختار في طلب العلم.

ومن السوقيين هؤلاء الطالب سيد احمد ابن البشير بن محمد بن محمد احمد بن موس بن بُوكُمْ السُّوقيُّ الملقب سيد احمد أبَشَكْ ومعناه الثاني بلغة التَّوارِگْ باني قصر بُوجْبِيهْ. وقد درس الطالب سيد احمد المذكور العلم في قبيلته وسافر إلى أَرَوَانْ في ذي الحجة سنة مائتين وألف، وفي آخر أيامه أسس قصر بُوجْبِيهْ بإذْن محمد بن رَحَّالْ رئيس أولاد اسْلِيْمَانْ من لبرابيش وكان مع الطالب احمد شرفاء من أسرة مَوْلاَيْ احْمَد السَّيَّاحْ ومعه بعض إذَواعْلِ من عائلة سيدي المختار وتوفي بعد تأسيسها بيسير وترك خمسة أبناء: سيدي عبد العزيز وسيد ابراهيم ومحمد الامين وسيدي احمد وسيِّدي الوَافِ.

وأول جمعة اقيمت في بوجبيه ثالث صفر سنة اثني عشر ومائتين وألف موافق سادس دجنبر عام

1797م .

وللشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار يخاطب وفد أهل بوجبيه ويبشره:

وَفْدَ الكَرامة بالتَّكْـريم بُشْـــرَاكَا وَبالسَّعادة في الدُّنْيـا وَأُخْـــــرَاكَا

هُنيتَ بالسَّعْد والإسْعاد من صمَـــدٍ أغْراكَ بالعَمل الزَّاكي وأضْرَاكَـــــا

طَوَيْتَ شَحْطَ الْمَلاَ بالْعيسِ عَامِلَـــةً بِمَا طَوى شَحَطُ الْمَرْقَى لِسَرْاكَـــــا

فَانْعَم بدَرْكِ الْمَدَى من كُلِّ فَائتَـــةٍ يَالاً لِشَأْوِ الْعُلَى وَالْمَجْـدِ دَرَّاكَـــــا.

وقد كتب الشيخ سيديٌ المترجم فائدة تتعلق بذكر الاسم الشريف مجرداً عدداً من الأيام لمسائل معينة وكتب عند انتهائها مالفظه:

"هذه الفائدة وجدتها مكتوبة هكذا غير معزوة لأحد في كتاب رجلٍ سُوقي عليه وسم الصلاح فكتبت كما وجدت" . انتهى بلفظه.

والبير التي بني عندها القصر المذكور كانت في القديم ببراً لأولاد عمران من **البَرَابِيشْ** ولعل أول ذكر البرابيش هؤلاء هو ماورد في الرحلات البحرية البرتغالية في أواسط القرن التاسع الهجري ففيها أنهم كانوا ينتجعون في المناطق الواقعة شرقي مجالات الودايا أي البلاد الممتدة بين تَكَانَتْ ولحْصَادَةَ وكان نفوذهم على القبائل الضاربة في هذه النواحي المجهولة في الحال وإن غلب الظن أنها صنهاجية. وانتقل البرابيش في حدود أواخر القرن العاشر إلى النواحي الواقعة شرقي وطنهم السابق فصاروا يسيطرون على طريق القوافل بين تَغَازَا وَتَاوْدَنْ وَتِنْبُكْتْ ويأخذون الإتاوات والأعفار.

ولفظة **الغفرْ** محرفة عن الخفر بالخاء بدل الغين فالخفير المجير والخفارة الحماية يقال فلان في خفارة فلان أي في حمايته وكنفه، وأخفر فلان فلانا لم يبال بخفارته، وخفره وبه وعليه يخفِر ويخفُر خفْرا أجاره ومنعه وآمنه كخفَّره وتخفَّره والاسم الخُفرة بالضم والخفارة مثلثة. والخفير المجار والمجير كالْخُفَرَة كهمزة والخفارة مثلثة جُعْلُهُ كما في القاموس.

وكان القبائل العظام من التوارگ مثل إوُلْمَدَنْ وكَلْ تَدَمَّكتْ يأخذون إتاوات وهي المغارم على البَرَابِيشْ فلذلك كانوا يخضعون لهم نوعا ما وقد اشتبك البَرَابِيشْ في حروب وغارات مع القبائل ذات الشوكة

في ظهر النْعْمَة وولاَتَة والحوض مثل أولاد يونس وأولاد دَاوُودْ اعْرُوكَنْ وأولاد بُوغَايْدَة وأولاد امْبَارِكْ قرونا متطاولة من القرن الحادي عشر إلى الاحتلال الفرنسي.

ولم يكون البرابيش مجموعة قوية من القبائل كغيرهم فلذلك لم تكن فيهم إمارة كبيرة وقد دخل فيهم بطون من اصول شتى مثل لِكْوَانِينْ وغيرهم. وينقسم البرابيش هكذا: أولاد عبد الرحمن فيهم الرئاسة قديما، منهم رئيسهم الفلالي بن عيسى بن اسليمان كان حيا سنة أربعين وألف هـ، أولاد اسليمان وإخوتهم أولاد احمد بَطْنُ الجْمَلْ (أولاد يعيش، أولاد بُوخْصِيبْ الذين منهم الْغُمَيْرَاتْ: منهم الخيمة التي اكرمت الشيخ سيدي المختار وهو إذ ذاك طالب علم لما رجع عن سيدي المختار بن سيدي احمد بن الحاج أبي بكر فارتفع صيتها وصلحت أحوالها وتنشأت الصلة المتأكدة بينهم معه ومع ذريته من بعده، فقف على هذه الحكاية في الطرائف والتلائد، أولاد إدريس) أولاد غَنَّامْ (عرب الكَبلة - أولاد عمران والمحافيظ وأهل غيلان).

وقد ورد ذكر بطن الجمل وأولاد اسليمان في رسالة للشيخ سيدي محمد أرسلها إلى أولاد داوود العرب إلى رئيسهم في ذلك الوقت هَنُّونْ بن بَيْدَ وابنه بَيْدَ وجماعتهم بما لفظه: "أما بطن الجمل فهم على خيرهم القديم وقد أكدت ذلك كل التأكيد وتحملت لهم أن لا ينالهم من جهتكم مكروه.

وأما بنو اسليمان واشياعهم فقد بعثت إليهم بالإبعاد على نقضهم لذلك الصلح فبلغني أن ذلك ساءهم وأنهم متنصلون من ذلك"س.

وينتسب أولاد اسليمان وإخوتهم أولاد احمد إلى عامر ومن عامر هذا عَمُّو مخلوف أو عبُّو بن مخلوف الذي قدم على أروان سنة اثنين وأربعين والف هجرية وهم ذرية حَمّ بن حَسَّانْ.

وكانت رئاسة أولاد أحمد في بيت الامين بن بُورَاصْ الذي قتله أولاد اسليمان في حروبهم مع أولاد احمد سنة أربع ومائتين وألف. وتلاشى أمر أولاد احمد بغلبة أولاد اسليمان عليهم.

ومن اسليمان الحاج محمد، وللحاج محمد دحمان واحمد.

فلأحمد يوسف الذي قتل سنة تسع وأربعين ومائة وألف.

وليوسف امحمد أول رئيس من قومه وقد اغتيل سنة سبع وستين ومائة وألف هـ.

ولدحمان اعْلِ ورَحَّالْ والْحَافِظْ. فَاعْلِ اسره أولاد بُوغَايْدَه في الحوض سنة إحدى واربعين ومائة وألف

وافتداه ابن اعْبَيْدْ أُمُّ المالكي الفلاوي منهم والحافظ قتل سنة تسع واربعين ومائة والف في السنة التي قتل فيها يوسف بن احمد.

ولرحال امحمد ثاني رؤساء قومه وكان حيا سنة مائتين وألف. وخلف امحمد هذا: اعْلِ، وقد شيخه قومه بعد أبيه ثالثا لرؤساء قومه، وأخواه اعْبَيْدَه المتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين وألف موافق 1820 وامْهِمَّدْ المتوفى أو المقتول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف، شيخ قومه بعد أخيه اعْلِ.

ولاعْبَيْدَه أحمد خامس رؤساء قومه بعد عميه وكان حيا سنة إحدى وسبعين ومائتين والف في تاريخ زيارة الدكتور بَارْتْ لتينْبُكْتُ.

وخلف أحمد بن اعبيده أربعة أولاد: أعل وامْهِمَّدْ المتوفى في حدود سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف والبكاي ودحمان الذي قتله تَرْمُزْ وأولاد عَلُّوشْ سنة تسع وثلاثمائة وألف.

ولامحمد سيدي محمد المتوفى في غربته في جهات وادي دَرْعَةَ في حدود 1930 (ثلاثين وتسعمائة وألف).

وترك سيدي محمد هذا ابنه الخليفة الذي قد أخذه الفرنسيون وغربوه عن بلاده وأتوا به إلى بتلميت فأخذه الشيخ سيديّ باب بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديّ المترجم له وأكرمه وواساه.

وفي ذلك الوقت كان يوجد في أبي تلميت أيضا **الشيخُ بن عَبْدُوكَ** رئيس أهل سِيدِ بن مَحَمْ من مَشْظُوفْ وَيَنْيُوكَنْ **بن احمد بَنَّانْ** بتفخيم الباء رئيس أولاد طَلْحَ من قبائل إدُوعِيشْ أهل أبَكَاكْ فتاواهما أيضا وجمعهما معه وكان يعطيهم الخيل يركبونها والمدافع فكانوا يصنعون عليها معه ماكانوا يصنعون عند أهاليهم من المسابقة وإطلاق المدافع إلى غير ذلك مما سياتي من اخباره إن شاء الله.

وترك دحمان محمود سادس رؤساء البرابيش من هجرة سيدي محمد بن امهمد في التاسع والعشرين من مَيَهْ سنة تسعمائة والف.

وقد جرّنا ذكر السوقيين وبُوحْيَيْهَ إلى هذا الاستطراد والشيء بالشيء يذكر والتاريخ مترابط.

ولنرجع إلى بيان التواريخ التي كنا بصدد سردها، فقد كتب للشيخ سيديّ المترجم محمد المختار بن مِسْكَ بن محمد بن أحمد بن عثمان التندغي رسالتي الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار إلى الشيخ أحمد بن محمد لُبٌّ في شأن محمد الفَا بن محمد بن الفَكّ وابن عمته محمد بن بوب ورفيقهما محمد بن حَمَّدْ وفي قضية عُمَرْ بَنْيَ واحمد الفك ووصيته له الكبيرة عصر السبت لخمس خلون من صفر عام تسع وثلاثين بعد المائتين والالف وقال إنه كتب الجميع لأخيه في الله سيديّ بن المختار بن الهيب.

وكتب له عَبْدِ فَالْ بن السيد بن اعمر بن الطالب محمد التّاگّاطيّ مجموعة من الوصايا للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار ضحوة الأحد الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة عام تسعة وثلاثين بعد المائتين والالف.

وكتب في آخر بعضها أنه كتبها "لأخيه في الله خالص المحبة وباذل الجهد في أنواع المودة سيديّ بن المختار بن الهيب".

وكتب في اسفل الورقة الأخيرة من كتاب السنوسي عمدة أهل التحقيق والتسديد الذي تقدم أنه كتب له عام 1236 مالفظه: انتهت مقابلة هذه النسخة المباركة على النسخة المنقولة منها لبقاء اثنتي عشرة ليلة أو إحدى عشرة ليلة من شهر الله ربيع الأول من عام تتمة أربعين بعد المائتين والالف على يد مستكتبها أولا ثم مقابلها آخرا لنفسه ثم لمن شاء الله من ابناء جنسه فقير مولاه الراجي عفوه ورضاه وكرامته ورحماه سيديّ بن المختار بن الهيب بن احمد دَوْلَ بن أبي بكر بن مَحَمّ الملقب بانْتَاشَايتْ كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا آمين آمين آمين يارب العلمين يارب العالمين بجاه محمد صلى الله عليه وسلم.

وفرغ من شرحه للجرومية عشية الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة عام أربعين بعد المائتين والالف.

واستكتب وقابل لنفسه الرسالة الغلاوية لأواخر جمادى الأولى من سنة أربعين ومائتين والف.

وقد تقدم الكلام على هذه الرسالة والتعريف بها وهي من غرر الرسائل.

وكتب الشيخ سيدي محمد رسالته الشهيرة إلى الشيخ أحمد بن محمد ومن تحت يد ولايته من الأمراء والعلماء لتاريخ أواسط شهر الله ربيع الثاني من شهور عام أحد وأربعين ومائتين وألف، وكتبت له بهذا التاريخ.

وكتب له كتاب التجريد في كلمة التوحيد للإمام الغزالي وكتب عند آخر كتابة كاتبه مالفظه: "انتهت مقابلة هذه النسخة المباركة على يد مقابلها ومستكتبها لنفسه ثم لمن شاء الله بعده من أبناء جنسه لنصف شهر الله احرام رجب من عام أحد وأربعين بعد المائتين والالف فقير مولاه سيديٌ بن المختار بن الهيب الإنتشائي كان الله للجميع وليا ونصيرا آمين".

وكتب له كتاب المباحث الأصلية مع شرحه ضحى الجمعة منتصف ذي الحجة من عام أحد وأربعين بعد المائتين والألف.

وكتب ابراهيم بن العتيق بن محمد بن أبويك شرح ابن العزيز للجواهر الطيبية في علم المنطق عام أحد وأربعين ومائتين وألف وقال إنه كتبه لشيخه سيديٌ بن المختار بن الهيب تيب عليهم.

وفرغ من شرحه لأم البراهين عقيدة السنوسي وقت الظهر من يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر الله الحرام المحرم مفتتح اثنين وأربعين ومائتين وألف وكتب كاتبه عند آخره مالفظه: "انتهى على يد أبي لحْيَةَ المولع بأكل العَيْش المسمي بالْمَحْجُوبْ الذي ليس له سوى العيش من مرغوب ابن امبارك بن عثمان بن أوبَكْ لطف الله بالجميع لأحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع المولد عام اثنين وأربعين بعد المائتين والألف كتبه لأخيه في الله وحبيبه سيديٌ بن المختار بن الهيب كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا آمين". وفي أسفل الورقة بعدما مضى هذه الأبيات التالية إلا أنها ليست من كتابة أبي لحية وليست هي أيضا بقلم واحد حسبما يظهر وهي هذه:

عَلَيْك سلامِي يَامُضيءَ الْمَسَـــالِك ... وَيَاخَيْرَ رَوَّاضٍ وَيَاخَيْرَ نَاسِـــــك

وَيَا عَيْنَ نُورِ الْعِلْمِ مَادَامَ نُـــورُهُ ... وَشَمْسَ الضُّحَى هَدْيِي لِمَنْ كَانَ سَـــالِك

فَـإِنِي فَقِيـرٌ آسِـفٌ مُتَحَـــسِّرٌ ... مُقِيم عَلَى شَفَى بُحُورِ الْمَهَالِـــــك

وَجِئْتُك قَاصِـداً محلَّكَ وَاثِقًـــا ... فَكُن لِي وسيلةً إلى خيْرِ مَالِـــــك

***

يَاخَيْـرَ شَيْخٍ كَرِيمٍ وَاسِعِ الْعَطَـــنِ ... وَخَيْرَ حِبْرٍ عَلِيمٍ عَـادِمِ الإِحَـــنِ

عَلَيْـكَ مِنِّي سَلامٌ كُلَّمَـا طَلَعَـــتْ ... شَمسٌ وَمَا سَجَعَتْ خَطْبَا عَلَى فَنَـــنِ

أَتيتُ سَاحَكَ ظَمْآنَ الْحَشَا دَنِفًـــا ... فَأَسْقِنِي بِالزُّلَالِ الْعَـذْبِ يَاسَكَـــنِي

إِنْ كَانَ خَلَّفَنِي عَنْكَ الزَّمَانُ فَمَـــا ... زَالَ الْفُؤَادُ بِـذَاكَ دَائِمَ الشَّجَـــنِ

وكتب الشيخ سيدي المترجم له في أسفل الورقة الأخيرة من كتاب المباحث الأصلية لابن البَنَّاء وتعليق الشطبي عليه مالفظه: "انتهت مقابلة هذه النسخة المباركة على يد مستكتبها أولا ومقابلها آخراً لنفسه ثم لمن شاء الله بعده من ابنا ء جنسه لأواخر ربيع المولد عام اثنين وأربعين ومائتين وألف فقير مولاه الغني به عمن سواه سيديٌّ بن المختار بن الهيب كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا آمين".

وكتب له كتاب مقاصد التعريف بفضائل اسم محمد الشريف تأليف سيدي عبد الله بن أبي بكر الفُذَامِسي، وكتب كاتبه عند انتهائه مالفظه: "انتهى على يد أفقر العبيد إلى الله وأحوجهم إليه محمد عبد الرحمن بن سيدي محمد بن عبد الرحمن بن الطالب سيد احمد الكنتي ضحوة يوم الجمعة لستة أيام خلت من شهر الله الحرام المحرم عام اثنتين وأربعين ومائتين وألف كتبه لأستاذه ومرشده ومعلمه سيديٌّ بن المختار بن الهيب الأنتشائي كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم".

وكان من حق هذا التاريخ أن يكتب قبل تاريخ إنهاء الشيخ سيدي المترجم لشرحه لأم البراهين.
وكتب له تأليف الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار المسمى بعلم اليقين وسَنَنِ المتقين بحسم الإتاوة المُزوَّرة بحق المستحقين وكتب كاتبه عند فراغه من آخره مالفظه: "انتهى والحمد لله رب العالمين على يد كاتبه لأخيه وابن عمه سيديٍّ بن المختار بن الهيب والكاتب محمد بن سيدي بن الفغ عُبَيْدّ كان الله للجميع وليا ونصيرا لثلاث خلون من ربيع الثاني عام اثنين وأربعين بعد المائتين والالف رزقنا الله خيره ووقانا مكروهه وضيره آمين بجاه محمد النبي الأمين صلى الله عليه وسلم وكرم ومجد وعظم".

ومحمد هذا كثير النقل للشيخ سيدي المذكور وقد نقل له مؤلفات الشيخ سيدي محمد كلا أو جلا ورسائله واشعاره وكان رفيقًا له في أزوادٍ وقد كتب له نسخة من القصيدة التي رُثِي بها الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار ونسخة من رسالة الشيخ سيدي المختار الصغير إلى نوح بن الطاهر يعزيه فيها عن الشيخ سيدي محمد.

وكتب له أيضا كلّيّات ابن غازي في الفقه وكتب في آخرها مالفظه: "ووافق الفراغ من نسخ هذه النسخة ضحى الخميس لثلاث عشرة بقيت من شهر الله الحرام ذي القعدة عام ستة وثلاثين ومائتين والف على يد كاتبها لأخيه في الله وابن عمه سيديٍّ ابن المختار بن الهيب عبد ربه الراجي عفوه وغفرانه محمد بن سيديا كان الله للجميع بمنه وكرمه وليا ونصيرا".
ويفهم من هذا أن الشيخ سيدي خرج من أزواد ومحمد المذكور حي ولم نقف له على ذكر بعد ذلك وليس له عقب معروف.
وأما أخوه سيدي المختار ولايكتب لنفسه الا المختار بن سيدي فكان معروفا موجودا مع الشيخ سيديٍّ في أزواد وقد كتب له رسالة الشيخ سيدي محمد إلى آل فُودِيّ الشيخ عثمان وأخيه ألف عبد الله ومحمد بَلُّ بن الشيخ عثمان والسهام المسددة وتأليفًا آخر لم يتم وهو حسن الخط. وكتب لنفسه رسالة ووصية من رسائل ووصايا الشيخ سيدي محمد لتاريخ سنة خمس وثلاثين ومائتين والف.وكان له عقب وقد قدم على بتلميت زمن الشيخ سيديٍّ باب ورجع إلى تلك الأرض وتوفي هنالك رحمه الله تعلى وقد انقرض عقبه تقريبا الا امرأة من ذرية ابن ابنه سيدي المختار بن سيديا بن سيد المختار المحدث عنه.

وكُتب له الشموس الاحمدية في العقائد المحمدية وكتب كاتبه عند آخره مالفظه: "انتهى والحمد لله رب العالمين على يد أفقر العبيد إلى ربه محمد عبد الرحمن بن سيد محمد بن الطالب سيد احمد الكنتي لأستاذه وأخيه في الله ومن الشيخ سيديّ بن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله للجميع وليا ونصيرا بمنه وكرمه وكان الفراغ منه ضحوة يوم الثلاثاء لستة وعشرين خلت من جمادى الأولى عام اثنتين وأربعين بعد المائتين والألف".

وكتب لنفسه في آخر مؤلف للشيخ سيدي محمد آخره سَلِمْتَ مالفظه: "انتهت هذه النسخة بحمد الله وحسن عونه على تقطيع فيها بفقد أشياء من الأم لاعلم لنا بقدرها فلعل الله عز وجل بفضله وكرمه وعظمة مؤلفها عنده يظفرنا بها تامة صحيحة وينفعنا بالتأليف ومؤلفه نفعا تاما كاملا على يد كاتب بعضها ومستكتب جُلها لنفسه ثم لمن شاء الله بعده لليلتين خلتا من جمادى الأخيرة من عام اثنين وأربعين ومائتين والف فقير مولاه سيديّ بن المختار ابن الهيب الانتشائي كان الله له ولوالديه ولجميع أشياخه وإخوانه ولجميع المسلمين وليا ونصيرا بمنه وكرمه آمين آمين آمين يارب العلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم".

وكتب له الشيخ سيدي المختار الصغير إجازته له عصر يوم الجمعة سابع جمادى الأخيرة عام اثنتين وأربعين ومائتين وألف.

وكتب له شرح عمر الملقب بانْبُويَ بن الامام محمد عبد الله بن الامام عمر لنظمه في علم الحساب المسمى نزهة الألباب أصيل السبت لأحدى عشر خلت من شعبان عام اثنتين وأربعين ومائتين وألف كتبه له محمد بن مولود بن المحمود لله وقال إنه كتبه واستكتبه لشيخه سيديّ بن المختار بن الهيب. ولعل عمر بن الامام هذا هو الذي ذكر في ترجمة: طلعتْ ببُرْجِكَ للبَرِيَّةِ أسْعَدُ النشرية التي تقدمت.

ومحمد بن مولود بن المحمود لله المذكور من اهل حبيب الله بن محنض بَلَّ؛ فالمحمود للّ بن حبيب الله وهو كبير أولاد بُويَ الثلاثة، وابن عمه المصطفى بن اعْبَيْدِ بن المحمود لله من كبراء تلاميذ الشيخ سيدي الكبير. وقد كتب رسالته إلى ابن عمهما محمد بن ميلود بن المحمود لله يستقدمه من غربة كان فيها عن قبيلته، وابنه زين العابدين من كبراء تلاميذ الشيخ سيديّ المترجم.

وهذا التاريخ الذي أرخ به محمد بن مولود هو آخر ماوقفت عليه من الاشياء المؤرخة في رحلة الشيخ سيدي المترجم وليس هذا قدر ماكتب فيها بيده أو كتب له فلم يترك فتبارك الله أحسن الخالقين مايمكن أن يكتب ويحمل الا كتبه أو استكتبه وحمله معه وأتى به ولله الحمد لكني قصدت الاشياء المؤرخة فقط لاحقق تتابع عمله ودءوبه عليه.

وينقلب الشيخ سيديّ إلى أهله مسرورا فنجد أول شيء كتبه وأرخه بعد مقدمه واستقراره وثيقة مؤرخة بأواسط الربيع الثاني من عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف فيكون مابين التاريخين المذكورين هو مدة السفر والوصول والاستقرار. والثقة بما يكتب هو فقط كما سيتضح إن شاء الله تعلى. وبهذا نكون قد حققنا زمنه ابتداء من تاريخه لنقله للمساعد عام 1219 إلى عام 1242 أي مدة ثلاث وعشرين سنة فالحمد لله رب العالمين. وما قبلها من عمر المترجم فليس عندنا كبير تحقيق فيه.

وأما ما بعدها فهو معروف كله ولله الحمد وستقف على تفصيله بكامله إن شاء الله تعلى.

فإذا اعتمدنا التاريخ الذي قيل إنه ولد فيه واعتبرنا الذي قيل في مراحله العلمية وجدناه صحيحا لامرية في شيء منه وذلك بأن يكون أتى إلى معلمه الذي قرأ عنده القرآن العظيم وهو في الثالثة عشر من عمره أي سنة ثلاث ومائتين وألف. وياتي بعد هذا إلى حرم بن عبد الجليل حيث قرأ علوم العربية بحذافيرها وحيث شرح مقصورة ابن دريد ويكون وصوله إليه وهو في السابعة عشر من العمر حيث أنه مكث كما قيل أربع سنوات عند معلمه القرآن، أي سنة سبع ومائتين وألف. والمعروف أنه لبث مع حرم المذكور ثلاث عشرة سنة أي من سنة سبع ومائتين وألف إلى أوائل سنة عشرين ومائتين وألف. ويتوجه من عنده وهو ابن ثلاثين سنة إلى حبيب اللّٰ بن القاضي أي سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف حيث قرأ مختصر الشيخ خليل وما يتعلق به من الفقه والقواعد وغير ذلك في مدة أربعة أعوام يكمله ويراجعه في كل واحد منها كما قيل. ويسير عنه وهو ابن اربع وثلاثين سنة أي سنة أربع وعشرين ومائتين وألف ويلبث عاما في طريق أزواد ماكثا بمدينة تيشيت كما تقدم، وهذا العام هو تكملة الربع الأول من القرن الثالث عشر. ويصل أزواد أوائل ذي الحجة الحرام آخر شهور سنة خمس وعشرين ومائتين وألف وهو ابن خمس وثلاثين سنة.

ومدده التي قبل قدومه على أزواد كلها حدثني بها العلامة الثقة القاضي سيدي محمد بن الداه

بن داداه واسمه احمد محمود بن المختار بن الهيب وقد بلغ في حياة الشيخ سيديّ المحدث عنه، وكان هو وأبوه سيديا الملقب الداه وعماه المختار العالم الجليل ومولود من أخص خلق الله بالشيخ سيديّ المذكور وكان عارفا بأخباره كلها محدثا بها في كل وقت متلذذا بذلك عارفا بشعره وبمقاصده وبمعانيه عارفا كذلك بما قد قيل له منه مدحا ورثاء، محصلا للجميع بكتابته الحسنة الواضحة المعروفة لكل من في عصره. وتحديثه لي بهذا وأنا إذ ذاك أقرأ عليه جامع ابن بُونه أواخر شوال عام سبعة وخمسين وثلاثمائة وألف.

كل هذا بناء على أن الشيخ سيديّ المذكور ولد عام تسعين ومائة وألف كما تقدم القول بذلك، فيكون عمره وقت رجوعه قد وصل إحدى وخمسين سنة. وهذا هو الحق فقد حُدِّثْنَا أنه رجع ورأسه قد وخطه الشيب.

ويظهر من هذا التحقيق أن الرحلة العلمية بنوعيها بلغت ثمانيا وثلاثين سنة ولم يعلم أنه تخللها شيء يمنع من مواصلتها. وبهذا يقطع المطالع بشدة علوّ همة صاحبها في العلم وتحصيله في صدره أولا وفي الكتب ثانيا فلم يترك نوعا منه في أرض دخلها يمكن نقله وحفظه إلا فعلهما له. وقد أتى بكثير من الكتب في مختلف الفنون من الجهات التي كان فيها وبالأخص كتب العقائد وكتب أهل الصوفية مع غيرهما من انواع العلوم.

وبهذا نكون قد فرغنا من ترجمته في رحلته العلمية ولله دره فقد ترجم نفسه حكما وذلك أن جل إن لم يكن كل ماكتب عنه فيها فهو إما أن يكون من خطه بيده الشريفة أو خط أصحابه وتلاميذه له فجازاه الله عنا أحسن الجزاء آمين والله الكريم يعيننا على البقية بمنه ولطفه كما أعان على المقدمة آمين.

وقد وصلت إلى هنا يوم الثلاثاء أواخر المحرم الحرام فاتح سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف ويكون بدء ماسياتي إن شاء الله تعلى: الشيخ سيديّ الكبير بعد قدومه على وطنه وقبيلته أولاد أبيير.

الموضوع: **الصفحة:**

- كلمة شكر..... 2
- مصطلحات..... 3
- كلمة للإستاذ الخليل محمد سالم بن محمد عال بن عبد الودود 4
- تقديم الناشر..... 5
- المقدمة:..... 9

ملخص من ترجمة الشيخ سيدي 53

دراسته للقرآن 54

- على خاله سيديا بن الفق عبيد
- على الطالب الأمير بن الطالب المختار

- دراسته لعلوم العربية والنحو على حرم بن عبد الجليل
- للفقه على حبيب الل بن القاضي
- رحلته إلى أهل الشيخ سيدي المختار

- تخليد الشيخ محمد بن حنبل لهذه الرحلة في شعره 56
- إشارة سيد عبد الله بن أحمد دام لها..... 56
- ذكر عابر لمؤلفاته وفتاويه وشعره 57
- ذكر لمن تصدر على يديه 57
- ذكر تاريخ وفاته 58
- بعض مناقبه 58
- إيماء إلى تفضيل المؤلف للشعر الحساني على الفصيح لقلة التقليد فيه 60
- إشارة إلى الحالة السياسية للبلاد ءانذاك 60
- إشارة إلى علاقة المترجم بأولاد أحمد وأولاد دامان..... 61
- إشارة إلى علاقته باعمر بن المختار وابنه محمد لحبيب وحفيده سيد 61
- إشارة إلى علاقته بأمراء أولاد السيد وبكار بن اسويد احمد واحمد بن عيدٌ... 61

- إشارة إلى سعيه في رد منهوبات حسان وتخليه لغرمائهم..... 61
- إشارة إلى اسباب تجمع الخلق عليه 62
- استطراد بعض ماكتب صاحب الوسيط في أدياء شنقيط عن المترجم..... 62
- استطراد تخليد عبد المالك بن إمام لحكاية في كرم المترجم 63
- استطراد إشادة محمد بن محمد ومحمذ بن السالم بكرمه وقراه للضيف..... 64
- استطراد إشادة الهادي بن محمد لتعميره للبلاد..... 64
- استطراد المؤلف لاندراس الكثير من اخبار المترجم ولاعتماده على مراسلاته في الكتابة عنه، إضافة إلى غيرها في المصادر..... 64
- ذكر عابر للمختار بن الهيب، والد المترجم..... 65
- ذكر الهيب، والد المختار..... 66
- ذكر احمد دول، والد الهيب..... 66
- ذكر أم الهيب..... 67
- تسمية أولاد المختار بن الهيب 67
- ذكر عابر لمرور الشيخ سيدي بصلاح بن ءابُنّ ومحم بن احمد في طريقه إلى حرم بن عبد الجليل 67
- ذكر إشارة محمد مختار بن محمـــد الملقب الحيش على المترجم بالمسير في طلب العلم 68
- رجوع إلى سيرته زمنه مع حرم بن عبد الجليل وذكرما استنسخ من الكتب في تلك المدة 69
- قصيدته التي قال لتلاميذ حرم لما هم بالإنتقال عنهم 70
- قدومه على حبيب الل بن القاضي وقصة مسيرة عنه 71
- مروره بسيد عبد الل بن الحاج ابراهيم العلوي 71
- مقامه في مدينة تيشيت واشتغاله بالتاليف فيها 71
- قدوم خاله سيد المختار عليه هنالك وماجرى بينهما 73
- استطراد تشوق خاله الآخر منيه إليه ورجائه له الفوز بماكان يثنيأ به شيخه والد الديماني 73

- قصة استشارة المترجم لاهمار اسر و لكبير شرفاء ءال عبد المومن في ءاخر مقامه بتشيت..... 74
- مروره بمدينة ولاته وزيارته لضريح الشيخ سيد احمد البكاي 74
- خروجه مع القوافل إلى الشيخ سيد المختار وماجرى له معه..... 74

- رثاؤه لشيخه :

- ما اختار فاعلنا المختار مختاري إن الرضا واجب بما قضى الباري 76

- تضمينه البيتين الذين انشد الشيخ سيدي المختار ابنه الشيخ سيدي محمد في المنام في سينيته البديعة:

- ياروضة ينزوي عن زورها البوس وجارها بجوار الله محروس

وما وصفها به الشيخ سيدي محمد في رسالته إلى أخيه باب احمد..... 79
- استطراد لذكر كتاب الطرائف والتلائد وغيره في هذه الرسالة 83
- رجوع إلى شعر الشيخ سيدي في شيخه الشيخ سيدي المختار وزوجه:
- اسيدنا المختار لازلت ملتجا لمن عنه باب الفتح اصبح مرتجا 85
- اسيدنا المختار يامن وفاته حياة ومحياه الكريم وفاة 86
- الا يها الحزب الذي من تحنثا بمزداره يحبى النجاح المحثحثا 88
- اما والذي روح النسيم إذا هبا لدن مصطفيه أنعش الروح والقلبا 89
- ايا عمدة المسكين والغرب الشجي وام اليتامى والارمل عرج 91
- زرتكم ياذوي المقام العلى منشدا قول ذي المقال الرضي 91
- ترجمة لال عائشة بنت سيد المختار بن سيد الامين الأزرگ 91
- سرد والدات الشيخ سيد المختار..... 92
- أخوات الشيخة لال عائشة 93
- إخوة الشيخ سيد المختار..... 93
- ترجمة موجزة للشيخ سيدي المختار..... 94
- سلسلة مشائخه..... 94

- رثاء الشيخ سيدي للشيخين الشيخ سيدي المختار والشيخة لال عائشة:
- جـــادت سحـــائب رأفـة الرحمـــن بهـــوامل التكـــريم والرضـــوان 97
- استطراد تخميس احمد بن امحمد إكنن السوقي لهذه القصيدة 104
- مانظم به الشيخ سيدي كرامات الشيخ سيدي المختار:
- أتحـف الله نخبـة الاخيـــار سادتـــي آل سيـــدي المختـــار 105
- سرد أولاد الشيخ سيدي المختار والتعريف بهم 109
- رفع نسب كنت إلى عقبة بن نافع والتعريف به 113
- تسرمد الشيخ سيدي مع الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار من وقت وفاة هذا الأخير 114
- من امداحه للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار:
- تسخويدمع على الخدين منسكب وزفرة من حشا حيزوم منتحـب 115
- منادي جمـوع زانهـا الفـرد مفلـح وقارع أبـواب الجحاجيح ينجـح 122
- استطراد خبر رسالته إلى شيخه في طلب الاذن للرجوع إلى بلاده 123
- إيماء إلى ماذكر فيها من أخبار قبيلته وإلى وثيقة نسب أولاد أبيير التي تخالف صراحة مايفهم من هذا الجزء من الرسالة 125
- ذكر جواب الشيخ سيدي محمد لهذه الرسالة بتاليفه جنة المريد دون المزيد... 126
- قصيدة الشيخ سيدي الدالية في تقريظ هذا التاليف:
- بديع الشيـخ جنـة مـن يريـد فمريـد والبـديع لـه فـريـد 127
- من أمداحه الأخرى لشيخه:
يأيهـا البـدر والبحـر الذي دارا بـه الظمـاء عبـدانا واحـرارا 131
- يوم الأضـاحي ويوم الزي والـزين يوم سيادتـه قمحسـاء في الـزمن 131
- ابيات الشيخ سيدي يخاطب بها مستعيرا منه لجنة المريد دون المريد:
- يامستعيـرا من يـدي جنتـي دون مـريد الانـس والجنـة 134
- قطعة له أخرى في تقريظ هذا التاليف:
- أيا جنتـي دون المـريد وجنتـي وبدر جنـاني عنـد كل دجنّـة 134
- رسالة أخرى من الشيخ سيدي إلى شيخه الشيخ سيدي محمد..... 137

- من أمداحه له أيضا:
- ليست شعري وغيركم لانهنا برضاه سوى رضى الله عنا 139
- قصة إقراء الشيخ سيدي جامع المختار بن بون الجكني للبكاي بن الشيخ سيدي محمد وابيات البكاي لوالده في عدة من أمور المشائخ لمعلمه الشيخ سيدي 139
- ياسيدي نصف الخلاصة لابن ما لك الامام محمد أكملته 140
- جواب الشيخ سيدي محمد لهذه الأبيات:
- لك ناجز الوعد الذي املته ممن يحقق ماعليه أحلته 140
- مراسلات البكاي مع معلمه الشيخ سيدي 141
- بعض ماذكر به الشيخ سيدي في مراسلات تلاميذ أهل الشيخ سيدي المختار فيما بينهم 144
- مراسلات أحمد محمود بن محمد بن خير بن بن عفان التندغي مع الشيخ سيدي زمنهما في تلاميذ أهل الشيخ سيدي المختار 144
- بعض من ذكر الشيخ سيدي الوارد في مراسلات الشيخ سيدي المختار الصغير بن الشيخ سيدي محمد مع والده 146
- من مراسلات بعض زملاء الشيخ سيدي من التلاميذ معه 147
- من شعر الشيخ سيدي في ابناء مشائخه 148
- في عابدين بن الشيخ سيدي محمد:
- لئن عاق جسمي عن وصالكم شغلي فقلبي إلى ناديكم دائم الوصل 148
- ابلغ نتيجة نخبة الاعلام وسليل وارث منبع الاحكام 148
- في البكاي بن الشيخ سيدي محمد:
- تكلف جميل الصبر في كل حين وعوّده نفسا في اشتداد ولين 149
- في البكاي وحماد ابني باب احمد بن الشيخ سيدي المختار:
- إن تملا العين في انسانها البادي وعين انسانها البكا وحماد 151
- في خطار بن سيد احمد البكاي بن الشيخ سيد المختار:
- خطار جيت مخاوف الاقطار بخفارة المنجي من الاخطار 151

- في زين العابدين بن الشيخ سيدي محمد:
- وقد الأحبة سرتم بفؤادي وتعلقي في نومتي وسهادي 152
- في البكاي بن الشيخ سيدي محمد:
- عماد الصبر منك أيا سواد عراه بصدم فرقتك انهداد 152
- مايقول على السنة بعض مريدي شيخه:
- على لسان الشيخ الحاج عبد الله:
- أيامن بيمناه زمام الاماني ومن بستاه أشرف الملوان 153
- على لسان احمد بن محمد بن الحاج الفلالي المعروف بالسوسي:
- عبد تولاه الاله وحبه فكفاه مايعني به وحباه 154
- على لسان عبد العزيز ولعله اعزيز بن العالم بن محمد بن سيد الامين الأزرگ:
- (طوبى لعبد العزيز من رجل طوبى له إنه هو الرجل) 154
- طوبى له من سعيد سابقة عنه بها وسم الشر منعزل
- ابشر بفتح من المولى واتحاف وربح مسعى وتنويه واسعاف 157
- وله في تقبيح ماصنعه بعض الطغام من مناهبة الطعام بين أيدي مشائخه الاعلام:
- أشد ماقد جرى في سائر الأمم من الحروب ذوات الهرج والضرم 158
- وله في الاستغفار من هذه القصيدة:
- استغفر الله وقت الجوع والشبع استغفر الله وقت اليأس والطمع 159
- ذكر الاستكفاء بهذا القدر من الدليل فيما يتعلق بمكانته بين تلامذة اشياخه..... 160
- الإشارة إلى حكاية من عفته ورباطة جأشه زمنه في التلامذة 160
- ترجمة الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار..... 161
- من مراسلاته مع والده الدالة على رسوخ قدمه في العلم 161
- نص إجازة والده له 163
- سرد إجازاته لمن أجاز في مختلف العلوم..... 163
- إشارة إلى بعض مراسلاته:
- في نادرة محمد بُرْيَ بن سيد محمد بن احمد اگ عادّ والشريف بن خاله الشيخ بن

محمد بينهما وبين الشريف محمد بَكَيْكَيْ بن البكري 167
- للقاضي سيدي عبد الرحمـــن بن سيـدي محمد بن علي اللمطـي بزاويـة آسرير..... 168
- إلى فريق ابناء هند مسلم وماسنة وأهل تيشيت 168
- إلى أولاد الناصر ومشفلوف..... 168
- إلى أخيه باب احمد..... 170
- إلى بَيْدَ بن هنون وجماعة أولاد دأوود بالاضافة إلى أخيه باب احمد 171
- الرسالة الفلاوية 171
- ذكر عدد مؤلفاته..... 171
- رجوع إلى مايخاطب به الشيخ سيدي اخوانه من المريدين زمنه عند أهل الشيخ سيدي المختار (هذه الاراجيز المجزوة التي هي على هيئة الشعر الحساني):
- يـــا مـــن طـــوًى طـــويتـــم مـــن شاحـــب صفـــر اليـــد 172
- له يهنئ آل محمد فودي ويخاطب العلامة ألف عبد الله جوابا له على ابياته التي ارسل بها إلى الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار:
- ليهـــن صبـا مغـــرمـــا ينـــوح وما ســـوى الزلفـــى له منـــوح 175
- للتعريف بمآل فودي المهنئين بهذه القصيدة (الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الفلاني وأخيه ووزيره الف عبد الله وابنه وخليفته محمد بلُ) 180
- استطراد رسالة مهمة للشيخ سيدي محمـــد بن الشيخ سيدي المختار إلى هؤلاء الرجال..... 181
- استطراد رسالتين أخريين للشيخ سيدي محمد إلى محمد بن محمد لُبُّ 183
- ذكران ألف عبد الله هو مؤلف ضياء التاويل في معاني التنزيل.....185
- ترجمة نوح بن الطاهر السفير بين الشيخ سيدي محمد مع هؤلاء الرجال.....185
- تقريظ الشيخ سيدي لما اجاب به الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار اسئلة محمد العاقب بن طاهر بن علي الفلاني:
- أجـاب مربينـا إجـــابة من هـدي وأكمـل من نور اليقـين باثمـد 187
- ذكر ثورة محمد الجيلاني أو الجيلالي البركوري الذي ادعى المهدية وتاليف الشيخ

سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار المسمى بالصوارم الهندية في حسم دعاوي المهدية في الانكار عليه..... 188
- قصيدة للشيخ سيدي في الانكار على هذا المهدي المزعوم
- إلى متى هذا التواني عدام وذا التمادي في ازدياد الحطام.. 188
- ما استحسن به الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار تذييل الشيخ سيدي أبياتا قد قالها، وذلك في رسالة أرسل بها إلى أخيه حبيب الله 190
- كأن لغى أهليه لغوى طيسوره بل الطير اهلا في البيان تفوق 191
- قطعة الشيخ سيدي في مدح الشيخ سيدي محمد والمقارنة بينه وبين البحر لما دخله يتبرد:
- رويدك بحر الماء من فيك يعبر غطمطم فيض منك أطمى وأزخر 192
- جواب الشيخ سيدي محمد لهذه القطعة:
- ألا لادجى فكر به أنت تفكر ولاعميت عين بها أنت تنظر 194
- قطعة للشيخ سيدي يتشوق فيها إلى شيخه الشيخ سيدي محمد اثناء احد اسفاره:
- كيف القرار ووتر القلب أعشار وفي السويداء منه تصطلي النار 195
- ماذيل به الشيخ سيدي قصيدة الشيخ سيدي محمد التي مطلعها:
- حالي إليك شكوتها ياسيدي يامالكي ومحول الأحسنوال،
وهو قصيدته:
- ياحسن يثيب نفائس الاعمال بنفائس الالطاف والأنفال 195
- استطراد محاربة كل انتصر للشيخ سيدي محمد عام 1228، بمناسبة شرح شطر بيت من هذه القصيدة وهو: واقتل معاشر حاربوه، 197
- استطراد ذكر هنون بن بَيْدَ رئيس أولاد داوود العرب في تأليف الشيخ سيدي محمد السابق الذكر وفي رسالة وجه بها إليه..... 197
- رجوع إلى ما يقول الشيخ سيدي من الشعر في اشياخه:
- سادتي ذاوه المحل السرام ومطاف به يعق الزحام 199
- أنخت ببابكم فعكفت ثما أرجي دفع مابي قد ألما 199
- تذييله لأبيات الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار التي مطلعها:

- مراقي العلى ذلل لموطإ أخمصي وزين باسرار الولا والمحبة

بقصيدته المرتبة على حروف: «رب اشرح لي صدري ويسرلي أمري»:

- رفعت إلى مولاي جل شكيتي وأملت نشلي عنده من بليتي 201

- قصيدته العجيبة المعروفة بالزرقاء في شيخه الشيخ سيدي محمد.

- سرد المساجة:

- طلعت ببرجك للبرية أسعد أيام جاد بك الزمان الاجود 203

- سرد الاوائل:

- طلعت مزن الندا وطفا فهمت للمجتدي طرفا 208

- سرد الأواسط:

- أيام يروي الظما بحر به جثموا تعجيل ابرازها لم يحكه نعم 209

- أبياته الغريبة التي تقرأ على أوجه عديدة:

- بوارع صينت فيك قدما فرائد فواضل تبدو منك إرثا تلائد 210

- رسالة استعطاف من الشيخ سيدي إلى شيخه الشيخ سيدي محمد تتضمن قطعة شعرية:

- ياسيدي رقوا لمستهلك مستعطف مستشفع مشتك 211

- من قصائد الشيخ سيدي التوسلية:

-صير الحر علينا رب بردا وسلاما 212

- للشيخ سيدي في زيارة الشيخ سيدي المختار ومن معه:

- لما رأيت التي أعنى بها عظمت قدرا ولايملك العظم سوى العظما 213

- ايماء إلى اشتغال الشيخ سيدي طيلة مقامه في أزواد بتحصيل مامن أجله قدم إليه رأسا وهو تحصيل علوم القوم 214

- إشارة إلى أنه الف بعض مؤلفاته هناك 214

- ذكر تلقيبه بالشيخ هناك وشواهده 214

- ذكر وفاة الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار 214

- ذكر مقام الشيخ سيدي مع أهل الشيخ سيدي المختار حتى يستقر الحال بعد وفاة الشيخ سيدي محمد وتحكيمهم له في اختيار خليفتهم..... 216

- إشارة إلى ماجرى له مع الشيخ سيدي المختار الصغير بعد استخلافه..... 216
- إجازة سيدي حبيب الله بن الشيخ سيدي المختار للشيخ سيدي في مدة إقامته معهم هذه، وماكتب له فيها..... 217
- استطراد رسالة للشيخ سيدي محمد إلى أخيه حبيب الله هذا ونصها 217
- إجازة سيدي اعمر بن الشيخ سيدي المختار له في نفس الفترة 218
- إجازة الشيخ سيدي المختار الصغيرله في نفس الفترة 218
- ذكر المؤلف أنه لم يقف على نص إجازة الشيخ سيدي محمد للشيخ سيدي 219
- الأبيات التي قالها الشيخ سيدي في زيارته الأخيرة لمشائخه قبل رجوعه إلى وطنه:
- أيا أولياء الله أهل الصفا الألى أطيبوا فأحظوا بالمقام الذي اعتلا 219
- استطراد ما صرح به الشيخ سيدي في إجازته لمريده سيدي محمد بن احمد بن حبت بأن إجازات حبيب الله وسيدي اعمر والشيخ سيدي المختار الصغير له كلها واقعة بعد وفاة الشيخ سيدي محمد 220
- استطراد رؤية المؤلف لشجرة نسب كتبها ابن حفيد سيدي محمد بن حبت المذكور وانفا رفع نسبه فيها إلى أبينا ءادم وأمنا حواء 220
- سرد تواريخ محققة من رحلة الشيخ سيدي في طلب العلم، للفترة من 1219 إلى 242 هـ..... 220
- استطراد لبعض اخبار كلسوق وقصرهم بوجبيه 225
- استطراد ابيات للشيخ سيدي محمد يخاطب بها وفد أهل بوجبيه ويبشره:
- وفد الكراءة بالتكريم بشراكا وبالسعادة في الدنيا وأخراكا 226
- ذكر موجز لقبيلة البرابيش، جر إليه خبر قصر بوجبيه..... 226
- استطراد اشتقاق لفظة الغفر، جر إليه اخذ البرابيش الاتاوات والاغفار على القوافل السائرة بين تغازا وتاودن وتينبكت..... 226
- مزيد خبر وتفصيل عن البرابيش 227
- استطراد تغريب الفرنسيين لاحد عرفاء البرابيش هؤلاء إلى مدينة أبي تلميت وتواجده فيها في ءان واحد مع الشيخ بن عيدوك رئيس أهل سيد بن محمد من مشظوف وبنيوگ بن احمد بنان رئيس أولاد طلح من إدوعيش، وطرف مماجرى لهؤلاء

الرجال الثلاثة مع الشيخ سيدي باب 228
- رجوع إلى تحقيق بعض التواريخ في رحلة الشيخ سيدي في طلب العلم..... 229
- قفول الشيخ سيدي إلى أهله وأول ماكتبه مؤرخا بعد ذلك 234
- تلخيص فترات هذه الرحلة العلمية 234
- ذكر المؤلف أن المدد التي سبقت رحلة الشيخ سيدي العلمية قد حدثه بها سيدي محمد بن الداه بن داداه واستطراد طرف من صلته بالمترجم 235
- الفهارس 237